دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

ديوان صردر

نظم الشاعر

الرئيس أبي منصور عليّ بن الحسن بن عليّ بن الفضل

الشهير بصرّدرّ

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

ديوان صردر

نظم الشاعر

الرئيس أبي منصور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل

الشهير بصرّ درّ

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

فهرس

قوافى ديوان صَرَّ دُرّ

قصائد هذا الديوان غير مرتّبة فى الأصل على الحروف الهجائيّة، فطبعناها كما هى، ووضعنا لها هذا الفهرس على الترتيب الهجائى لسهولة المراجعة فى هذه الطبعة، والحروفُ الهجائيّةُ التى لم تُذكَر هنا لا يوجدُ منها شىءٌ للشاعر فى هذا الديوان .

ديوان صَرَّدُرّ

أخرجتْ دارُ الكتب المصريّة هذا الديوانَ النفيسَ للشاعر المشهور، والكاتب المعروف " بصَرَّ دُرّ " فى عصرِ حضرة صاحبِ الجلالة مليك مصر المعظَّم

" فـؤاد الأوّل "

حفظه الله وأقرَّ عينَىْ جلالتهِ بولىِّ عهده المحبوب

" أمير الصعيد "

صَـــرَّ دُرّ

طالعنا طائفـــةً كثيرةً من الكتب الأدبيّة والتاريخيّة لنقف منها على ما تحدِّثنا به عن حياةِ هذا الشاعر، وإنما لنذكُر من هذه الكتب "مرآة الزمان" و"النجوم الزاهرة، فى ملوك مصر والقاهرة" و"شذرات الذهب" وتاريخ ابن كثير المسمّى "البداية والنهاية"، وكتاب "وفيات الأعيان" و"المنتظم، فى تاريخ الملوك والأمم" و" الكامل " لابن الأثير . وقد ورد اسم هـذا الشاعر فى بعض هـذه الكتب مضبوطا بالقلم بفتح " الصاد " وورد فى تاريخ " الكامل " و" المنتظم " مضبوطا بضمّها . ويظهـر أنّ المرحوم البارودى كان من المرجّحين ضبطه بالفتح إذ ضبطه كذلك فى غير موضـع من مختاراته . ونحن ليس لدينا ما نستيقن به وجه الصواب فى ضـبطه . بَيْدَ أنّ البيتين اللذين قالهما " الشريف أبو جعفر المعروف بالبياضىّ " وهو أحد الشعراء المعاصرين لصاحب الترجمة يهجوه بهما يرجّحان فتح " الصاد "، وهما :

لئن لقَّب الناسُ قِدْما أباكَ	وسمَّوْهُ من شُحّه "صَرَّ بَعْرا"
فإنكَ تنـثُرُ ما " صَـــرَّه "	عُقوقا له وتُسمِّيه شِـــعرا

* * *

وأمّا سيرة حياته فقد اتفقتْ هـذه الكتب على ترجمةٍ كادت تكون متشابهةً فى جُمَلها وألفاظِها، ونحن ننقُلُها هنا عن كتاب "وفيات الأعيان" قال :

"هو الرئيس أبو منصـور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل الكاتب المعروف والشاعر المشهور "بصرَّ دُرّ"، أحد نجباء عصره، جمع بين جَودةِ السبكِ وحُسن المعنَى،

وعلى شـعره طُلاوةٌ رائقة، وبهجةٌ فائقـة ، وله ديوانُ شعرٍ صغير، و إنما قيل له " صرَّ دُرّ " لأن أباه كان يُلقَّبُ " صرَّ بَعْر " لشُحِّه، فلمّـا نبغ ولدُه المذكور ، وأجاد فى الشعر ، قيل له : "صرَّدُرّ"[(1)] .

وكانت وفاتُه سـنة خمس وستين وأربعمائة هجرية ؛ وكانـــ سببُ موته : أنه تردَّى فى حُفرةٍ حُفرتْ لأســد فى قريةٍ بطريقِ خراسان ، وكانت ولادته قبل الأربعمائة " . اهـ .

* * *

وقد نُقلت هذه الطبعة عن نسخةٍ خطيّة كتبها لنفسه بقلمه المرحوم محمود سامى البارودى باشا،وهى محفوظةٌ بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٥٠٨ أدب . وٱحتفاظا بخطه رحمه الله نقلنا له بالتصوير الشمسىّ نبذة بخط يده لتكون خير أثرله على ممــر الأيام، وهى النبذة المذكورة فى صفحة ٢٣٤

وقـد شرحنا ما غمض مــن الكلمات شرحا وافيا يقرِّب معانىَ الأبيات الى الأذهان . ولا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نُهدىَ آىَ الشكر الى حضرتَى صاحب العزّة المربّى الكبير محمّد أسعد بَرَاده بك مدير الدار، وصاحب الفضيلة السيّد محمد الببلاوى نقيب الأشراف ومراقب إحيـاء الآداب العربيّة، لمـا قاما به نحونا من إرشاد، وما شملانا به من رأيٍ تحيط به الأصالةُ والســداد . ونشير كذلك الى المعاونة التى لقيناها من حضرة الأسـتاذ أحمد زكى العـدوى رئيس القسم الأدبىّ بدار الكتب المصريّة ومن حضرات العلماء والأدباء المصححين به ، فلهم منا جميعا أجزل الثناء وأجمل الإطراء .

أحمد نسيم
بدار الكتب المصرية

---

(1) أول من لقبه بهذا اللقب نظام الملك ، كما فى الكامل لابن الأثير .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرئيس [أبو علي] (١) أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل الكاتب رحمه الله يمدح الإمام القائم بأمر الله (٢) — قدّس الله ضريحه — :

كما قلتما : برءُ الصبابةِ في الياسِ ... وليس لها غيرَ التجلّدِ من آسِ (٣)

فما في الهوى مرعًى يطيبُ لذائقٍ ... ولا موردٌ عذبٌ يلذّ به حاسِ (٤)

سؤالُ مغانٍ (٥)، ربعُها أخرسُ الصَّدَى (٦)، ... وشكوى إلى مَن قلبُه لينُ قاسِ

أيبيضُّ فرعي (٧) والجوى في جوانحي ... كأنّ الهدى ياقلب مسكنُهُ راسي

وما هذه اللِّمّاتُ (٨) إلا صحائفٌ ... محاها بياضُ الشَّيبِ عن لونِ قرطاسِ (٩)

كأنّ الرُّقى مما عدِمت شفاءَها ... تعلّمها الراقون من بعد وَسواسِ

مددتُ يدًا نحو الطبيب فردَّها ... إلى النحر واستغنى بإخبار أنفاسي

وما زال هذا البرقُ حتّى استفزّني ... سَنَا (١٠) كلِّ وقّادٍ ولو ضوءُ نِبراسِ (١١)

وليلِ وِصالٍ أسرعتْ خُطُواتُه ... ببهجةِ سُمّارٍ وغفلةِ أحراسِ

---

(١) كذا بالأصل . ولم نجد في المظان ما يؤيد ثبوتها . (٢) القائم بأمر الله : اسمه عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله ، ولد سنة ٣٩١ هجرية وتولى الخلافة سنة ٤٢٣ هـ ومات سنة ٤٦٧ هـ ؛ ومكث في الحكم ٤٤ سنة . (٣) الآسي : الطبيب . (٤) الحاسي : الشارب .
(٥) مغان : جمع مغنى وهو المنزل . (٦) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت بمثل صوته .
(٧) الفرع : الشعر . (٨) اللمات : جمع لمة — بكسر اللام — وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن .
(٩) القرطاس : الصحيفة . (١٠) السنا : الضوء . (١١) النبراس : المصباح .

فما قُصَّ للنّسرين (١) فيه قوادمٌ (٢) ولا رُبِطتْ ساقُ "الثريّا" (٣) بأمراسِ (٤)

ضحـوك ثنيّاتِ الصّباح تخالُه ضياءَ إمامِ الحقّ من آلِ "عبّاسِ"

هـو الوارثُ النُّور الذى كان آيةً لآبائه الماضين من عهد "إلياسِ"

فلو لم يكن للناس فى الليل راحةٌ لضوّأَ (٥) من لألائه كلَّ دِيماسِ (٦)

كأن "رسولَ الله" ألقى رداءَه من "القائم" الهادِى على جبلٍ راسِ

ضميرٌ جلاه صَيقلُ (٧) الحلم والتُّقى وكفٌّ حباها الله بالجودِ والباسِ

ومحتجب بالعزّ لولا مكانه لرُجَّت نواحى هذه الأرض بالناسِ

زمانُ الورى فى ظلّه وجنابه كأيّام تشريق (٨) وليلاتِ أعراسِ

رعاهم بروض الأمن غِبَّ مخافةٍ وألبسهم ثوبَ الغنى بعد إفلاسِ

وراضَ الجَموحَ (٩) للذَّلولِ (١٠) برفقه فما بينهم إلا موازينُ قِسطاسِ (١١)

حِماهُ هو البيتُ العتيقُ ، ظباؤه حرامٌ على عَبَلِ (١٢) الذراعَيْن فرّاسِ

---

(١) النسران : نجمان يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع .
(٢) القوادم : عشر ريشات فى مقدّم الجناح ، وهى كبار الريش ، والخوافى صغاره وهى تحت القوادم ، واحدها : قادمة .
(٣) الثريا : سبعة كواكب ، سميت بذلك لكثرة كواكبها .
(٤) أمراس : جمع مرس وهو الحبل .
(٥) ضوأ : أنار .
(٦) الديماس : المكان العميق الذى لا ينفذ إليه الضوء ، وسمى سجن "الحجاج" بالديماس لظلمته .
(٧) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .
(٨) أيام التشريق : هى ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، لأن لحم الأضاحى يشرق فيها .
(٩) الجموح : الذى لا يثنيه شىء .
(١٠) الذلول : المنقاد .
(١١) القسطاس : العدل .
(١٢) العبل : الضخم — والمراد به الأسد — .

فلو كان فيـه ناقـةَ اللهِ عاقرا أخو "وائلٍ"(١) ماذاق طعنة "جسَّاس"

وما ضرَّ من كان الإمامُ سحابَهُ تقاعُـــدُ لمَّاعِ البـوارق رجَّاسِ(٢)

لسيَّارةِ المعـروف فى صُلبِ مالِهِ غنـائمُ لم تُقسم عليهـا بأخمـاسِ(٣)

له من صوابِ الظنِّ بالغيب مخـبرٌ ولا خيرَ فى رأى آمرئٍ غيرِ حسَّاسِ

وليس لأحقادٍ ذُكرنَ بذاكرٍ ولا لحقوق الله يُنسَيْنَ بالنَّاسى

ولولاه كانَ الدِّين فقْعـا(٤) بقَـرقرٍ(٥) يُداسُ بأظلافٍ(٦) ويُفرَى(٧) بأضراسِ

سقاه ميـاه العـــز فاخضرَّ مُورِقًا وأينعتِ الأفنـانُ(٨) فى عُودهِ العاسِى(٩)

فلا تنشُروا للبـاطلِ اليـــومَ رايَةً وهل يُنشَر المدفونُ فى قعرِ أرماسِ(١٠)

---

(١) هو كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه : أعز من كليب وائل ؛ والشاعر يشير إلى قصتــه وهى بإيجاز : كانت البسوس خالة جساس بن مرة نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس وكان لهـا ناقة تسمى "سراب" فرت إبل لكليب بسراب هـذه وهى معقولة فى فناء بيتها جوار جساس بن مرة ، فلمـا رأت "سراب" الإبل نازعت عقالهـا حتى قطعته وتبعت الإبل واختلطت بهـا حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معــه قوس وكنانة ، فلمـا رآها أنكرها و رماها بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهى ترغو ، فلما رأتها البسوس ألقت خمارها من على رأسها وصاحت : واذلاه وجاراه ، وأحمست جساسا فركب فرسا له حتى دخل على كليب فطعنه جساس فقصم صلبه ، فقامت الحرب بسبب ذلك وهى الحرب المشهورة بحرب البسوس ؛ والعرب تقول فى ذلك : أشأم من سراب ، وأشأم من البسوس . و يقال : إنها دامت بين بنى بكر وتغلب أربعين سنة وانتهت بقتل جساس . (٢) الرجاس : السحاب الشديد الصوت .
(٣) الأخماس : جمع خمس وهو نصيب يؤخذ فى الغنائم ، يقال : ربع فى الجاهلية وخمس فى الإسلام ، أى أخذ ربع الغنيمة فى الجاهلية وخمسها فى الإسلام . (٤) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة ؛ يقال للذليـــل : هو أذل من فقع بقرقر . (٥) القـــرقر : الأرض المطمئنة اللينة .
(٦) أظلاف : جمع ظلف وهو خف البعير ، أو حافر الفرس . (٧) يفرى : يشق و يقطع .
(٨) الأفنـان : الأغصان واحدها فنن . (٩) العـاسى : الذى غلظ وصلب من النبات .
(١٠) أرماس : جمع رمس وهو القبر .

يؤيده الرحمن في كلِّ موقف ... بنصر يعود الليثُ وهـو به خاسِ (١)

جيوشٌ من الأقـدارِ تُفْنِي عُداته ... بلا ضربِ إيثاخ ولا طعنِ أشناسِ (٢)

وكم شهــدَتْ يوما أغرَّ محجَّلا ... تُخلِّده الأقــلامُ ذِكرا بأطراسِ (٣)

يُشا كِلُ "بدرا" (٤) والملائكُ حُضَّرٌ ... ويذكُرُ جندا أُنزِلتْ يومَ "أَوْطاسِ"

وقـد علِم المصريُّ (٥) أنَّ جنوده ... سِنُو "يوسف" منها وطاعونُ "عَمْواسِ"

أحاطتْ به حتَّى آستراب بنفسهِ ... وأوجس فيهـا خِيفـةً أيَّ إيجاسِ

قصورٌ على "الفسطاط" (٦) أضحتْ كأنها ... قفـارُ ربوعٍ "بالسَّماوة" (٧) أدراسِ (٨)

سهامُ "أميرِ المؤمنين" مَكايدٌ ... ورُبَّ سهامٍ طرن عن غير أقواسِ

هو المصطَفِي التقوَى متاعًا لنفسه ... بجـوهرِها حالٍ بسُنْدُسِها كاسِ

إذا وطِئت شُوسُ الملوك بِساطَه ... تضاءل منهـا كلُّ أغلبَ (٩) هِرماسِ (١٠)

تخِــرُّ بهِ شُمُّ الجمـاجم سُجَّــدا ... ويخشَعُ فيــه كلُّ ذى خُلُق جاسِ (١١)

---

(١) الخاسى : الصاغر الذليل . (٢) ائياخ وأشـناس : كذا بالأصـل ولعل الأولى "أثباج" جمع ثبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر؛ والثانيـة لم نوفق الى مراد الشاعر فيها .

(٣) أطراس : جمـع طرس وهو الصحيفة . (٤) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينـة وبهـذا الماء كانت الوقعـة التى أظهر الله بها الإسلام وفرّق بين الحق والباطل . وأوطاس : واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين للنبى صلى الله عليه وسلم . (٥) يشير الشاعر الى الغلاء الذى حصـل فى مصر أيام المستنصر العباسى . وعمواس : كورة بفلسطين بالقرب من بيت المقـدس، وفيها كان ابتداء الطاعون فى أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم فشا فى أرض الشام فأهلك خلقا كثيرا وذلك فى سنة ١٨ من الهجرة . (٦) الفسطاط : مصر القديمة . (٧) السماوة : بادية بين الكوفة والشام . (٨) أدراس : بالية . (٩) الأغلب : الأسد الغليظ الرقبة .

(١٠) الهرماس : الأسد الشديد . (١١) الجاسى : الجافى .

يُحِبُّونَ من جسمِ النبوّةِ بَضعةً ... هى القلبُ فى الحَيزومِ[1] والعينُ فى الراسِ

ويَغشَونَ قَرْماً من "لؤىّ بن غالبٍ" ... يعـدَّدُ فى أنسابه كلُّ قِنعاسِ[2]

من الخلفاءِ الرافعينَ بِناءهم ... بأطولِ أعمادٍ وأثبتِ آساسِ

رعَتْ ذممَ الإسلامِ منهم كوالئٌ[3] ... وسِيستْ أمورُ الملكِ منهم بسُوَّاسِ

نجومٌ إذا السارونَ ضلُّوا هدتهُمُ ... هـدايةَ نيرانٍ رُفِعن بقُرناسِ[4]

قِداحُهُمُ يومَ الفخارِ فوائزٌ ... وأسهمُهم إن نازلوا غيرُ أنكاسِ[5]

همُ ملئوا الدنيا بطيبِ حديثهم ... كما ملأ الأسماعَ قعقاعُ[6] أجراسِ

كرهبانِ ليلٍ لا تلائمُ مضجعاً ... وأُسْدِ صباحٍ ما تَقِرُّ بأخياسِ[7]

وما منهمُ من ملَّكَ البِيضَ[8] قلبَه ... ولا طمِعتْ فى لُبِّه ونْبةُ الكاسِ

عَتادُهم فى حَجِّهم وجِهادهم ... جراجرُ[9] أجمالٍ وتَصهالُ أفراسِ

أولئك آباءُ الإمامِ ورهطُهُ ... أصولُ كرامٍ زَيَّنَتْ خيرَ أغراسِ

عَمِرتَ "أميرَ المؤمنين" بنعمةٍ ... وعيشٍ صفيقِ الظِّلِّ[10] أخضرَ ميَّاسِ

ولا زالت العلياءُ عندك وفدُها ... يروح بأنواعٍ ويغدو بأجناسِ

---

(١) الحيزوم : الصدر. (٢) القنعاس : الرجل الشديد المنيع . (٣) الكوالىء : الحفاظ

(٤) القرناس — بكسر القاف وضمها — : شبه الأنف يتقدم من الجبل . (٥) الأنكاس : ال

الضعيفة التى ينكسر فوقها ، واحدها : نكس — بكسر النون — (٦) فى الأصل هكذا "تنقاع"

(٧) الأخياس : بيوت الآساد ، واحدها خيس . (٨) البيض : الجوارى الحسان

(٩) الجرجرة : ترديد صوت البعير فى حنجرته ، والتصهال : الصهيل وهو صوت الفرس .

(١٠) الصفيق : الثخين المنسوج نسجا متينا ؛ وهو مجاز .

أبحتَ حِمَى الإحسانِ حتّى أصابه … معاشرُ من نَيـل المنى غيرُ أكياسِ

وما نعـــمةٌ إلا أفضتَ لباسَهـا … على من عهدناه لها غيرَ لبَّاسِ

مواهبُ فيهـا لابنِ حِصنٍ وحابسٍ … نصيبٌ، فهـلَّا مثلُه لابن مِرداسِ،؟

فـالى وبحرُ الفضل عنـدك زاخرٌ … يطاوَل فى دار المُقـامة أحلاسى(١)!!

إذا رُفعت نارُ القِرَى لك أُوقدتْ … مَصابيحُ لم يُستدنَ فيهنَّ مِقبـاسى

أعوذُ بواديك المقـدَّسِ أن أُرى … فريسةَ قنّاصٍ من الدهرِ نهّـاسِ(٢)

بلا رِقبـــةٍ جَـورُ الزمان وعدلُهُ … وتحريجُـــه جارٍ على غيرِ مقياسِ

فإن تصطنــعْ نُعمى فأنتَ وليُّهـا … وهيهات تُقضَى من رجائك أحلاسى(٣)

تنال بأدنى القولِ منك مدَى العلا … ولا عجبٌ أن يُحضر الدُّرُّ بالمـاسِ

وإن كان ثدىُ الجود عندك حافلا(٤) … فقـــد يُمتَرَى(٥) دَرُّ اللَّبونِ(٦) بإبساسِ(٧)

تعامت لنـا الأيامُ عنك وأبلستْ(٨) … نوائبُهـا عن قصـدها أىَّ إبلاسِ

فليستْ صروفُ الدهرِ ما دمتَ سالما … مُعاشرَ أهليهـا ـ بخـوفٍ ولا باسِ

---

(١) أحلاس: جمع حلس وهو كل شىء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج، وفى الأصل: * ومالى وبحر الفضل عنـدى * الخ وحلاسى بدل أحلاسى ولعل ما رجحناه أقرب الى الصواب. (٢) النهاس — بالمهملة —: النهاش — بالمعجمة — (٣) أحلاس: جمع حلس وهو الرابع من سهام الميسر وله غنم أربعة أنصباء، والحلس أيضا العهد والميثاق. (٤) حافلا: ممتلئا. (٥) يمترى: يحلب. (٦) اللبون: كثيرة اللبن. (٧) الإبساس: دعاء الناقة للحلب. (٨) أبلس: تحير ولم يهتد.

***

وقال يمدح رئيس الرؤساء أبا القاسم بن المسلمة (١) :

لو كنتُ أُشفقُ من خضيبِ بنانِ ... ما زرتُ حيَّكُمُ بغير أمانِ

يا صبوةً دبَّت إلىَّ خديعةً ... كالخمر تسرقُ يقظةَ النشوانِ

أُنظرْ فما غضُّ الجفون بنافع ... قلبا يَرى ما لا تَرى العينانِ

ولقد محا الشَّيبُ الشبابَ وما محا ... عهدَ الهوى معه ولا أَنسانى

فعلمتُ أن الحبَّ فيه غَوايةٌ ... مغتالةٌ للشَّيبِ والشُّبّانِ

ما فوق أعجازِ الركابِ رسالةٌ ... تُلهى، ففيمَ تَحيّةُ الرُّكبانِ؟!

عذرا، فلو علموا جواك لساءلوا ... غِزلانَ "وَجرةَ" (٢) عن غصون البانِ

قُولا لكُثبان "العقيقِ" (٣) : تطاولِى ... دون "الحِمَى" أقدُرْك بالطَّمَحان

وليَنسِفَنَّ الرملَ زَفرةُ مدنفٍ ... إن لم يُعنْهُ الدمع بالهملانِ

عجِل الفريقُ وكلُّ طَرفٍ إثرَهم ... متعثّرُ اللحظاتِ بالأظعانِ (٤)

وكأنما رُدْناىَ (٥) يومَ لقيتُها ... بالدمع قد نُسِجا من الأجفانِ

كلِّفْ تجلّدِىَ الذى يستطيعهُ ... هل فىَّ إلّا قدرةُ الإنسانِ

---

(١) هو على بن الحسين كان فى بيت رياسة ومكانة استكتبه القائم بأمر الله العباسى ثم استوزره ولقبه "رئيس الرؤساء" . ولد فى شعبان سنة ٣٩٩ هجرية وقتل سنة ٤٥٠ ، وله تاريخ طويل يرجع اليه فى مظانه . (٢) وجرة : موضع بين مكة والبصرة مكتظ بالوحش . (٣) الكثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل ، والعقيق : ناحية بالمدينة . (٤) الأظعان : الإبل تحمل النساء ، أو هى الهوادج يجلسن فيها . (٥) الردن : الكم .

ولئن قررتُ من الهوى بجُشاشتى ... فالحبُّ شرُّ متالف الحيوانِ

يدرى الذى نضح الفؤاد بنَبْله ... أنْ قد رمى كَشْحيْهِ(١) حين رمانى

لو لم تكن عينى على أطلالهم ... عُقِرتْ لما سَفحتْ بأحمرَ قانى

متأولين على الجفون تجنّياً ... فالدمع يُمطرهم بذى ألوانِ

ولو أنه ماءٌ، لقالوا : دمعُهُ ... رِيقٌ، وجفنا عينه شَفتانِ

ظمئى إلى ماء "القُبَيبِ"(٢) لأنه ... وِردُ اللَّمى(٣) ومناهلُ الأغصانِ

ولنِعمَ هينمةُ النسيمِ محدِّثا ... عن طِيبِ ذلك الجيبِ والأردانِ(٤)

إن لم يكن سهلُ "اللوى"(٥) وحزونُهُ ... وطنى فإنَّ أنيسَه خُلّانى

ولو أنهم حلّوا "زرودَ"(٦) منحتُهُ ... كلَفى وقلتُ : الدارُ بالجيرانِ

عَلَقٌ تلاعبُ بى ورُبَّ لُبانةٍ ... "شاميّةٍ" شغفتْ فؤادَ "يمانى"

هل تُبلغنّى دارَهُم مزمومةٌ ... بالشوقِ موقَرةٌ(٧) من الأشجانِ؟

فعسى أميلُ إلى القِبابِ مناجيا ... بضمائرٍ ثقُلتْ على الكتمانِ

وأطاردُ المُقَلَ اللواتى فتكُها ... يُملى علىَّ مَقاتلَ الفُرسانِ

متجاذبين من الحديث طرائفا ... يُصغى لطيبِ سماعها النِّضوانِ(٨)

---

(١) الكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو أقصر الأضلاع . (٢) القبيب : موضع بين تبوك ومعان . على طريق حاج الشام . (٣) اللمى : سمرة فى باطن الشفة . (٤) الأردان : جمع ردن وهو الكم . (٥) اللوى : واد من الأودية وهو بعينه . (٦) زرود : اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة . (٧) موقرة : مثقلة . (٨) النضو : المعى المهزول من الإبل .

كَرِّرْ لحاظَكَ فى الحُدوجِ (١) فبعدها ... هيهات أن يتجاور الجيرانِ

من بعــد ما أرغمتُ أنفَ رقيبِهم ... حنقًا وخُضتُ حميَّــة الغَــيْرانِ

وطرقتُ أرضَهُمُ ، وتحتَ سمائها ... — عددَ النجومِ — أسنةُ الخُرصانِ (٢)

أرضٌ جَداولُها السيوف وعُشبُها ... نَبْــعٌ (٣) وما ركزوا من المُـرَّانِ (٤)

فى معشرٍ عشقوا الذُّحولَ (٥) وآثروا ... شُــربَ الدماءِ بها على الألبانِ

قومٌ إذا حيَّا الضيوفُ جِفانَهم ... ردَّتْ عليهــمْ ألسنُ النيرانِ

وإذَا شَواةُ (٦) الرأس صوَّحَ نبتُها ... فعلى قضاءِ مآربٍ من شانِ

ولتعلَمنَّ البيــدُ أنَّ جِباهَها ... موســومةٌ بالنَّصِّ (٧) والوخَــدانِ

يُزجَرْنَ أمثالَ القِــداحِ ضَوامرا ... ويُرَحْنَ أمثالَ القِسىِّ حــوانى

أو ينتهينَ إلى جنابٍ ترتــعى ... فيــه الوفودُ منابتَ الإحسانِ

ربُّ المآثرِ والمحامــدِ ربُّــه ... وولىُّ بِكرِ صــنيعةٍ وعَــوانِ (٨)

تلقَ الجبابرةُ المصاعبُ وجهَــهُ ... بجماجمٍ تحنــو عــلى الأذقانِ

متهافتــين على الصَّعيدِ كأنَّهــم ... شربــوا بهيبتِــهِ سُلافَ دِنانِ

وطِئــوا سَنابكَ خيــله بشفاههم ... قُبَــلا وجلَّتْ عنهم القَــدمانِ

(١) الحدوج : مراكب النساء وهى الهوادج أو المحفات . (٢) الخرصان : الرماح ، واحدها خرص — بتثليث الخاء — . (٣) النبع : شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام . (٤) المران : الرماح . (٥) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . (٦) الشواة : جلد الرأس . (٧) النص والوخدان : ضربان من السير . (٨) العوان : الثيب .

حتى إذا صدعوا السُّرادقَ أطرقت — تلك اللواحــــظُ عن أغرَّ هِجانِ (١)

قــد أيقنت قِمَمُ (٢) المـلوك بأنه — إن شاء طلَّقهـا من التيجانِ

خطـرًا أبا قَرْعَى (٣) الفِصال مُقاربا — إن القُــروم (٤) أحقُّ بالخطَــرانِ

فذروا "الحِمى" يرعى بـه متخمِّطٌ (٥) — تُخشى بوادرُه عـلى الأقـرانِ

ما بين ساعده المصــورِ (٦) محرَّمٌ — فتعرَّضــوا لفريســةِ السِّرحانِ (٧)

لا تَطعمــنَّ لبُغـاتِكم فى مأزِقٍ (٨) — حامت عليــه كواســرُ العِقبانِ (٩)

لمجلس الشــرقىِّ أبعدُ غايــة — فى يوم مَلحمــةٍ ويــومِ رِهانِ

فركابُه ما تنــثنى بأزمَّــةٍ — وجيادُه ما ترعــوِى بعِنـانِ

هِمَمٌ كما سرتِ البروقُ خواطفـا — فى حاصبٍ (١٠) أو عـارضٍ (١١) هتَّانِ

وعزائمٌ رُبِّيَتْ وأطـرافَ القنا — وظُبا الســيوفِ وارضعت بلبـانِ

إن الورى لمـا دعــوْه "جمالَهم" — حلُّوا من العلياءِ خـيرَ مكانِ

وأتتْ به "عدنانُ" فى أحسابهـا — حتى أقــرَّ لهـا بنـو "قحطانِ"

مجـدٌ أطـلَّ على الزمانِ وأهـلِهِ — متقيَّــلٌ فى ظـلِّه الثَّقَلانِ

---

(١) الهجان : الكريم . (٢) القمم : الرءوس . (٣) قرعى : جمع قريع والقرعى من الفصال : التى أصابها قرع وفى المثل : " استنت الفصال حتى القرعى " يضرب للضعيف الذى يتشبه بالأقوياء .
(٤) القرم : الفحل العظيم . (٥) المتخمط : الفحل الهادر . (٦) المصور : الكاسر .
(٧) السرحان : الذئب . (٨) المأزق : المضيق . (٩) العقبان : جمع عقاب وهى طائر من الجوارح ، وهى حادة البصر ولهذا قالت العرب : «أبصر من عقاب» . (١٠) الحاصب : الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء . (١١) العارض : السحاب المعترض فى الأفق .

ومفاخــرٌ مشهودةٌ يَقضِى لهـا … يومَ النفار ســواجعُ الكُهّانِ

من ذا يحـاذبه الفخارَ وقــد لوى … أطنـابَه فى " يَذبُلٍ " " وأبانِ " (١)

طَلّاب ثأرِ المجــد وهــو مدفّعٌ … بين اللئـام مسَــفَّه الأعوانِ

لم يرضَ ما سنّ الكرامُ أمامَــه … حــتى أتى بغــرائبٍ ومَعـانِ

نسخت فضـائلُه خِلالَهــم التى … نجحــوا بهـا فى سالف الأزمانِ

فهى المنـاقبُ، او تقـدّم ذكرُها … تُليتْ مَثانيهن فى القــرآنِ

يعطيــك ما حَرَم الجـوادُ، ودينُه … أن الـــثراءَ وعُدْمَهُ سِيّانِ

وإذا رجالٌ حصّــنوا أموالَهـم … جعَـل المواهبَ أوثقَ الخُــزّانِ

كم أزمــةٍ ضحِكت بهـا أنواءُهُ … والغيثُ لا يــلوِى على ظمــآنِ

من راحتِه نوافـلٌ (٢) ومنـائحٌ … ومن القــلوب مطامــعٌ وأمانى

فحَـذارِ أن يطغَى السؤالُ بطالبٍ … رفـدًا فيركــبَ غاربَ الطُّوفانِ

وأصبْتُ، قد يَحكى السحابُ نوالَه … لكنّ ذا ناءٍ وهــذا دانِ

وقرنتُــه بالبحـر يقـذِفُ باللُّهَى (٣) … ونسيتُ ما فيه من الحَــدَثانِ

وذكرتُ مافى الليثِ من سَطَواته … ولربّمـا وَلّى عن الأقــرانِ

لا تعــدَم الأزمانُ رأيَــك إنه … فى ليلِهـا ونهـارِها القمــرانِ

---

(١) يذبل وأبان : جبلان . (٢) النوافل : جمع نافلة وهى العطية . (٣) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا .

رأىٌ سَقَى اللهُ الخــلافةَ صوبَهُ ورمى بصاعقــهِ ذوى الشَّنآنِ (١)

نُجُحا بنى "العبّاس" إنّ قناتَكم هُزَّتْ بأحــذقِ ساعدٍ بطعانِ

جَــدٌّ أمــدّ عديدَكم من غِيــله (٢) بأشــدَّ من أسَـد العرين الجانى

يحمى ذمارَكُمُ بغــير مساعدٍ ويحــوط سَرحكُمُ بلا أعــوانِ

وثباتُه العــزم الذليق (٣) إذا ســطا وزئيره حُــكْمٌ وفصــلُ بيــانِ

مستلئِم (٤) بجَنانه وبنانِهِ ولسـانه ، مِضــرابةٍ مِطعانِ

لما رأى — والحزمُ ينفعُ أهلَهَ — عَوْدَ (٥) الخلافةِ ضاربًا بجــرانِ ،

والسيفَ لم يَرْكُضْ بكفَّىْ ضاربٍ والرمحَ لم يَطمحْ بعينِ سِنانِ ، :

داوَى عيَاءَ الداءِ ساحرُ رفقِــهِ والنُّقْبُ (٦) يَشْــفيه هِنَـاءُ (٧) الهانى

حــتى إذا برح الخفـاءُ وسفَّهتْ حِلمَ الحلــيمِ حفيظةُ الغضــبانِ ،

ورأى الهَــوادَة (٨) مَروةً (٩) مقــروعةً والسِّــلم مطعمةَ العــدوّ الوانى ، :

نادى فلبَّاه صهيلُ ســوابقٍ وأطيــطُ (١٠) كلِّ حنيَّــةٍ (١١) مِرنانِ

وفوارسٌ يَصلَوْن نيرانَ الوغى مما تُثــيرُ جيــادُهم بدخانِ

---

(١) الشنآن : العداوة والبغض . (٢) الغيل والعرين : مربض الأسد ، ومن معانى الأول : الشجر الكثير الملتف ، والأجمة . (٣) الذليق : الشـديد ، وفى الأصل : "الذلوق" . (٤) مستلئم : متدرع . (٥) العود : الجمل المسن ، والجران : عنق البعير من مذبحه إلى منحره . (٦) النقب : الجرب . (٧) الهناء : القطران ، والهانئ : الطالى بالهناء . (٨) الهوادة : اللين والرفق . (٩) المرو : حجارة صلبة براقة ، واحدها : مروة . (١٠) الأطيط : الصوت . (١١) الحنية المرنان : القوس التى ترن عند خروج السهم منها .

جنَبوا إلى الأعــداءِ كلَّ طِمِـرَّةٍ (١) بُنيت مفـاصلُهـا على شَـيطانِ

مثـــل المَـراقِبِ (٢) تحتهـم وهُمُ على صهواتهـا كالهَضْب (٣) من "ثَهلانَ" (٤)

طلعوا طلوعَ الشمسِ يغمُرُ ضوءُها هامَ (٥) الرُّبَى ومغابنَ (٦) الغيطانِ

وكأنمـا سجـــدتْ قِســيُّهم إلى لألاء وجهـك إذ أتتـك حـوانِى

من بعد ما ســدّوا الفضاءَ وحرَّموا نَفَـــلَ (٧) الربيـع به على الغِـــزلانِ

يتسابقــون إلى المنــون فكلُّهم يغشَى الردَى ما عُـــدّ فى الوِلدانِ

وإذا همُ عدِموا مَقـاودَ خيلهـم فتلوا لهـــنَّ ذوائبَ (٨) الفُـــرسانِ

فى كلِّ معـتركٍ تُجيـلُ كماتُهـم (٩) قِدْحا (١٠) يفــوز إذا آلتـقَى الجمعـانِ

فآسئل جبالَ "الروم" لمَّا طوَّقوا أعناقهَـا من جمعهـــم برِعانِ (١١)

ترعَى بهـا زُهرَ النجوم جيـادُهم ومن الســحاب يَرِدنَ فى غُدرانِ

فكأنهـــم يبغون فى فلَك الذُّرَى أن يأسروا "العَيُّـوقَ" (١٢) "للدَّبَرانِ"

تركوا المعـاركَ كالمناحِرِمن "مِنًى" وجماجمَ الأعـــداء كالقُـــربانِ

---

(١) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٢) المراقب : جمع مرقب وهو الموضع المشرف .
(٣) الهضب : جمع هضبة وهى الجبل خلق من صخرة واحدة . (٤) ثهلان : اسم جبل .
(٥) الهام : جمع هامة وهى الرأس أو أعلى الشىء . (٦) المغابن : جمع مغبن وهو الأرض السهلة .
(٧) النفل : نبت أصـفر طيب الرائحة تسمن عليه الخيل . (٨) الذوائب : شـعور النواصى ، واحدها : ذؤابة . (٩) كماة : جمع كام وهو البطل . (١٠) القـدح : سهم الميسر . (١١) الرعان : الجبال الطوال ، واحدها رعن — بسكون العـين — .
(١٢) العيوق : اسم نجم يتلو الثريا ، والدبران : منزل للقمر .

فكأنما فــرش النجيع (١) تلاعها (٢) ووهادها (٣) " بشقائق النعــمان (٤) "

فأتاك وقد بنى " الأصيفر (٥) " يرتمى بهــم جناحا ذلة وهــوان

جنحوا به مستسلمين وطالما شمخــوا بدينهــم على الأديان

بذلوا الإتاوة عن يد فكأنهــم عقدوا بذاك الغرم عقــد ضمان

فى كل يوم تستــهل كنوزهم كرما بعشــر مجىء من العقيان

وبرزت فى حلل الوقار بهيبــة فقأت عيــون الكفر بالإيمان

وكفاك أن قدت الضلالة بالهدى وجعلت دار الحــرب دار أمان

هذا " العراق " قد انجلت شبهاته وصــفا من الأقــذاء والأدران

إن مســه نصب الورود فإنه ســيذيخ من نعــماك فى اعطان

نفرت ذؤبان (٦) " الغضا " عن شربه فالأمن يسرحه بــلا رعيــان

ولى " أرسلان (٧) " يمسح فى الحشا قلبا يشــير عليــه بالطــيران

وهوت " بنو أسد " تشل لقاحها فتسيل بين " الحزن " " فالصمان (٨) "

وجرى الغراب مع البوارح صائحا بالبين بين منازل " الجاوان (٩) "

---

(١) النجيع : الدم . (٢) التلاع : واحدها تلعة وهى ما علا من الأرض . (٣) الوهاد : ما انخفض من الأرض ؛ واحدها : وهدة . (٤) شقائق النعمان : نبات أحمر يشبه الدم به . (٥) بنو الأصفر : الروم . (٦) ذؤبان : جمع ذئب وهو معروف . (٧) يشير الشاعر الى أرسلان التركى المعروف بالبساسيرى كان خصيصا عنــد القائم بأمر الله ، فتجبر وطغى بخفاء القائم فخطب ضــد القائم للمستنصر ، وقد قتــل شر قتلة . (٨) الحزن والصمان : موضعان . (٩) الجاوان : قبيلة من الأكراد سكنوا الحلة المزيدية من العراق .

وطوتْ "عقيلٌ" عَرضَ كلِّ تنوفةٍ بذميلِ (١) ذِعلبــةٍ (٢) وركضِ حِصانِ

"بالشام" ألَّفَ خوفُ بإسك بينهم وقلوبُهــم شــتَّى من الأضـغانِ

هيهاتَ لو رِكبوا "النعائمَ" (٣) في الدجى وأردتَ لاَقتنصـاهُم (٤) النَّسـرانِ (٥)

وكذا عدوُّك إنْ نجـا جُثمانه فالقلبُ في قِـدِّ (٦) المخافةِ عانِ (٧)

ما بين "مصرَ" وبين عزمِك موعدٌ متــوقِّعٌ لوفائــه الهــرَمانِ

إن صانهـا بُعــدُ المـدَى فلمثلها تقتادُ كلّ نجيبــةٍ مِــذعانِ

ماءُ الجـــداول للأكفِّ وإنمـا ماء القَليبِ (٨) يُنـال بالأشــطانِ (٩)

من كان شرقُ الأرض طوعَ زمامِهِ لِمَ لا يصــرِّف غَربَها بعِنـانِ

والجيشُ مَجْــرٌ (١٠) والأوامرُ طاعــةٌ والنصــر مرجــوٌّ من الرحمنِ

* * *

وقال يمدحُه أيضا سنة ثمان وأربعين — أي بعد الأربعمائة — :

تَزاوَرنَ عن "أذرِعات" (١١) يمينا نواشــزَ (١٢) ليس يُطعنَ البُرِينا (١٣)

---

(١) الذميل : ضرب من السير . (٢) الذعلبة : الناقة السريعة . (٣) النعائم : منزلة من منازل القمر وهى ثمانية كواكب أربعة فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعــة خارجة وتسمى الصادرة ؛ وهى أيضا جمع نعامى وهى ريح الجنوب . (٤) اقتنصاهم بالألف الدالة على التثنية على لغــة من يلحقها الفعل المسند الى الفاعل الظاهر وهى لغة قليلة . (٥) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع . (٦) القــد : القيد للأسير يقد من جلد . (٧) العـانى : الأسير . (٨) القليب : البـئر . (٩) الأشطان : الحبـال . (١٠) المجر : الكثير . (١١) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ؛ — تنسب اليه الخمر — . (١٢) نواشز : مستعصيات . (١٣) برين : جمع برة وهى حلقة تجعل فى أنف البعير يكون فيها زمامه .

كَلِفنَ "بنجدٍ" كأنَّ الرياضَ ... أخذنَ "لنجدٍ" عليها يمينا

وأقسمن يحملنَ إلا نحيلا ... اليه ويُبلغنَ إلا حزينا

ولما استمعن زفيرَ المشوق ... ونوحَ الحمام تركنَ الحنينا

إذا جئتما بانة "الواديين" ... فأرخوا النسوع[1] وحُلّوا الوضينا[2]

فثَمَّ علائقُ من أجلهنَّ ... مُلاءُ الضحى والدجى قد طُوينا

وقد أنبأتْهم مياهُ الجفون ... أنّ بقلبك داءً دفينا

لعلَّ تمائمَ ذاك الغزال ... تُداوِي وَلوعا وتَشفِي جنونا

لقد شبَّ بيني هذا الغرامُ ... وما بين قومكِ حَربا زَبونا[3]

تُراهم يظنّون لما أغرتُ ... بلحظى عليهنّ أن قد سُبينا

وماذا على مُسلِفٍ فى الظباءِ ... أُلطَّ[4] به فتقاضَى الديونا؟!

تلوم على شغفى بالقدود ... فهبْنيَ وَرْقاءَ[5] تهوَى الغصونا

سواءٌ نشيدى بهنّ النسيبَ ... وترجيعُها بينهنَّ اللُّحونا

ألا لَحِيَ الحسنُ من باخلٍ ... أبَى أن يصاحبَ إلا ضنينا

وإنّ وَلوعى بأهل "الحمى" ... يخيِّل لى كلَّ سِربٍ قَطينا[6]

---

(١) نسوع: جمع نسع وهو حبل يشد به الرحل. (٢) الوضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للهودج بمنزلة الحزام للسرج. (٣) الزبون: التى يدفع بعضها بعضا فى الكثرة. (٤) ألط به: موطل فى دينه. (٥) الورقاء: الحمامة يضرب لونها الى خضرة. (٦) القطين: القاطن.

أينشُــدُ رُعيانُهــم أن أضلّوا بعـيرا ولا أنشُــد الظاعنينا؟!

وفي السِّربِ أحوى إذا ما استراب بقنّاصِــه أمَّ دارا شَـطونا (١)

ظللتُ أكُرّ عليـه الرُّقَى وتأبَى عريكتُه أن تلينا

يصون محاسِــنَه بالصــدو دِ إذ ليس يلقَى عليها أمينا

ودون البراقع مكحــولةٌ تعــلّم طبعَ السهـام القُيونا (٢)

وما كنتُ أعلم من قبلهنّ أن الأسـنّة تُسمَى عيونا

صــوارمُ تَهَزُّ فتقَ الجــراح وما خُلقتْ للضِّراب الجفونا

نوَدُّ النحورَ ونهـوَى الثغورَ ونعــلَم أنّا نحبُّ المنــونا

أقلنى من الوُخَّد الراسما تِ أكُفِك من حبّهم أن يبينا (٣)

ألسَنَ اللواتى هَزَزن الحُدُو جَ هزًّا يُطاير عنها العُهونا (٤)

فكلُّ فنيقٍ ببطن "العقيق" (٥) من الضُّمْر (٦) قد أخدَجَتْه (٧) جنينا

عدِمتُ فتًى عند نقع الصريـ خ يُقعِى (٨) عـلى أسْكَتَيه (٩) بطينا

يعــدُّ المفـاخرَ والمكـرما تِ طرفا كحيلا ورأسا دهينا

(١) الأحوى : الذى فى شـفته سمرة . والشطون البعيدة . (٢) القيون : جمع قين وهو جلاء السيوف وصانعها ، ولعله يطلق على صانع السهام من باب التوسع . (٣) الوخد الراسمات : الإبل التى من دأبها الوخد والرسيم وهما ضربان من السير . (٤) العهون : جمع عهن وهو الصوف . (٥) الفنيق : الجمل الصعب المكرم . (٦) الضمر : الهزال . (٧) أخدجته : ولدته ناقصا لغير تمـام . (٨) يقعى : يجلس على إليته و يرفع فخذيه . (٩) الأسكَتان — وتكسر الهمزة — : جانبا الاست .

فهل لكَ فى بسط أيدى المطىّ تَطوى المهامــهَ(١) بِيناً(٢) فبِينا؟

إذا ما صُبغنَ بوَرسِ(٣) الهجيـ ـر حمرا تجلّينَ بالليل جُونا(٤)

فشبّهنَ لُجَّ السّرابِ البحورَ وشبّهنَ السرابُ السفينا

وما تستطيلُ المـدى أينُقٌ بمجد "جمال" الورى قد حُدينا

وجدنا لديه ربيعَ الثنا ء غضّا وماءَ المعالى معينا

تبوّأ فى المجـد بحبوحـةً على مثلها يكمَد الحاسدونا

ينادى السّماحُ بأبوابه: ألا نِعْمَ ما قرعَ الطارقونا

وتحسبُ من بأسه والبها ء مجلسَه فلكا أو عرينا(٥)

لكل مَبزٍّ(٦) به مجدةٌ تسابق فيـه الشفاهُ الجبينا

مقامٌ تخاذلُ من هوله خُطَى القوم حتى تراهم صُفُونا(٧)

طغتْ يدُه وعلتْ فى السما ح حتّى ذممنا السحابَ الهتونا

إذا ما ادّعت صوبهُ المعصرا تُ ردّت عليهنّ غُبْر السنينا

أيحكى بوارقَها والقِطا رُ للعين عسجدَه(٨) والرَّقينا(٩)!

وما النارُ من ذَهب المجتدين وما الماءُ من فِضّة الراغبينا!

(١) المهامه : جمع مهمه وهو المفازة . (٢) البين : القطعة من الأرض قدر مد البصر .
(٣) الورس : نبات يصبغ به . (٤) جونا : سودا . (٥) العرين : بيت الأسد .
(٦) المبز : اسم مكان من بز بمعنى غلب . (٧) صفون : جمع صافن ، وهو القائم .
(٨) العسجد : الذهب . (٩) الرقين : الفضة .

أفى دِية البخــلِ لمـّا أماتَ يؤدّى الألوفَ ويُعطى المئينا؟
بمـا شئتَ يسخو ولولا الحيا ءُ من مجــده قدَّ المجــدَ فينا
ويأبَى على ســرَفِ الطـالبيـ ـنَ ألّا يُصدِّق فيــه الظنونا
ومن يستدلُّ على المكرمات يُمِــرّ(١) من الشــكر حبلا متينا
وما زال يَكذِبُ وعــدُ المنى إلى أنْ أقامت يداه ضمينا
وقد غَمزت عُودَه النـائباتُ فـلم تجد الضارعَ المسـتكينا
وإن زعزعتْه فإن القنا ةَ للطعن زعزعها الطاعنونا
سرى عزمه والكرى خمـرة يُدِير زجاجتَها الهـاجعونا
فبـات عـلى صهواتِ الخطو ب أقنَى(٢) يقلِّب طَرْفا شَــفونا(٣)
إذا ما آرتقى ظنُّــه مرباً من الغيب أوحَى إليــه اليقينا
وأفوهَ طارده بالجِـــدال نخرّ بغـــير العوالى طعينـا
وكم خُطّـــة أفردتُه الرجا لُ فيهـا وولت شَعاعا عِضينا(٤)
أضــاء بحِنــدِسِها رأيُه وكان له الله فيهـا مُعينا
ففى كلّ يومٍ يُوافى البشيرُ بفتــحٍ مبينٍ يُقرُّ العيونا
رَمى أهلَ "بابلَ" فى سِحرهم برقشاءَ(٥) تلقَفُ ما يأفِكونا

---

(١) أمر الحبل : أحكم فتله . (٢) الأقنى : الصقر . (٣) الطرف الشفون : الذى لا يفتر عن النظر من شدّة الحذر . (٤) شعاعا عضينا : متفرقة متجزئة . (٥) الرقشاء : الحية .

ألم تعلمـوا أنّ فى أفقـه	سحـائبَ، أمطارُها الدارعونا (١)
وفتيانَ صـدقٍ تكون السهامُ	طليعتَهـم والسـيوفُ الكمينا،
وجُرْدا (٢) إذا وَجِيَتْ (٣) بالبطـا	ح (٤) أحذَى (٥) سنابكَهن (٦) الوَجينـا (٧)،
فيـوما لنُعمَى تَلُسّ (٨) الغَميرَ (٩)	ويوما لبؤسَى تَسُفّ الدَّرينـا (١٠)
جرتْ سُنُحا بنواصى "العراق"	فأحجم عن زجرها العـائفونا
وحكّتْ على "واسطٍ" بَرْكَها (١١)	بيومٍ عسـيرٍ أشـابَ القرونا
تصبُّ على الفئـةِ الناكثين	لعهدك سـوطَ عذابٍ مُهينا
فتـلك جمـاجُمهم فى الصعيـ	ـد تتّخـذ الطيرُ فيها وُكـونا (١٢)
مَرَى (١٣) "ابنَ فسنجُسَ" من خِلفها (١٤)	زُعافا (١٥) وما كـلُّ خِلفٍ لَبونا
فطـار على قادماتِ الفِـرار	جريضـا (١٦) وكان فِرارا حَرونا
زجَتْه إليـك أكفُّ القضاءِ	وتأتى بأقـدامها الحـائنونا (١٧)
وفى دار "بَكْرٍ" لهـا رجفـةٌ	أزالت صياصِيَهـا (١٨) والحصونا

(١) الدارعون : لابسو الدروع . (٢) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . (٣) وجيت : حفيت . (٤) البطاح : الحصى الصغار، واحدها بطحاء . (٥) أحذى : ألبسها حذاء . (٦) السنابك : حوافر الخيل . (٧) الوجين : الحجارة . (٨) تلس : تتناول . (٩) الغمير : النبات الأخضر . (١٠) الدرين : يبيس الحشيش . (١١) البرك : الصدر . (١٢) وكون : جمع وكن وهو عش الطائر كالوكر . (١٣) مرى : حلب . (١٤) الخلف اللبون : الضرع الحافل باللبن . (١٥) الزعاف : السم القاتل السريع . (١٦) الجريض : المغموم . (١٧) الحائن : الذى حان حينه أى موته . (١٨) الصياصى : جمع صيصية وهى الحصن .

غداةَ زحمَت بها "عامرا" تخـوضُ قبـائلَها والبُطونا

لهـا غُرَرٌ إن رآها العد وّ لم ير أكفالهَـا والمتُـونا

قضت من "عُبَادَةَ" أوطارَها وحكَّمت البيض حتى رضينـا

وما تركـت للمـوالى حِمى ولا للعقـائل خِدرا مصـونا

فتلك "عقيـلٌ" عقيلُ الفرا رِ تُحْرِش (١) بالدو (٢) ضَبًّا مَكُونا (٣)

جعلتَ من الخوف أفراسَهـا كأقتادِها (٤) والفيـافى سُجُونا

ووافت "بنو أسَدٍ" كالأسود تخُــطُّ الرماح عليهـا عَرِينا

فدع فُرصـــة الثأر مطولةً لذنبٍ أقــرّ به المــذنبونا

أليس "طُلَيْحَةُ" (٥) من عِيصهم أراغ (٦) النبوّة فى النـاس حينا

فلمـا نَمَى الدينَ أشبالُه أناب وأطلَقَ تلك الفنـونا

ولاقت به "الفُرسُ" أمَّ اللُّهَيـ(٧)ـم : وأْدَ البناتِ وذبحَ البنينـا

ولا بدَّ "للشـام" من نطحة تُحذِّر "زمزمُ" منها "الحَجُونا"

وأخرَى "لمصرَ" تَخُطُّ الرّوا ةُ فى الرقِّ منها الحديثَ الشُّجونا

جعلتَ الخــلافةَ فى عصرنا تُفاخر "مأمونَها" و "الأمينا"

---

(١) تحرش : تصيد . (٢) الدو : المفازة . (٣) يقال : مكنت الضبة والجرادة ونحوهما إذا باضت أو جمعت بيضها فى جوفها فهى مكون و بيضها : مكنها . (٤) أقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل أو هو جميع أدواته . (٥) طليحة هو ابن خويلد بن نوفل الأسدى كان يعد بألف فارس ثم تنبأ ثم أسلم ؛ والعيص : الأصل . (٦) أراغ : طلب . (٧) أم اللهيم : الداهية .

وجاهدتَ فيهـا جِهادَ آمرئ ... له جمـعَ الله دنيا ودِينـا

إذا ما سلكـتَ بهـا منهجا ... وثبتَ الجبالَ وجُبت الحُزونا

بسـطتَ لعَمرك كفَّ الزما ... ن يُحصى الليالى ويُفنى القرونا

ولا برِحتْ ألسنُ المكرما ... ت تُغْنِيك عن ألسن المـادحينا

دعاءٌ إذا سمِعتْــه العِـدا ... ةُ قالت على الكره منها أمينـا

⁂

وقال يمدحُه أيضا فى سنةِ خمسين، وهى آخرُ ما أنشدَه :

من علَّم القلبَ ما يُمـلى من الغَـزَلِ ... نوحُ الحمـام له أَمْ حَنَّـةُ الإبـلِ؟

لا بل هو الشوقُ يدعو فى جوانحنـا ... فيستجيبُ جَنانُ الحـازم البطـلِ

لكلِّ داء نِطـاسىٌّ يلاطفـهُ ... فهل شـفاك طبيبُ اللوم والعـذلِ؟

بينٌ وهجرٌ يَضيع الوصـلُ بينهما ... فكيف أرجو خِصـام الحبِّ بالمَلَلِ

يُميت بثِّىَ فى صـدرى ويَدفنـه ... أنى أرى النَّفث بالشكوى من الفشلِ

هن اللآلئُ حازتهـا حمولُهـمُ ... وإنمـا أبدلوا الأصداف بالكِللِ (١)

ولستُ أدرِى أبالأصداغِ قد كحَلوا الـ ... أجفان أم صبغوا الأصداغَ بالكَحَلِ!

ما يسـتريب النقا أنَّ الغصون خطت ... عليــه لكن بأوراقٍ من الحُلَلِ

من يشهد الركبَ صرعَى فى محلّهـمُ ... يدعوه رَمْسا ولا يدعوه بالطلـل

(١) الكلل : جمع كلة وهى غطاء يدطى الهودج ؛ ويلاحظ أن "الباء" فى قوله "بالكلل" دخلت على غير المتروك .

قــد أَلِفَ الحيُّ من مسراكِ طـارقةً تبيتُ أحراسُهم منهـا على وجـــلِ
أمسى شحـــوبى وإرهاقى يُدلِّســـنى على الرقيب بسُمرٍ بينهـــم ذُبُـــلِ (١)
لم يسألوا عنـــ مقامى فى رحالِهـــمُ إلا أتيتُ على الأعـــذارِ والعِلـــلِ
لله قـــومٌ يُبيحون القِـــرَى كرما وينهرونـــ ضـيوفَ الأعينِ النُّجُلِ
لو عدِموا البيضَ والخَطِّىَّ أنجـــدَهم ضربُ دِراكٍ (٢) ورشْــقاتٌ من المُقلِ
كأنمـا بينــ جَفْنَىْ كلِّ ناظرةٍ ترنو كِنانةُ رامٍ منــ بنى "ثُعَـــلِ" (٣)
لا روضُ أوجههـــم مَرعَى لواحظنا ولا الَّلَى مَـوردُ التجميش (٤) والقُبَـــلِ
تحكى الغمامـــةَ إيمـاضا مباسمُهـــم وليس يحكينهـا فى جَوْدها (٥) الهطِـــلِ
خافوا العيونـــَ على ما فى براقعهـــم من الجمـال فشابوا الحسنَ بالبَخَـــلِ
يا رائد الركب يسـتغوى نواحظَهُ برقٌ يلاعب ماءَ العـارض الخَضِـــلِ (٦)
هذا "جمـال" الورى تُطفِى مناصِـلُه نارَ القِـــرَى بدماء الأينُق الـــبُزُلِ (٧)
لا يسأل الوفـــدَ عمّـا فى حقائبهـــم إن لم يوافوا بهـا ملأَى من الأمـــلِ
وما رعينـــ المطـايا فى خمـائله إلا سَحَطن على الحَوْذانـــ (٨) والنَّفَـلِ (٩)
إنِ آمتنعتَ حيـاءً منـــ مواهبـــه أولاكهـا بضروب المكرِ والحيـــلِ

(١) السمر الذبل : الرماح الدقيقة . (٢) دراك : متتابع . (٣) بنو ثعل : قبيلة مشهورة بالرمى والإصابة . (٤) التجميش : المداعبة . (٥) الجود : المطر .
(٦) العارض الخضل : السحاب الندى . (٧) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل .
(٨) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم . (٩) نبت من أحرار البقول له رائحة طيبة .

قصّرتِ يا سحبُ عن إدراكِ غايتــه ... فما بروقُك إلا حُمــرةُ الخجــلِ

ومصلح بين جدواه وراحتــه ... يسعى ويكدح فى صلح على دَخَــلِ (١)

سيفٌ "لهاشمَ" مسلولٌ إذا خشُنتْ ... له الضرائبُ لم يفــرّق من القُلَــلِ

فى قبضة "القــائم" (٢) المنصور قائمُــه ... وشفرتاه (٣) من الأعداء فى القُلــلِ (٤)

بيضُ القراطيس (٥) كالبيضِ (٦) الرِّقاق له ... وفى اليراع (٧) غِنًى عن اسمرٍ خطِلِ (٨)

وطالمــا جــدّل الأقرانَ منطقُــه ... حتى أقــرّوا بأنّ القــولَ كالعملِ

يــودُّ كلُّ خصيمٍ أن يعممهُ ... فضــلَ الحسام ويُعفيــه من الجــدَلِ

ما البأس فى الصَّــعدة الصَّماء (٩) أجمعه ... فى القول أمضَى من الهندىِّ (١٠) والأسَــلِ (١١)

ومستغرّين بالبغيــا مزجتَ لهــمْ ... كيدا من الصَّابِ (١٢) فى لفظ من العسلِ

ما آستعذبت لهَوَاتُ (١٣) السـمع مشربَهُ ... حتى تداعت بنــاتُ النفسِ (١٤) بالهبَــلِ (١٥)

أطعتَ فيهــم أناةً لا يســوّغهــا ... حــلمٌ، وقد خُلق الإنسانُ من عجَــلِ

---

(١) الدخل : الخديعة والمكر . (٢) القائم : مقبض السيف . (٣) الشفرة : حدّ السيف . (٤) القلل : الرءوس واحدها : قــلة . (٥) القراطيس : الأوراق . (٦) البيض : السيوف . (٧) اليراع : القلم (٨) الأسمر الخطل : الرمح المهتز . (٩) الصعدة الصماء : قناة الرمح الصلبة . (١٠) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (١١) الأسل : الرماح . (١٢) الصاب : نبات مر الطعم . (١٣) لهوات : جمع لهاة وهى لحمة مشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم — وقد استعارها هنا للسمع — . (١٤) بنات النفس : الهموم والخواطر . (١٥) الهبل : الثكل .

ثم آشتملتهـم الصّمّاءَ (١) فآنشـعبوا ... "أيدى سبًا" (٢) فى بطون السهل والجبلِ
ليس الرُّقَى لجميـع الداء شافيــةً ... ألكيُّ أشـفَى لجلدِ الأجربِ النَّغِـلِ (٣)
قـل للعـريبِ : أنيبى إنهـا دولٌ ... والطعنُ فى النحر دون الطعنِ فى الدولِ
هيهـات ليس "بنو العباس" ظلُّهـمُ ... عن ساحة الدين والدنيـا بمنتقـلِ
حَمى حقيقتَهـم مُرٌّ مَذاقتُــه ... موسـد الرأى بين الرَّيثِ والعجلِ
موطّأٌ فإذا لُـزَّت (٤) حفيظتُــه (٥) ... تكاشر الموتُ عن أنيابهِ العُصُلِ (٦)
إيهـا "عقيـل" إذا غابت كتائبُــهُ ... فُزتم وإن طلعتْ طِرتم مع الحَجَلِ (٧)
هــلَّا وقوفا ولو مقـدار بارقـةٍ ... وما الفـرار بمَنجاةٍ من الأجلِ
فآلهَ عن "الرِّيف" يا فقْعًا (٨) بقرقرةٍ ... وآبغِ الـنزولَ على اليَربوع (٩) والوَرَلِ (١٠)
نسـجُ الخَدَرنَقِ (١١) من أغلَى ثيابكُمُ ... وخَـيرُ زادِكُمُ دَهْريَّةُ (١٢) الجُعَـلِ

(١) الصماء : يقال : اشتمل الصماء وهى أن يرد الرجل الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقــه الأيمن فيغطيهما جميعا . (٢) أيدى سبا : يقال : تفرق القوم أيدى سبا : أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده ، وذلك أن الله أرسل على أرض سبأ — وهو أبو عامة قبائل اليمن — سيلا أغرقها وانتزع سبأ وقومه فتبددوا فى البلاد فضرب بهم المثل . والمراد بأيدى سبا جنوده الذين كان يسطو بهم فى غاراته وحروبه . (٣) النغل : الذى فسد جلده . (٤) لزت : هاجت واجتمعت . (٥) الحفيظة : الغضب . (٦) عصل : جمع أعصل وهو الأعوج . (٧) الحجـل : طائر . (٨) الفقع : الرخوة من الكمأة ؛ ويقال للذليل : هو أذل من فقـع بقرقرة ، أى أذل من كمأة فى أرض منخفضة لأنها لا تمتنع على من جناها ، وقيل : لأنها تداس بالأرجل . (٩) اليربوع : حيوان من فصيلة الفار طويل الرجلين وقصير اليدين جدا . (١٠) الورل : دابة على خلقة الضب إلا أنه أكبر منه . (١١) الخدرنق : ذكر العنكبوت . (١٢) الدهرية : التى أسنت وطال عليها الدهر . والجعل : ضرب من الخنافس تؤذيه رائحة الورد ، قال المتنبى : * كما يضر أريج الورد بالجعلِ *

إن يعهدوا العــزّ فى الأطناب آونةً ... فذا أوانُ حُلول الذلّ فى الحُلَـــلِ

ترقّبوها من "الجُودىّ"(١) كامنــةً ... فى نقعها ككمون الشمس فى الطَّفَـــلِ(٢)

إن عُطفتْ عنكُمُ يوما فإنّ غدًا ... مع الصباح توافيكم أو الأُصُـــلِ(٣)

بكلّ مرتعدِ العِرنين(٤) ما عرفَتْ ... حَـــوْباؤه(٥) خُلُقَ الهَيّابةِ الوَكَلِ(٦)

تدعُو على ساعديه ، كلّمـا اشتملتْ ... على حنيّتِـــه ، الأرواحُ بالشَّـــلَلِ

فى جَحفــلٍ(٧) كالغَمام الجَوْنِ(٨) ملتبسٍ ... بالـــبرق والرّعد من لَمعٍ ومن زَجَلِ(٩)

يُزجِى قَـــوارِحَ(١٠) فاتت باعَ مُلجِمِها ... كأنّ را كبَهـا موفٍ على جبـــلِ

عوّدها الكرّ والإقـــدامَ فارسُها ... فأنت تحسَبُها صـــدرا بلا كَفَلِ

أمَا سمعـــتم "لبولاذٍ" وأســـرتِهِ ... أحدوثةً شَرَدت فوضَى مع المَثَـــلِ

إذ حطّه الحَيْنُ من صمّاء شاهقةٍ ... لا يلحَـــق الموتُ فيهـا مهجةَ الوَعِلِ(١١)

نخـــرّ للفـــمِ والكفّيـن منعفـــرًا ... إنّ السيوفَ لمن يَعصيك كالقُبَلِ

تعافه الطـــيرُ أن تقتاتَ جثّتَـــهُ ... لعلمهـا أنه من أخبث الأُكُلِ

الأرضُ دارُك والأيامُ تُنفقهـا ... على بقائك والأمـــلاكُ كالخَـــوَلِ(١٢)

متّـــع لواحظَنا حتّى نقـــولَ لهـا : ... لقـــد رأيتِ جميعَ النـاس فى رجلِ

---

(١) الجودى : اسم جبـــل . (٢) الطفل : احمرار الأفق قبيل غروب الشمس .
(٣) أصل : جمع أصيل وهو الوقت مابعد العصر الى المغرب . (٤) العرنين : الأنف .
(٥) الحوباء : النفس . (٦) الوكل : العاجز . (٧) الجحفل : الجيش العظيم .
(٨) الجون : الأسود . (٩) الزجل : الصوت . (١٠) القوارح : جمع قارح وهو من الخيل بمنزلة البازل من الإبل . (١١) الوعل : تيس الجبل . (١٢) الخول : الخدم .

***

وقال يمدح الوزير أبا العباس بن فَسَنجُس الملقّب بعلاء الدين ، وكتب بها إليه بواسط ، ويذكر حربَه لابن الهَيْثم أميرِ البطائح :

لا أعذِر المـــرءَ يصبو وهو مختــارُ ... الحبُّ يُجمَـــعُ فيـــه العـارُ والنـارُ

فعـارُه سَــفَه العـــذّال إن هجـروا ... ونارُه حُـــرَقٌ إن شطّت الدارُ

لـــولا كَهانة عينى ما درت كبِدى ... أن الخِمارَ(١) سحابٌ فيـــه أقمارُ

يهـــوَى بيـاضُ محيّاها وحُمـــرتُه ... كما يروقـــك دِرهامٌ ودينـارُ

إيهِ(٢) أحاديث "نَعْمانٍ" وساكنـــه ... إنّ الحديثَ عن الأحباب أسمـارُ

يا حبذا روضُه الأحوَى إذا آحتجَبتْ ... عنّى الثغـــورُ حكاها منـــه نُـــوّارُ

وحبّـذا البانُ أغصانا كُرمنَ فـا ... لهنّ إلا الحمَامُ الـــوُرقُ أثمـارُ

ظلِلتَ مُغْـــرًى بذى عينينِ تعـــذُله ... وقبلَه قد تعاطى العشـــقَ "بشّارُ"(٣)

عنـد العـــذول آعتراضات ومعنفـةٌ ... وفى العتـاب جـــواباتٌ وأعـــذارُ

لا سنَحتْ بعدهم عُفــــرُ الظبـاء ولا ... ترجّحتْ فى الغصـــون الخُضر أطيارُ

كأنى يومَ "سُـــلمانَيْنِ" قد علِقتْ ... بى من أُسَامةَ(٤) أنيابٌ وأظفـارُ

---

(١) الخمـار : غطاء يوضع على رأس المرأة . (٢) إيه : اسم فعل للاستزادة من حديث معهود وإذا نونته كان للاستزادة من أى حديث . (٣) بشار : هو ابن برد الشاعر الضرير المشهور، وفى هذا البيت إشارة الى قوله : * والأذن تعشق قبل العين أحيانا * (٤) أسامة : الأســـد .

أقتش الريحَ عنــكم كلّما نفحتْ ... من نحـــو أرضكم نكباءُ معطارُ

وأسال الركبَ أنباءً فيكتمنى ... كأنكم فى صـــدورِ القـــوم أسرارُ

حـــتى الخيال بدا جنى لبوهمنى ... قُـــربا ومن دونكم بيـــدٌ وأخطارُ

ما تطمئنُّ بـــكم دارٌ كانَ «عَلا ... ءَ الدين» مطلبُـــه فى حبِّــكم ثارُ

هــو الذى لوحمى مَرعًى لما سرحتْ ... ســـوائم الدهرِ إلا حيث يختـارُ

ولو تُجاوره الأغصانُ ما خطَــرت ... ريحُ النُّعامَى[1] عليها وهى مغـــوارُ

يُحــكَى له فى المعالى كلُّ مأثــرةٍ ... تُصبى القـــلوبَ وتُروَى عنه أخبارُ

عظَّمتُمُ مَن له فى المجــد مكرُمــةٌ ... وأين ممَّـــن له فى المجــدِ آثارُ

أنّى أقام فـــذاك الشِّعبُ[2] منتـــجَعٌ ... وكلُّ يـــومٍ يُحيِّـا فيـــه مختـارُ

لولا ضمانُ يديه رِىَّ عالَمِــهِ ... لجاءت السُّحبُ من كفَّيه تمتـارُ

يلقَى العُفـاةَ ببشرٍ شاغـــلٍ لهـــمُ ... عن الســؤال وللأنـــواء أنوارُ

وحظُّـــه فى العطايا أنَّ راحتَــه ... بين العُفــاةِ وبين الرِّفـــدِ سُمّـارُ

أخـــو المطامـــع يلقاه بذلّتهـا ... وينثنـــى وهو فى عِطفيـــه نَظّـارُ

أفـــنَى الرجاء فما للخيـــل ما نحتوا ... من الســـروج ولا للعِيس أكوارُ

لا يَنهبُ الشـكرَ إلا من كتائبِه ... يـــومَ التغاورِ أضـــيافٌ وزُوّارُ

إذا القيـــسرى عقرت أُمَّ الحُـــوارِ[3] له ... رأيتَـــه وهـــو للأموال عَقّـارُ

---

(١) النعامى: ريح الجنوب. (٢) الشعب: الحى العظيم. (٣) الحوار: ولد الناقة الى أن يفطم.

لله مقتبــلُ الأيام همّتــهُ	لهـا من البأس والإقبـال أنصارُ
ثِقْ بالنجاح إذا ما آجتـاب سابغــةً (١)	لهـا "الـــثريّا" مسامـــيرٌ وأزرارُ
لا يتـــوارى ضميـــرٌ عن سريرته	كأنمـا ظنُّــه للغيب مِســـبارُ (٢)
من الورى هـو، لكن فاقهـــم كما	كذلك الدرُّ والحصباءُ أحجـارُ
بأيّ رأيٍ "أبـــو نصرٍ" يجـاذبه	حبـلَ الخلاف وبعضُ النقضِ إمرارُ (٣)
أما رأى أنّ ليثَ الغـاب مجتمعٌ	لوثبـــةٍ وفنيـــقَ (٤) النِّيبِ (٥) هَـدّارُ
ولا جُنـاحَ عــلى مُرِسٍ كلا كله (٦)	اذا تقـــدّم إعـــذارٌ وإنـــذارُ
بدأتَهُ بآبتسـامٍ ظنّــه خَـــوَرا	فآغترّ والكوكـبُ الصبحيّ غرّارُ
الآن إذ كشفَتْ عن ساقها ورمت	قناعَهـا الحـــربُ والفُرسان أغمـارُ (٧)
غــدَا يمسّـــح أعطافَ الردَى ندما	وكيف تنهضُ سـاقٌ مُخُّهـا رارُ (٨)
يُغشِي الســـفائنَ نيرانَ الوغَى سـقَها	والنـارُ أقـــواتُها الأخشابُ والقـارُ (٩)
إن كان للأجَـــم (١٠) العـاديّ مــدّرعا	فالليثُ بين يراعِ (١١) الخيس مِـذعارُ
أو كان يغـــترُّ بالأمـــواه طاميــةً	فإن بالقـاعِ من كفّيْه تيّـارُ

(١) اجتاب : لبس، والسابغة : الدرع . (٢) المسبار : أداة يعرف بها غور الجرح .
(٣) الإمرار : إحكام الفتــل . (٤) الفنيق : الجمــل الكريم على أهــله ولا يركب .
(٥) النيب : جمع ناب وهي الناقة المسنة . (٦) الكلاكل : الصــدور — والمراد بها هنا الأحمال والأثقال — . (٧) أغمار : جمع غمر وهو الكريم الواسع الخلق . (٨) الرار : الفاســد . (٩) القار : الزفت . (١٠) الأجم العادي : الشجر الملتف القديم .
(١١) اليراع : القصب، والخيس : مربض الأسد .

إذا تــرنّم حَــولىُّ البعــوضِ له ترنّمت فى قسىِّ "الــتُّرك" أوتارُ
انجِــزْ مواعيــدَ عزمٍ أنتَ ضامنُهــا ولا يُنَهنِهْــكَ إردبٌّ وقِنــطارُ
فإنمــا المــالُ رُوحٌ أنت مُتلفُهــا والذِّكــرُ فى فلواتِ الدهرِ سَــيّارُ
لا تــتّرِكْ نُهــزَةً عنّتْ مســلَّمَةً إلى عــلاك فإن الدهرَ أطــوارُ
وما ترشّح يــومُ المِهــرَجانِ لهــا إلا وللســعدِ إيــراد وإصــدارُ
لمــا رآك نــوى نَــذرا يقــومُ به حتى أتاك وشــهرُ الصــوم مِضمارُ
وقــد زففنــا هــداياه مُنمنَمــةً[1] كأنّهــا فى رقاب المجــد تِقصــارُ[2]
ولستُ ارخصُ أقــوالى لسائمهــا إلا عليــك، وللأشعارِ أســعارُ[3]

*

وقال يمدح الوزير أبا المعالى بن عبد الرحيم فى النيروز :

ألَكم الى ردِّ الشباب سبيلُ أم عنــدكم لمشــيبه تأويلُ؟
نُورٌ من الشــعَراتِ ليتَ أفولَه فيهــا طــلوعٌ والطــلوعَ أفولُ
ما كان يشفع لى بخـدّد هِجرةً فِقــدانُهُ لكنّه تعليــلُ
يا ليتــه جَنَبَ الغــرامَ وراءه فيقــالَ : لا غِــرٌّ ولا معــذولُ
ها تلك أشجــانى كما خلّفتها لعبَ الزمانُ بهــا وليس تحــولُ

---

(١) منمنمة : مزخرفة موشاة . (٢) التقصار : القلادة . (٣) فى الأصل "إشمار" وهو تصحيف .

يقتـادُنى البرقُ اليمـانِ كأنه ... من عند إيمـاضِ الثغور رسـولُ

وكأنَّ قلبي — والمهامهُ بيننا — ... حيٌّ على "وادى العِضـاهِ" حُلولُ

تُفتِي براقِعُهـم، وما آستفتيتُها، ... أنّ اللّحـاظَ إذا آختُلسنَ غُلولُ (١)

أُنظر خليلى من "قَرَارٍ" (٢) هل ترى ... قَطَنـا (٣) فطَرفُ العـامرىّ كليـلُ؟

وحلفتُ ما بصِرى بأصدقَ منكما ... نظرا ولكنَّ الغـرامَ دليلُ

قالوا : الديارُ وقد وقفت فزدانى ... بثًّا رسـومٌ رثّةٌ وطـلولُ

ونَشِقتُ خفّاقَ النسيم فما شـفا ... دائى ، وهل يَشفِى العليلَ عليلُ؟!

وكَرَعتُ سَلسالَ الغدير وليس ما ... بُلّ الشـفاهُ به يُبَـلُّ غليـلُ

يا ضـالةَ الوادى أَحُثّ مطيّتى ... أم عند ظبيِك فى الكِناسِ (٤) مَقيلُ؟

عيناه أسـلمُ لى ويُعجِبُ ناظرى ... مُقَلٌ كأنّ لحاظَهنّ نُصـولُ (٥)

مُقَلٌ لِغـزلانِ "الحِجازِ" وسحرُها ... من "بابلٍ" مستجلَبٌ منقولُ

ولقـد طرقتُ البيتَ يُكرِه ربُّه ... والشوقُ ليس يَعيبـه التطفيـلُ

أيظُنُّ من عَقَر النجائبَ قومُه ... أن الدماءَ جميعَهـا مطلولُ

من دونِ سفكِ مدامعي ماشئتَ من ... حِـلْمٍ ودون دِمى تغولك غولُ

وأنا آمرؤٌ لو مُـدَّ من غُلَوائه (٦) ... نطقٌ، لقيل : كلامُـه تنزيلُ

---

(١) غلول : جمع غل وهو القيد . (٢) قرار : واد قرب المدينة . (٣) القطن : جمع قطين بمعنى القاطن . (٤) الكناس : بيت الظبي . (٥) نصول : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف . (٦) الغلواء : — وقد تسكن اللام — الغلو فى الشيء .

لا يطمع العظماءُ فى مـدحى ولا طمَعى على أبوابهـــم معقــولُ

ولو آستطعتُ لما آغتبقتُ بشَربةٍ مما يَمُدُّ "فُراتُهـم" " والنيلُ "

وإذا تأملتُ الرجالَ تفاوتت قِيَمًا ومـيَّزَ بينهـا التحصـيلُ

بعضٌ همُ غُرر الجيادِ وبعضُهم بين السنابك (١) والصِّفاقِ (٢) حُجولُ (٣)

مِثل الُحَــلى دمالجٌ وخلاخلٌ منـه ومنـه التـاجُ والإكليلُ

لـــولاهُمُ غربتْ شموسُ محاسنٍ وهوَى ببـدر المكرَمات أُفــولُ

تبًّا لهــذا الدهرِ لا مِيزانُهُ قِسْـطٌ (٤) ولا فى قَسمه تعـديلُ

جَوْرٌ يسـاوى عالمـا متعـالمًا فيــه ويُشبِهُ فاضــلا مفضولُ

لا درَّ درُّ المرء يقطـعُ دهرَه رِخْـوَ الإزارِ وعزمُه مفـلولُ

آلبيـــدُ تَرعُهـا المناسمُ (٥) وهى لا تدرى أعرضٌ شوطُها أم طـولُ

واليَعْمَلاتُ (٦) سياطُهـا وحذاؤها نسبٌ نماه "شَدقمٌ" (٧) "وجديلُ"

فاذا "كمالُ الملكِ" سَحّ سحـابُهُ نبتَ الرجاءُ وأثمر المـأمولُ

سبقت مواهبُه المديحَ فظنَّ مَن عجِلتْ اليـه أنهـا بِرطيـلُ (٨)

---

(١) السنابك : حوافر الخيل . (٢) الصفاق : جلد البطن كله . (٣) الحجول : جمع حجل — بكسر الحاء — وهو البياض فى قوائم الفرس . (٤) القسط : العدل وهو من المصادر التى يوصف بها كما يقال : رجل عدل ، — ويستوى فيه الواحد والجمع — . (٥) المناسم : جمع منسم وهو الخف . (٦) اليعملات : النوق النجيبة المطبوعة على العمل . (٧) شدقم وجديل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل فى النجابة . (٨) البرطيل : الرشوة ، ومنه « البراطيل تنصر الأباطيل » .

عجِلٌ الى المعروف يحسَب أنه ظـــلٌّ اذا لم يغتنمه يزولُ

كـثُرَ الكلامُ به ، وفى أمثالهم من قبـله : أنّ الكرامَ قليلُ

وإذا جرى فى غايةٍ شهدت له أن لا محلِّقَ فى مَداه رسيلُ[1]

ضلَّتْ ركائبُ من يؤمُّ طريقَه ، إنّ العـــلاءَ سبيلُه مجهــولُ

يتوارث المجـــدَ التليـدَ بمعشر أدنَتْ فروعَـــهمُ اليــــه أُصولُ

جازوا على عَنَت الحسودِ فلم يجد عيبا ، وماذا فى النجوم يقــولُ ! !

لهمُ ، إذا كرُمَ الطبــاعِ هززْتَهُ ، نصـــلٌ وأنت الرونقُ المحـــلولُ

وإذا ٱنتهى نسبٌ إليــــك فإنه فَلَقُ الصباح مع الضُّحى موصولُ

ولقد شـددتَ وَثاقَ كلِّ مُلمَّــةٍ يُلوَى عليهـا مُـبرَمٌ[2] وسحيــلُ

وحَميت أعطانَ الأمور وإنمــا كانت غمـاما بالدماء تسيلُ

وإذا ٱلتقت حِلَقُ البِطان[3] فإنمــا يكفيك ثَمَّ رسـالةٌ ورســولُ

بدلا من القُبِّ[4] العِتاق ضـوامرٌ رُقشُ[5] المتونِ[6] صريرُهن[7] صهيلُ

يَنبُتنَ مثـل الروض إلا أنّه ترعاه أسمــاعٌ لنـا وعقــولُ

ومن الصِّفاح البيض كل صحيفةٍ لنزاعهـا بالراحتين صليـلُ

---

(١) الرسيل : الفرس الذى يرسل مع آخر فى السباق . (٢) المبرم : الحبل المحكم الفتل ، والسحيل ضده . (٣) البطان : حزام الدابة . (٤) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٥) رقش جمع رقشاء وهى الحية المنقطة ببياض وسواد — والمراد بها هنا الأقلام — . (٦) المتون : الظهور . (٧) الصرير : صوت القلم عند الكتابة به .

سَحَبت لك الأيامُ فضلَ ردائها ... مَرَحا يدوم بقاؤه ويطـولُ

وتتابعت حِجَجٌ يؤرِّخ عصـرَها ... عُمُـرٌ به خُلدُ الزمان كفيلُ

يتابك «النوروز» يجنُب إثرَه ... أعوامَ سـعدٍ كلُّهن صقيـلُ

هو خطةٌ همَّ المُصيفُ بقصـدها ... شـوقا ونادى بالشتـاء رحيـلُ

أخذ الربيعُ زمامه حتى آستوى ... فى عارضـيه نبتُه المطـلولُ

بك أشـرقت أيامـه فكأننـا ... فى عصر «كِسرَى يزدَجِرْدَ» نُزولُ

* * *

وقال يمدحُه أيضا :

ما ضاع من أيامنا هل يُغرَمُ ... هيهات والأزمانُ كيف تقـوَّمُ؟!

يومٌ بأرواحٍ يبـاعُ ويشـترَى ... وأخـوه ليس يُسامُ فيـه دِرهمُ

سيان قلبى فى المشيب وفى الصِّبا ... لو يسـتوى شَـعَرٌ أغرُّ وأسحَمُ (١)

لى وقفـةٌ فى الدار لا رجعت بما ... أهـوى ولا يأسى عليهـا يُقدِمُ

لا تحسب الآثارَ لُعبـةَ هازلٍ ... نار آدكارِك فى المعالم تُضرَمُ

أوما رأيتَ عِمـادَها فى نؤيهـا (٢) ... مثلَ السِّوار يجول فيـه المِعصَمُ

وكـفَاك أنى للنواعبِ عاتبٌ ... ولصُـمِّ أحجـارِ الديار مكلِّـمُ

ومن البـلادةِ فى الصبـابة أننى ... مستخبرٌ عنهنَّ من لا يفهـمُ

---

(١) الأغر : الأبيض ، والأسحم : الأسود .

(٢) النؤى : حفيرة حول الدار تمنع السيل ، وفى الأصل «عمارها فى نوبها» وهو تحريف .

وأنا البليغُ شكا اليها بثَّه عبثا فما بالُ المطايا تُرزِمُ(1)

كلٌّ كنَى عن شوقِه بلغاتِه ولربما أبكَى الفصيحَ الأعجمُ

ترجُو سُلوَّكَ فى رسومٍ بينها الـ ـأغصانُ سكرَى والحمامُ متيَّمُ

هذى تميلُ إذا تنسَّمت الصَّبا والوُرق تذكر إلفَها فترنَّمُ

فمتى تروع العيسُ غزلانَ النقا بعصابةٍ سئمَ العواذلُ منهمُ

النُّسكُ عند عفيفهم دينُ الهوى والنصح عند لبيبهم لا يُفهَمُ

حتَّام أرعَى وردةً لا تُجتنَى فى الخدِّ أو تُفَّاحةً لا تُلثَمُ

أيُذادُ عن تلك المحاسنِ ناظرى وتريد منى أن يسوِّغَها الفمُ؟

فى كلّ يومٍ للعيون وقائعٌ إنسانُها الطمَّاحُ فيها يُكلَمُ(2)

لو لم تكن جَرْحَى غداةَ لقائهم ما كان يجرى من مآقيها الدمُ

ولو اقتدرتُ قسمتُها يومَ النوى: عينا تلاحظهم وأخرى تَسْجُمُ(3)

دع لمحةً إن تستطع عُلَقَ الهوى فبذاك تعلمُ كيف نام النوَّمُ

ولطالما اعتقب العواذل مسمعى فزجرنَ منه مُصْعَبا(4) لا يُخطَمُ(5)

ما كنتُ أولَ من عصاهُ فؤادُه وجنَى عليه مقنَّعٌ ومعمَّمُ

لم أدر أنَّ الحبَّ حومةُ مأزقٍ تُصلِى ولا أنّ اللواحظَ(6) أسهمُ

---

(١) ترزم : تحن وتئن . (٢) يكلم : يجرح . (٣) تسجم : تسح بدمعها كالقطر .

(٤) المصعب : الجمل الذى لا يركب لكرامته . (٥) يخطم : يوضع فى أنفه الخطام .

(٦) فى الأصل «المحاسن» وفى منتخبات البارودى «اللواحظ» وقد رجحناها .

أصفُ الأحبّةَ، واللسانُ يقول لى : وصفُ الوزير «أبى المعالى» أعظمُ
المستجيرِ من المذمّة بالنّـدَى والمســتجار إذا أظلّك مَغْـرمُ
فى كلِّ يومٍ للمكارمِ عنــدَه سوقٌ، "عُكاظُ" دونَها والموسمُ
وكأنّما أموالُه من بذلهـا نَهبٌ بأيدى الغـانمين مقسّمُ
فلو آنهـا وجدتْ عليـه ناصرا لرأيتهـا من كفِّه تتـظلّمُ
أسمعتَ قبـلَ يمينـه وشمـاله بسحائبٍ أو أبحـرٍ تتخـتّمُ؟
فيهنّ من قِصـدِ اليراع(١) أراقمٌ(٢) تَقضى وتَمضِى والقنـا يتحطّـمُ
ماهنّ إلا مـوردٌ من فوقـهِ طيرُ الرغائبِ والمطـالبِ حُوّمُ
الجـدُّ من عزماتهِ متلقَّنٌ والمجـدُ من أخلاقه متعـلّمُ
متهلّـلٌ للوفـد يُحسَب أنه بدرٌ أحاط بجانبـيه الأنجُـمُ
تُثنِى عواذله عليـه بعـذلهم ولربّمـا نشَرَ الثناءَ اللُّـوّمُ
خلعتْ عليـه المكرُماتُ ملابسا مايزال ينقُشهـا المـديح ويرقُـمُ
عِشق المعالىَ فهْو من شغفٍ بها عنـد الرقاد بغـيرها لا يَحـلُمُ
بصـوابه فى الرأى ثُقِّفت القنا وبعزمه صُقِل الحسامُ المِخـذَمُ(٣)
يحمِى بسـطوته مسارحَ لحظـهِ فالعـزُّ فى أبيـاته مسـتخدَمُ

---

(١) قصد اليراع : كسر الأقلام .
(٢) الأراقم : الحيات . — وهى هنا على التشبيه — .
(٣) المخذم : القاطع .

وإذا تلمَّح قلت : صقرٌ ناظـــرٌ ... وإذا تغاضَى قلت : أطرقَ أرقمُ (١)

ثَبْتُ الجَنانِ كأنّمـا فى بُرده ... يومَ الزعازع "يذبلٌ" "ويلملمُ" (٢)

رفعتْ له هِمـّاتُه وزماعُـــه (٣) ... بنيانَ مجدٍ ركنُه لا يُهـــدَمُ

طَـوْلٌ تشرَّد فى البــلاد فمُنجِدٌ ... يَروِى الذى يَرويه آخرُ متهِـــمُ

لله أنتَ إذا تســلَّبت الــرُّبَى ... وشـــكا الأُحاحَ سِماكُها والمِرْزَمُ (٤)

لِيرُدَّ مَن جاراك رأسَ طِمِرَّةٍ (٥) ... ما كلُّ طِـرْفٍ (٦) فى السِّباقِ مطهَّمُ (٧)

للجـــد أثقـالٌ تعِجُّ (٨) إفالُهـــم (٩) ... منهـا وينهَــزها (١٠) الفنيقُ المُقـــرَمُ (١١)

حاشاك أن يَثنِى طباعَك فى الندى ... ثانٍ وينقُضَ من خِلالك مُــبرِمُ

إن تَصنعِ الحسنَى فإنك زائدٌ ... أو تُســبغِ النُّعمَى فأنت متمِّـمُ

وأنا الذى سيرّتُ شكرك فى الدُّنَى (١٢) ... حتى تلاه مُعـــرِقٌ أو مُشئمُ

وجلبتُ من بحرِ الثناء لآلئـا ... فى نحـــرِ ما أو ليـــتنيه تُنـظَّمُ

أوردتُ آمالى غـــديرَك آمنـا ... من أن يكون وراءَ شهـــدٍ علقمُ

ورضعتُ ثدىَ نداك من دون الهوى ... ثقـةً بأنّ رضيعَـــه لا يُفطَمُ

---

(١) الأرقم : الثعبان . (٢) يذبل و يلملم : جبلان . (٣) الزماع : المضاء .

(٤) الأحاح — بالضم — : العطش وحرارته ، والسماك والمرزم : نجمان . (٥) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٦) الطرف : الجواد . (٧) المطهم : التام الحسن .

(٨) تعج : تصيح وترفع صوتها . (٩) إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .

(١٠) ينهزها : ينهض بها ؛ والفنيق : الفحل لا يركب لكرامته . (١١) المقرم : المكرم الذى لا يحمل عليه . (١٢) الدنى : جمع الدنيا ، — واذا جمعت مع أنها واحدة فلاعتبار أقسامها .

أهدَى لك "النيروزُ" فى أغصانهِ زَهرا بأوراقِ العــلاء يُكمّــمُ

فى كلِّ يومٍ خيــلُهُ وركابُه جَبَهاتُهنَّ بطيب ذكرك تُوسَمُ

لا زالت النَّعماءُ عنـدك، حَلْبُهـا ملءُ الإناء وبطنُهـا لا يُعقَــمُ

والدهر مجنــوبٌ وراءك كلّمـا واتاك أســعده القضــاءُ المبرَمُ

كالنِّقس[1] ليلتُــه وطِـرسٍ يومُــهُ والنُّجحُ يكتُبُ والســعادةُ تختِمُ

⁂

وقال يمدحُ بَرَكةَ بن المقلَّد العُقَيلىّ، ويلقب زعيم الدولة :

تُرى رائحٌ يأتى بأخبـار مَن غــدا وهل يكتُمُ الأنبـاءَ من قد تزوّدا

أُحبّ المقـالَ الصدقَ من كلّ ناطقٍ سـوى ناعبٍ قد قال : بينُهُــمُ غدا

ألَا آستوهِبا لى الأرحبيّــةَ[2] هَبَّــة لنُحدثَ عهــدا أو لنضربَ موعدا

حرامٌ عــلى أعجازهنّ ســياطُنا فيـا سائقيها آستعجِلاهنَّ بالحُــدا

مـتى تَرِدا المـاءَ الذى وردتْ به ظبـاءُ "سُلَيمٍ" تنقعا غُــلّةَ الصدى

فلا تُشغَلا عنــه بلــثمِ حَبـابهِ[3] تظنّـانِه ثغــرا عليــه تبــدّدا

فقــد طـال ما أبصرتُما ظبىَ رملةٍ فشبّهتُماه ذا دَمالجَ أغيــدا

فرشتُ لجنبِ الحبّ صدرى وإنمـا تهابُ الهوى نفسٌ تخاف من الردى

---

(١) النقس : المداد الأسود . (٢) الأرحبية : الإبل المنسوبة الى الأرحب وهو فحل من الفحول النجيبة ؛ أو هو آسم قبيلة تنسب اليها . (٣) الحباب : نفاخات الماء، والخمر التى تعلوهما .

ونفَّرتُ عن عينى الخيالَ لأنه ... يحاولُ مَــدَّى نحو باطــله يدا

أرى الطيفَ كالمرآة يخلُق صــورةً ... خداعا لعينى مثلما يَسحَر الصَّــدى (١)

أتزعُمُ أنّ الصــبرَ فيك سجيّــةٌ ... وتَشجَى إذا البرق التِّهــامىُّ أنجــدا

وقالو : أتشــكو ثم تَرجِعُ هائمــا؟ ... فقلتُ : غرامٌ عاد لى منــه ما بدا!

تُعــاد الجسومُ إن مرِضنَ ولا أرى ... لهــذى القلوب إن تشكَّين عُوَّدا

فلا تحسبوا كلّ الجوانح مُضــغةً ... ولا كلَّ قلبٍ مثــلَ قلــبيَ جلمدا (٢)

وحىٍّ طرقنــاه عــلى زَوْرِ موعدٍ ... فما إن وجدنا عنــد نارهمُ هُدى

وما غفلتْ أحراسُهــم غــيرَ أنّنــا ... سقطنا عليهم مثلَما سقَط النَّــدى

فلمــا ٱلتقينا حشَّ قلــبى فراقُهــم ... فلم ينكروا النــارَ التى كان أوقدا

نزحتُ دموعى بعــدَهم من أضالعى ... مخــافةَ أن تطفَى عليها فتجمُدا

وفى العيش مَالَهى لأمرئٍ بات ليلَه ... يشــاور فى الفتك الحسامَ المهــنَّدا

إذا ما ٱشتكت قَرْحَ السهاد جفونُهُ ... أداف لهــا من صِبغة الليل إثمِــدا (٣)

يظــنّ الدجَى فــرعا أثيثــا نبــاتُهُ ... ويحسَبُ قَرن الشمس خــدًّا مورّدا (٤)

ويرضَى من الحســناء بالرِّيم إن رنا ... لكيــلا مآقيــه وأتلعَ أجيــدا (٥)

---

(١) يسحر : يخدع ؛ والصدى : ما يردد الجبل وغيره على الصوت يمثل صوته . (٢) الجلمد : الصخر . (٣) أداف : أذاب وخالط ؛ والإثمد : حجر يكتحل به . (٤) الفرع الأثيث ، الشعر الكثيف . (٥) الريم — و يهمز — الغزال ؛ والأتلع الأجيد : الطويل الجيد .

كما "بزعيم الدّولة" الأمُم آرتضتْ ... على الدِّين والدنيا زعيما وسيِّدا

أقاموا بدار الأمن في عَرَصاته (١) ... كأنهمُ شدّوا التميمَ المعقّدا

رمى عزمُه نحو المكارم والعلا ... مصيبا فكان المجد ممّا تصيَّدا

إذا أمَّ السارون نورَ جبينه ... كفى الرَّكب أن يدعو جُدَيًّا وفرقدا (٢)

تلألأ في عِرنينه نورُ هيبةٍ ... تخِرّ له الأذقانُ في الترب سُجَّدا

أباح حِمَى أمواله كلَّ طالب ... من الناس حتى قيل : ينوى التزهُّدا

له روضةٌ في الجود أكثرُ روَّدا ... من المنهل الطامى وأوفرُ وِرْدا

تناكصُ عن ساحاته السُّحبُ، إنها ... متى حاكته في الندى كان أجودا

وهل يستوى من يمطر الماءَ والذى ... أناملُه تهمى بلُجَيْنا وعَسجدا (٣)

ومَن برقُه نارٌ ومن برقُ وجهه ... تهلُّلُ مرتاحٍ الى الجود والنّدى

قليلُ هجوعِ العين تسرى همومُه ... مع الجارياتِ الشُّهب مَثْنَى ومَوْحَدا

ومن كان كسبُ المجدِ أكبرَ همِّه ... طوى بُردةَ الليلِ التِّمامِ مُسهَّدا (٤)

متى ثوَّب الداعى ليومٍ كريهةٍ ... تأزَّر بالهيجاء وآعتمّ وآرتدى

وقد علمتْ أشياخُ "جُوثَةَ" (٥) أنه ... أمدُّهمُ باعاً وأبطشُهم يدا

---

(١) عرصات : جمع عرصة وهى ساحة الدار . (٢) جدى وفرقد : نجمان . (٣) اللجين والعسجد : الذهب والفضة . (٤) الليل التمام – بكسر التاء – هو أطول ما يكون من ليالى الشتاء، ويقال أيضا : ليل التمام – بالاضافة – . (٥) جوثة : قبيلة .

لهم واصَلَ الطعنَ الخِلاجَ (١) فأصبحت	تَشَكَّى الردينيَّاتُ (٢) منــه تأوُّدا
رأى الودَّ لا يُجــدى وليس بنـافع	ســوى نقماتِ السيف والرمح فى العدا
فـما يقتـنى إلا حساما مهنــدًا	وأسمرَ عسّـالا (٣) وأقــودَ أجردا (٤)
متى يَرْمِ قوما بالوعيد وإن نأت	ديارهُمُ عنــه أقام وأقعــدا
وما الرمح فى يمــنَى يديه مسـدَّدا	بأنفـذَ منــه سهمَ رأيٍ مسـدّدا
صهيــلُ الجيـاد المقرَباتِ (٥) غنـاؤه	فلو شاء سمّاها "الغَريضَ" "ومَعْبدا" (٦)
ويُذكِره بزلَ النجيع (٧) من الطُّلَى (٨)	عِشـارُ جلبنَ البـابلىَّ (٩) المــبرَّدا
فلو لم يكن فى الخمر للبأس مشبِهٌ	وللجود لم يجعــلْ له الكأسَ مَوردا
بعثت لسكّان "العراقِ" نصيحةً	متارِكةَ الرئبـال (١٠) فى غيــله (١١) سُـدَى
ولا تأمنــوا إطراقَه إنّ كيْــده	ليَستخرج الضبَّ الخبيثَ من الكُدَى (١٢)
أرى لك بالعليـاء نارا قِراشُهـا	ضيوفُك يَقرُونَ السَّديفَ (١٣) المُسَرْهَـدا (١٤)
فلا تُفنِينَّ العِيسَ (١٥) بالعقــر إنها	مــتى تَفنَ تجزُرْهُم إماءً وأعبُــدا

---

(١) الخلاج : المضطرب المهتز . (٢) الردينيات : الرماح — منسوبة الى امرأة تسمى "ردينة" كانت تقوم الرماح ، والتأود : التثنى . (٣) الأسمر العسال : الرمح المهتز . (٤) الأقود الأجرد : الفرس الذلول المنقاد القصير الشعر . (٥) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٦) الغريض ومعبد : مغنيان معروفان . (٧) النجيع : الدم . (٨) الطلى : الأعناق ، واحدها طلية . (٩) البابلى المبرد : الخمر . — منسوب الى بابل — . (١٠) الرئبال : الأسد . (١١) الغيل : مربض الأسد . (١٢) الكدى : جمع كدية وهى الأرض الغليظة ؛ ويقال : ضب الكدية وضباب الكدية لولعها بحفرها . (١٣) السديف : شحم السنام . (١٤) المسرهد : السمين . (١٥) العيس : الإبل .

وكم موقفٍ أسكرتَ من دمِه القنا | وأشبعتَ فيه السيفَ حتى تمرَّدا
ولو تجحد الأقرانُ بأسك فى الوغى | أتتك النسورُ بالذى كان شُهَّدا
إليك نقلناها أخامصَ لم تجد | سوى بيتك الأعلى مُناخا ومَقصدا
ولو بَعُدَ المسرى زجرنا على الوجى (١) | أغرَّ وجيهيًّا (٢) ووجناءَ جَلْعَدا (٣)
ومثلك من يرجو الأسيرُ فَكاكَه | ولو كان فى جَور الليالى مقيَّدا
لئن كنتَ فى هذا الزمان وأهلِهِ | كبيرا لقد أصبحتَ فى الفضل مفردا

* * *

وقال وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

حرامٌ علىَّ طُروقُ الديا | رِ ما دام فيها الغزالُ الربيبُ
أشاهد فى جانبيها هوايَ | لغيرى ومالىَ فيه نصيبُ
وقد كان فوضى فكان المنى | تعاللنى، والتمنِّى كذوبُ !
فلمَّا تصيَّده قانصٌ | ألدُّ على ما حواه شَغوبُ ،
تداويتُ من مرضٍ فى الفؤاد | بيأسىَ ، واليأسُ بئسَ الطبيبُ !
فقد وهبَ الثأرَ ذاك الحريصُ | ونام على الحقد ذاك الطلوبُ
ومن عزَّ مطلبُه مُهمَلا | فكيف به وعليه رقيبُ؟!
فلا حظَّ فيه سوى لمحةٍ | تُنافس فيها العيونَ القلوبُ

(١) الوجى : الحفا . (٢) الوجيهى : فرس تنسب اليه جياد الخيل . والوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين . (٣) الجلعد : الصلبة الشديدة .

وُجـود الأمـير بأمثـاله ... فكلُّ بعيـدٍ عليـه قـريبُ

وهـوب الجيـادِ وبيضِ القيا ... ن والظبيِ يرتجُّ منه الكثيبُ[1]

وعقَّـار كُومِ[2] الصَّفايا[3] إذا ... تعـذَّرَ عند الضُّروعِ الحليبُ

تَعيثُ الأخـلَّاءُ فى مالِه ... كما عاث فى جانب السِّربِ ذيبُ

وما يسـحَرُ القـولُ أخلاقَـهُ ... ولكنّـه الكرمُ المستجيبُ

* * *

ظفِرتَ ، ووِيلُ أمِّها حُظوةً، ... ببـدرٍ تُزَرُّ عليـه الجيوبُ

إذا رُدِّد الطَّـرفُ فى حسـنه ... أثار البـديعَ وماجَ الغريبُ

عُبـوسٌ يُولَّد منـه السرورُ ... ومن خُلُقِ الخندريسِ[4] القُطوبُ

وتيـهٌ كأنْ ليس بدرُ السماء ... يُلِمُّ الكسوفُ به والغُـروبُ

ولـولا حيـاءٌ تقمَّصـتُهُ ... لأجلكَ جمٌّ إليـه النسيبُ

سأطـوِى على لَهَبٍ غُلَّـتى ... إلى أن يُعطَّـلَ ذاك القَليبُ[5]

وأعلمُ أنْ سـيباحُ الحمى ... إذا أظهـر الشعَراتِ الدبيبُ

طِـرازٌ يمـنَمُ فى العـارِضَين ... يُزيَّـنُ منـه الرداء القشيبُ[6]

فما ذلك الحسنُ مسـتقبَحا ... بشَـعرٍ ولو لاح فيه المشـيبُ

---

(١) الكثيب : تل الرمل — والمراد به هنا الكفل فى ارتجاجه — . (٢) كوم : جمع كوماء ، وهى الناقة الضخمة السنام . (٣) الصفايا : جمع صفية وهى الناقة الغزيرة اللبن . (٤) الخندريس : الخمر . (٥) القليب : البئر — وفيه كناية حسنة — . (٦) القشيب : الجديد .

* * *

وكتب إليه وقد بلغه عنه عتبٌ فى تأخُّرِ الزيارة :

قد طال للماطلِ أن يُقتَضَى وأن يعافِى الحبُّ من أَمرضا

سلُوا الذى حالفنى فى الهوى : بما الذى كفَّر إذ أعرضا ؟ !

ملآنَ غيظا وفؤادى به مقلَّبٌ فى جمَراتِ " الغضا "

نادِ على نفسك : هذا القِلَى[1] جزاءُ من حَكَّم أو فَوَّضا !

صاحِ ترى برقًا على " جاسمٍ " كأنّه هِنديّةٌ[2] تُنتَضَى ،

أذكرنى عهدَ " عقيقِ الحِمَى " ولا يُعيد الذكرُ ما قد مضَى

سَرَى مع الطيف ، فهذا لمن يسهَر ، والطيفُ لمن غمَّضا

إن لم يكن شَجوِى فقد شاقنى سيّانِ مَن قاتَل أو حرَّضا

تالله لو تُضمِرُ أحشاؤه ضميرَ أحشائى لَمَا أومضا

حىِّ غزالا بين أجفانه أسِنَّةُ الحيَن وسيفُ القضا

رامٍ وما " القارةُ "[3] آباؤه يَستغرِق[4] السهمَ وما أنبضا

إياك تلقاه بلا جُنَّةٍ خوفَ سلاحىْ سُخطه والرِّضا

ما تجمعُ الأضدادُ ، والرأس لمْ قد جمَع الأسودَ والأبيضا ! !

---

(١) القلى : البغض . (٢) الهندية : السيوف — منسوبة الى الهند — . (٣) القارة : قبيلة مشهورة بالرمى ؛ وفى الأصل : « القادة » وهو تحريف . (٤) استغرق السهم : بلغ به غاية المد . وأنبض : جذب وتر القوس لتصوت .

كأَنّ فرعِى حَلبـــةٍ[1] أرســـلوا[2] دُهمـــا[3] وشُهبا[4] فوقها رُكّضا

طالبـــةً شـــأوَ امرئٍ ســـابِقٍ كلُّ جَنـــاحٍ خَلفَـــه هُيّضـــا[5]

شـــيَّدتِ الاباء من قبـــله له البنـــاءَ الأطولَ الأعرضـــا

مَعـــاشِرٌ كانت مساعيهُـــمُ أغطيةَ الأرض وحشـــوَ الفضا

مذ غمســـوا فى المـــاء أطرافَهم ما أَجِنَ المـــاءُ ولا عَرْمَضا[6]

لو وطِئـــوا الصخر بأقدامهـــم أو لَمســـتهُ راحُهـــم رَوَّضـــا

لم تعـــدَمِ الدنيـــا ولا الدينُ مِن أبنائهـــم وزارةً أو قَضـــا

بينـــا ترى أقلامَهـــم رُعَّفـــا[7] حتى ترى أســـيافَهم حُيَّضـــا

ولم يـــزل واطئُ أعقابهـــم ينهَض حتى لم يجِـــد مَنهَضـــا

طاب ثَـــراه فنما فـــرعُهُ ويُخـــرِج الزُّبدةَ من أمخضا

محكَّم فى العـــلمِ إن شـــاء أن يختَـــلَّ[8] فى مَرعاه أو يُحمِضـــا

كِنانةُ[9] الآداب فى كـــفّه مـــتى رمَى أسهمَها أغرَضـــا[10]

يَفهم مَغزَى القول من قبل أن يُرفَـــعَ أو يُنصَب أو يُخفَضـــا

---

(١) الفرع : الشعر . (٢) الحلبـــة : الخيـــل تجرى للسباق على رهان وهى هنا بمعنى ساحة الجرى . (٣) الدهم : السود . (٤) الشهب : البيض . (٥) هيض : كسر . (٦) عرمض : ظهر به العرمض وهو الطحلب . (٧) رعفا : قاطرة ؛ وأصل الرعاف خروج الدم من الأنف . (٨) يختل : يحتبس فى الخلة وهى نبات حلو، ومنه : الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها . والحمض : ما ملح وأمر من النبات تأكله عند سآمتها من الخلة . (٩) الكنانة : كيس من أدم توضع فيـــه السهام . (١٠) أغرض : أصاب .

إيهِ "أبا نصرٍ" وأنت آمرؤٌ[1] لا يســتردُّ الدهرُ ما أقرضــا

منحتــنى الــودَّ بجازيتُــه بالشــكر والمُثني كمن عوّضا

خــيَّمَ فى قلــبى نظــيرٌ له مذ عقــد الأطنابَ ما قوّضا

مثــل خلال فيــك أثوابهــا أبَى لها التطهيرُ أن تُرحَضا[2]

وكلُّ ما يبنيــهِ هــذا الهوى بالنأيِ والتفــريقِ لن يُنقَضــا

لا ينفع القــربُ بجسمٍ اذا لم يك قلبٌ مُصْــغيا مُنغِضا[3]

كم من بعيدٍ عاشــقًا وامقا ومن قــريبٍ شانئــا مبغضا

ما زُخرُفُ القول بمُجْــدٍ وقــد غُيِّضَ فى الأحشــاء ما غُيِّضا[4]

والسيفُ إن كانَ كَهاما[5] فهــل يُمضِــيه أن أذهبَ أو فُضِّضا؟!

أنبلْتُ رَيْبــا فى جَمْجَمْتَــهُ[6] ويبلُغُ التصريحَ مَن عَرَّضا

مرَّ كما مرَّ نســيمُ الصــبا مزعزِعا بالرِّفْــقِ ماءَ الأضى[7]

دُعابةٌ ســاءت ظنــونى لهــا ما ألينَ السيفَ وما أجْرَضا[8]

لم أدر : إنســانٌ به ناطقٌ أم حيّــة القُفِّ[9] الذى نَضنَضــا[10]؟!

لكنّ سمعى قاء ما قاله كأنه بالصــاب قــد مُضمِضا

---

(١) إيه : بمعنى زد . (٢) ترحض : تغسل . (٣) المنغض : المتحرك، والمراد به هنا المتحرك بالمحبة والود لا فتور فيــه . (٤) غيض : غار . (٥) الكهام : غير القاطع . (٦) جمجمته : أخفيته . (٧) الأضاة : الغدير و جمعه أضى . (٨) أجرض : أغص . (٩) القف : حجارة غاص بعضها ببعض لا تخالطها سهولة . (١٠) نضنض : حرك لسانه لينفث به .

يروعـــنى عتبُ خليـــلى ولا | يروعـــنى الليثُ إذا قَضقضا (١)
وتسكُن الأسرارُ منّى حشًى | ليس بهنّ مُخــدَجا مُجهَضا (٢)
هيهات ! ما الزورُ خُلَقَ شيمتى | ولا لباُس الغــدر لى مَعرِضا
ولا لَبــونى بالأسى حافــلا (٣) | ولا عِشــارى بالمـــنى مُخَّضا (٤)
معترفٌ بالحقّ من قبل أن | يوجَبَ للصــاحب أن يُفرَضا
وكيف أجفو من هو الروح إن | فارقتِ الجسمَ فُــواقا قضى (٥)
ما الذنبُ إلا للزمان الذى | إن ألبس الإنســان ثوبا نَضا
تقلّبتْ بى كلُّ حالاتــهِ | وليس فيهــا حالةٌ تُرتَضَى
إما عـــلى رَمضــائه ماشــيا (٦) | أو راكبا شامســةً (٧) ريِّضا (٨)
من يكن الدهر له ماتحا (٩) | لا بدّ أن يشرَب ما خَوّضا
جُلْ فى طِلاب الرزق تَظفَرْ به | فالسَّجلُ (١٠) مملوءٌ إذا خُضْخضا (١١)
لطال جوعُ الأُسْدِ لو أصبحت | وأعتمتْ فى خِيسها (١٢) رُبَّضا (١٣)
أذمُّ أيامى عــلى أنــنى | لأَحمَــدُ الله عــلى ما قضى

---

(١) قضقض الأسد : كسر فريسته بأسنانه . (٢) المخدج : الناقص الخلق و إن كان لونته .
(٣) اللبون : الغزيزة اللبن . (٤) العشار : النوق التى نُتجت أو هى التى ينتظر نتاجها بعد عشرة أشهر .
(٥) الفواق : ما يأخذ المحتضر عند النزع . (٦) الرمضاء : الأرض الحارة . (٧) الشامسة : الدابة الممتنعة . (٨) الريض : المنقادة الذلول . (٩) الماتح : نازح الماء من البئر . (١٠) السجل : الدلو : (١١) خضخض : حرك فى الماء . (١٢) الخيس : بيت الأسد . (١٣) ربض : جاثمة فى مرابضها .

***

وقال يمدحُ الوزيرَ أبا الفرج بن فَسانْجُس الملقَّب بذى السعادات فى النيروز :

هو منزلُ النجوَى بخالى الأعصرِ ... فمتى تجاوزُهُ الركائبُ تُعقَرِ

أشتاقُ دارَهُمُ وليس يشوقنى ... إلا مجاورةُ الغزال الأحورِ

وأفضِّل الطيفَ المُلِمَّ لأنهم ... هجروا ، وأن طُيوفَهم[1] لم تَهجُرِ

أرضَى بوعدٍ منهُمُ لم يُنتظَرْ ... ومن الخيال بزورةٍ لم تعبُرِ

لا ماؤهم للمشتكى ظمأً ولا ... نيرانُهم للقابس المتنوِّرِ

أثرَوْا ولم يقضُوا ديونَ غريمهم ... واللُّؤمُ كلُّ اللؤم مطلُ الموسِرِ

هل ترعوون بأنّةٍ من مدنفٍ ... أو تسمحون لمطلبٍ من مُقتِرِ؟

أو تتركون من الدموع بقيَّةً ... يلقى بها يومَ التفرُّق محْجرى؟

ما آجتاز بعضكُمُ بأسرابِ المها ... إلا آعترفن عليه مقلةَ جُؤذُرِ

يا من تبلَّد بين آثار الحِمَى ... يقفو معالِمها بعينَىْ مُنكِرِ ،

أنشدْ قضيبَ البان بين مُروطِهم[2] ... وآطلب كثيبَ الرمل تحت المئزرِ

وإذا أردتَ البدرَ فآبعث نظرةً ... لمطالع بين "اللِّوى" "فمُحَجَّرِ"

أتردُّ يا روضَ "العقيق" ظُلامةً ... رُفِعتْ إليك من القِلاصِ[3] الضُّمَّرِ

---

(١) فى الأصل "ظنونهم" وهو تحريف .

(٢) المرط : كساء يؤتزر به .

(٣) القلاص : جمع قلوص وهى الناقة الشابة .

إياك أن تطأ اللّعـاع (١) بمَنسِم (٢) … منها وأن ترعَى الجمـيم (٣) بمشـفَرِ (٤)

لولا النجاءُ (٥) من الرواقِص (٦) بالفلا … لم يُفجَع "النجدىُّ" "بالمتغوّرِ"

فصَمِمْنَ حتى لاوعت أسماعُها … تَصهالَ رعـدٍ فى حَبِيٍّ (٧) ممطـرِ

وعمِين حتى لا رأت أبصارُها … بَرقا كناصيةِ الحِصانِ الأشقرِ

إن كنتَ تنظرُ ما أرى فآنظر الى … بانٍ على أكتادِ (٨) نخـيلٍ موقَرِ (٩)

وكأنمـا رفعـوا قبابَهُـمُ عـلى … شجـرٍ بربّات الهـوادج مثمـرِ

أممتّـعى وحشَ الفـلا بجمـالهم … ما ذنْب طرف الهـائم المستهترِ (١٠) ؟!

خلّفـتُمُ خِلَّ الصفـاء وراءكم … كالميْتِ إلا أنّـه لم يُقبـرِ

بمـدامع لمّـا تَغِضْ ومَكاسِرٍ … لم تَجبـر وجرائحٍ لم تُسـبَرِ

وإذا العواذلُ أطفأت صـبَواتِه … شـبّت لظاها زفرةُ المتذكّرِ

احذرْ عذارك والعـذارُ مغلّس (١١) … فاذا بدا صبـحُ المشيبِ فأقصرِ

وَضَحٌ (١٢) تجنَّبُـه الغوانى خيفـةَ الـ … ـعَدْوَى فإن يقـرُبْ إليهـا تـنفُرِ

ما كنت أحسبُ أنّ سيفَ ذؤابتى … ينبـو بترديد الصّقـال الأزهرِ

---

(١) اللعاع : النبت الناعم الأخضر أول ما يبدو . (٢) المنسم : الخف . (٣) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٤) المشفر — بالكسر ويفتح — للبعير كالشفة للإنسان والجحفلة للفرس . (٥) النجاء : سرعة السير . (٦) الرواقص : النوق ترقص فى مشيها . (٧) الحبى : السحاب المعترض آعتراض الجبل . (٨) أكتاد : جمع كتد وهو الكتف (٩) موقر : مثقل . (١٠) المستهتر : الذى يتبع هواه . (١١) مغلس : مظلم — كناية عن سواده — . (١٢) الوضح : ضوء الصبح .

صدأُ النُّصول[(١)] من الشعور[(٢)] أدلُّ من ... لونِ الجلاء على كريم الجوهرِ

أأسير فى الليــل البهيم فأهتدى ... وأضِــلُّ فى إدلاجِ[(٣)] ليــلٍ مقمرِ؟!

ومدحتَ لى صِبْــغَ المشيبِ بأنه ... كافورةٌ ونسـيتَ صِبْــغَ العنـبرِ

وإذا الثنـاءُ على الوزير قرنتــه ... بهما أقـرَّا للذكـىِّ الأعطـرِ

«فلذى السعادات ابنِ جعفرَ» شيمةٌ ... من قَرقفٍ[(٤)] صِرفٍ ومِسك أذفـرِ

فى الأرض سبعةُ أبحرٍ، ويمينُـه ... وشِمـالُه تجـرى بعشرةِ أبحــرِ

وهما سحـائبُ، ماؤهنّ لُجينُه ... وبروقُهن من النضار[(٥)] الأحمــرِ

قَسمت أناملُه المواهبَ فى الورى ... فكأنهـم زَجَروا قــداحَ الميسرِ

وإذا عِشـارُ المـال عُذنَ بكفّه ... فلقـــد عقلن نفوسَهنَّ بمَنحَرِ

ومعــذِّلٍ، أعيـا على عُـــذّاله ... فى الجود قَصُّ جناحِ ريحٍ صرصرِ[(٦)]

وهو السخىُّ وإنمـا حسدوا اسمَهُ ... فدعَــوْه فيما بينهـم : بمبــذّرِ

طلبوا الذى أُجرِى إليـه فخُيِّبوا ... ومن العنـاء طِلابُ مالم يُقــدَرِ

والأكرمون حَكَوه فى أفعاله ... فعُـــزُوا الى كرمٍ عليـــه مزوَّرِ

مازال يبحث عن سرائر وفده ... حتى أجاب إلى السؤال المضمَرِ

---

(١) النصول : خروج الشعر من خضابه . (٢) فى الأصل : «السعود» : وهو تحريف .
(٣) الإدلاج : السير أول الليل . (٤) القرقف : الخمر . (٥) النضار : الذهب .
(٦) الصرصر : الريح الشديدة الهبوب والبرد .

يغزو إليــه المُقترونَ لعلمهم ... أنَّ النــوالَ لديه غــيرُ مُخَفَّرِ
فى كلّ يومٍ يُلجمون لغـارةٍ ... فسِــنُوه غير محرَّماتِ الأشهـــرِ
مستنشق عِطــرَ الثناء بسـمعه ... ما كلّ طيِّبــة تُشَــمُّ بمَنخِرِ
متيقِّــظٌ فتى تُصِــبه نَفثــةٌ ... للشكر فى عُقَــدِ المطامعِ يُسـحَرِ
يسعَى ويكدحُ ثم يُتلفُ ماحوى، ... عاداتُ أروعَ للأنام مســخَّرِ
بالله نُقســمُ : أنه لا خــيرَ فى ... حسبٍ ولا نسبٍ لمن لم يُشكَرِ
لو كان مجهــولَ المغارس أخبرت ... عنــه شمــائلُه بِطيب العُنـصُرِ
قــد زان مَخبَره بأجمــلِ مَنظرٍ ... وأعانَ مَنظرَه بأحسن مَخــبرِ
ما مَن تتوّج أو تمنطـقَ عسجداً ... كمطــوَّق بالمكرماتِ مســوَّرِ
تحـكى أنابيبُ الـيراع بكفّه ... فعلَ الرماح تخاطرت فى "سَمْهرِ"(١)
وكأنهـا الخطباءُ فــوقَ بنـانه ... لكن بلاغتُهـا كلامُ المنــبرِ
لا تبعَــدنْ هِمــمٌ له لو أُودِعت ... عندالكواكب لأدّعاها"المشترى"
وعزائمٌ يَلحُمْن مشــلومَ الظُّبـا ... ويُقِمنَ أصـلابَ القنا المتأطِّـرِ(٢)
إطـراقه يُخشَى، ويُرهَبُ صَمتُه، ... والسـيفُ محذورٌ وإن لم يُشهَرِ
لولاك ما آنتبــه الثرَى بمَنـاسمٍ(٣) ... خُلطتْ بطونُ صـعيده بالأظهرِ

(١) سمهر : قرية فى الحبشة تنسب اليها الرماح . (٢) المتأطر : المتثنى .
(٣) المناسم : الأخفاف .

وسواهِمٍ "لبنات نعشٍ" لحظُها وخِفافُها تفلى "بنـاتِ الأَوْبرِ" (١)

فأتتـك أمثالَ السَّعالى (٢) زُوجتْ أشـباحَ رُكبانٍ بِجَنَّـةِ "عَبقرِ" (٣)

غصَبوا النجومَ على السُّرَى وتعلَّموا خوضَ الظـلام من المطىِّ (٤) الزُّوَّرِ

لا ينظـرون وِصابَهـم (٥) وشحوبهم (٦) إلا بِمِـرآة الصـباح المُسْـفرِ

لم يلبسـوا الأدراع إلا رِيبـةً لا خيفــةً من أبيضٍ أو أسمـرِ (٧)

إنْ لم يُنيخـوا فى ذَراك فإننى لكفيلُ كلِّ مهنَّىءٍ ومبشِّـرِ

جدِّدْ "بنوروز" الأعاجم رتبةً سَمَتَ "المجرة" أوفويقَ "الأنسُرِ" (٨)

وآسرَحْ سَوامَك فى رياضِ سعادةٍ وعمـيمِ عُشْبٍ بالعـلاء منوِّرِ

فاذا وردت فماء أعذبِ مَـوْرِدِ واذا صدَرتَ فرَوْح أفسحِ مَصدَرِ

أهـديتُ من كلِمى اليـك تحيَّـةً غراءَ تسترعى حنـينَ المِزهَرِ (٩)

ولو آدخرتُ المـالَ أو أبقيتُـه يوما أثبتُ (١٠) بأبيـضٍ وبأصـفرِ

---

(١) السواهم : النوق الضامرة؛ و بنات أو بر : ضرب من الكمأة تشبه الفلقاس أو اللفت ولونها كلون التراب . (٢) السعالى : الغيلان . (٣) عبقر : أرض يقال إنها مملوءة بالجن . (٤) فى الأصل : « المط » . (٥) الوصاب : المرضى ، واحدها : وصب — بكسر الصاد — . (٦) الشحوب : تغير اللون من السفر . (٧) الأبيض والأسمر : السيف والرمح . (٨) يشير إلى كوكبين : هما النسر الطائر والنسر الواقع . (٩) المزهر : العود . (١٠) فى الأصل هكذا « أبت » والأبيض والأصفر : الفضة والذهب .

* * *

وقال يمدح عميدَ المُلك أبا نصر [محمد بن] (١) منصور بن محمد الكُنْدرىّ وزير طُغْرُلْبك عند وصوله إلى العراق فى محرم سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة] :

أكذا يُجازَى ودُّ كلّ قرينِ ... أم هذه شيمُ الظباءِ العِين؟!

قُصُّوا علىَّ حديث من قتَلَ الهوى ... إن التأسِّىَ رَوْحُ كلّ حزينِ

ولئن كتمتم مشفقين فقُدوتى ... بمصارع "العُذرىِّ" و"المجنونِ" (٢)

فوق الركابِ ولا أطيل مشبِّها ... بَلْ ثَمَّ شهوةُ أنفسٍ وعيونِ،

هُزَّت قدودُهُمُ وقالت للصَّبا ... هُزءاً : أعند البان مثلُ غصونى؟!

وكأنما نقلتْ مآزرُهم إلى ... جَدَد (٣) الحمى "الأنقاء" (٤) من "يبرين"

ووراء ذيالك المقبَّلِ موردٌ ... حصباؤه (٥) من لؤلؤ مكنونِ

إمّا بيوت النحل بين شفاههم ... مضمومةً أو حانةُ الزَّرَجونِ (٦)

ترمى بعينيك الفِجاجَ مقلِّبا ... ذاتَ الشِّمال بها وذاتَ يمينِ

---

(١) الزيادة عن وفيات الأعيان حيث استوعب تاريخ هذا الممدوح . (٢) العذرى والمجنون : عروة بن حزام عاشق عفراء بنت عمه ، المنسوب إلى بنى عذرة ، وقيس بن الملوح عاشق ليلى . (٣) الجدد : ما استرق من الرمل . (٤) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل . ويبرين : موضع بأصقاع البحرين معروف بكثرة رماله . (٥) الحصباء : الحصى الصغار . (٦) الزرجون : الخمر — فارسى معرب — .

لو كنتَ "زرقاءَ اليمامة"(١) ما رأت ... من "بارق"(٢) حيًّا على "جيرونِ"(٣)

شكواك من ليـل التّمام(٤) وإنمـا ... أرقى بليـــل ذوائبٍ(٥) وقـرونِ(٦)

ومعنِّفٍ في الوجدِ قلت له: اتّئد ... فالدمـعُ دمعي والحنـينُ حنيني

ما نافعي — إذ كان ليس بنافعي — ... جاهُ الصبا وشـفاعةُ العشرينِ

لا تُطـــرقنّ تجلّا للومةِ لائمٍ ... ما أنت أوّلُ حازمٍ مفتـــونِ

ألسومهم — وهم الأجانب — طاعةً ... وهواي بين جوانحي يَعْصِيني(٧)؟

دَيْني على ظَبَياتِهـم ما يقتضى ... فبأيّ حُكْمٍ يقتضون رهـوني؟!

وخشيتُ من قلبي الفـرارَ إليهمُ ... حتى لقــــد طالبتُـه بضمينِ

كلُّ النكال أطيـق إلا ذِلّةً، ... إنّ(٨) العـزيزَ عذابُه بالهونِ

يا عينُ مثلُ قَذاكِ رؤيةُ معشرٍ ... عارٍ عـــلى دنيـاهُمُ والدّينِ

لم يُشْـبهوا الإنسانَ إلا أنهـم ... متكوّنون من الحَمـا(٩) المسـنونِ

نَجَسُ العيون فإن رأتهـم مقلتي ... طهّرتُهـا فنزحتُ ماءَ جفـوني

---

(١) زرقاء اليمامــة : امرأة مشهورة بحــدّة بصرها وكانت ترى ما بعــده ثلاثة أيام واسمها حذام — بالبناء على الكسر — . (٢) بارق : ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة . (٣) جيرون : اسم دمشق قديما — وفي ذلك أقوال كثيرة يرجع إليها في مظانها — .

(٤) ليـل التمام : — بالكسر — أطـول الليالي . (٥) الذوائب : شعر النواصي .

(٦) القرون : الغدائر . (٧) كتب بجانب هذه الكلمة على الهامش : «أصل هــذه القافية لم يكن ظاهرا» . وهذا يدل على أن الناسخ أثبت هذه الكلمة من عنــده ، ونحن نرجح أن تكون «يعصيني» لمطابقتها لكلمة «طاعة» في الشطر الأول . (٨) في الأصل «إلا» وهو تحريف .

(٩) الحمأ : الطين ، — وسهلت الهمزة للضرورة — .

أنا إن هُمُ حسِبوا الذخائر دونهم ... وهُمُ إذا عدّوا الفضـائلَ دونى

لا يُشمِت الحسّـادَ أنَّ مطالبى ... عادت إلىَّ بصـفقةِ المغبونِ

لا يستديرُ البـدرُ إلّا بعـد ما ... أبصرتَه فى الضُّـمر كالعُرجونِ (١)

هذا الطريقُ اللَّحْبُ (٢) زاجرُ ناقتى ... واليمُّ قاذفُ فُلكىَ المشـحونِ

فاذا "عميدُ الملك" حلَّ ربعـه ... ظَفِـرًا بفـال الطائر الميمونِ

مَلكٌ إذا ما العـزمُ حثَّ جيادَه ... مرِحتْ بأزهرَ شامخِ العِـرنينِ (٣)

يا عزّ ما أبصرتُ فوق جبينه ... إلا آقتضانى بالسـجودِ جبينى

يحلو النواظرَ فى نواحى دَسْته (٤) ... والسرجِ بدرُ دجًى وليثُ عرينِ

عمّت فواضـلُه البريّةَ فآلتقَى ... شـكرُ الغـنىّ ودعوةُ المسكينِ

قالوا ــ وقد شنُّوا عليه غارةً ــ : ... أصِلاتُ جودٍ أم قضـاءُ ديونِ؟

أمّا خزائنُ مالِهِ فمباحةٌ ... فآسـتوهِبوا من علمه المخـزونِ

كرمٌ إذا آسـتفتيته بجوابهُ : ... منـعُ اللُّهَى (٥) كالمنـع للماعونِ ! !

ما الرزق محتاجا بعرصـته (٦) إلى ... طلبٍ وليس الأجرُ بالممنـونِ

لو كان فى الزمن القديم تظلّمت ... منه الكنوزُ الى يدَىْ "قارونِ"

---

(١) الضمر : الهزال ، والعرجون : أصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبق على النخل يابسا . (٢) اللحب : الواضح . (٣) العرنين : الأنف . (٤) الدست : المجلس ، أو هو صدر البيت . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا ، والماعون : الزكاة . (٦) العرصة : ساحة البيت .

وإذا آمرؤ قعدت به همّاتُه ... خلّ سبيلَ رجائه المسجونِ

أقسمتُ أن ألقَ المكارمَ عالمـا ... أنّى برؤيتـه أبرّ يمينى

شهِدتْ علاه أنّ عنصُرَ ذاتِه ... مِسكٌ وعنصُرَ غيره من طينِ

ساس الأمورَ فليس تُخلَى رغبةٌ ... من رهبة وبسالةٌ من لينِ

كالسيف رونقُ أَثْرِهِ (1) فى متنـهِ ... ومضاؤه فى حـدّه المسنونِ

⁂

وقال يمدح الوزير أبا نصر محمد بن محمد بن جَهِير، ويهنّئه بوزارته للخلافة، وأنفذها اليه من واسط فى سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة]، ويعرِّض بآبن دارست الوزير وآبن حُصَيْن الكاتب :

لَحاجةُ قلبٍ ما يُفيق غُرورُها ... وحاجةُ نفسٍ ليس يُقضَى يسيرُها

وعينٌ الى الأطلالِ تُزجى سحابَها ... إذا لوعةُ الأحشاءِ هبّ زفيرُها

أكلّفها هطلا على كلّ منزلٍ ... فلو أنها أرضٌ لغارت بُحورُها

وما تجمع العينُ التوسُّمَ والبكا ... فهل تعرفانِ مقلةً أستعيرُها

وقفنا صفوفا فى الديار كأنها ... صحائفُ ملقاةٌ ونحن سطورُها

يقول خليلى والظّباء سوانحٌ : ... أهذى التى تهوى؟ فقلت : نظيرُها !

لئن أشبهتْ أجيادُها وعيونُها ... لقد خالفت أعجازُها وصدورُها

---

(1) الأثر : جوهر السيف .

فيا عجبي منها يَصُدُّ أنيسُها ويدنو على ذُعرٍ الينا نَفُورُها

وما ذاك إلا أنَّ غِزلانَ "عامرٍ" يثقنَ بأن الزائرين صُقورُها

ألم يكفِها ما قد جنتهُ شموسُها على القاب حتى ساعدتها بدورُها

نكَصنا على الأعقاب خوفَ إناثها فما بالها تدعو : نَزالِ، ذُكورُها

و والله ما أدرى غداة نظرننا أتلك سهام أم كئوسٌ تديرُها؟

فإن كنَّ من نَبلٍ فأين حَفيفُها (١) وإن كنَّ من خمرٍ فأين سرورُها ! ؟

أيا صاحبيّ آستأذنا لىَ خُمْرَها (٢) فقد أذِنتْ لى فى الوصول خدورُها

هباها تجافتْ عن خليلٍ يروعُها فهل أنا إلا كالخيال يزورُها؟

وقد قلتما لى : ليس فى الأرض جَنّةٌ أما هذه فوق الركائب حُورُها ! ؟

فلا تحسَبا قلبى طليقا فإنما لها الصورُ سجنٌ وهو فيه أسيرُها

يعِزُّ على الهِيم الحوامِسِ وِردُها (٣) إذا كان ما بين الشفاه غديرُها

أراكَ "الحمى" قل لى : بأَىّ وسيلةٍ وصلتَ الى أن صادفتك ثغورُها

وما لى بها علمٌ ، فهل أنت عالم : أأفواهها أولى بها أم نحورُها؟ !

يطيب النسيمُ الرطبُ فى كلِّ منزلٍ وما كلُّ أرض يستطابُ هجيرُها

وأنَّ فروعَ البان من أرض "بِيشَةٍ" (٤) حبيبٌ إلىّ ظلُّها وحَرورُها

---

(١) الحفيف : دوى صوت السهام . (٢) خمر : جمع خمار وهو كل ما غطى الرأس .

(٣) الهيم الحوامس : الإبل العطاش ترد فى اليوم الرابع لظمئها . (٤) بيشة : موضع معروف بكثرة الأسود .

أَلَذُّ من الورد الجنيّ عَرارُها (١) وأحلى من الشهدِ المصـفّى بَريرُها

على رِسْلكم في الحبّ، إنّا عصـابةٌ (٢) إذا ظفِرتْ في الحبِّ عفّ ضميرُها

سَواءٌ على المشتاق - والهجرحظّه - أألقت عصاها أم أجدّ بُكورُها

لعمرُك ما سحـرُ الغواني بقـادرٍ على ذات نفسي والمشيبُ نذيرُها

وما الشَعراتُ البيضُ إلا كواكبٌ مطالعُها رأسي وفي القلب نُورُها

ضياءٌ هـداني فاهتـديتُ لمـاجدٍ سُهولُ المعـاني طُـرقُه ووُعورُها

أجابَ به اللهُ الخـلافةَ إذ دعت وزيرا فكان من أجنّ ضميرُها

به غَصّ ناديهـا وأشرقَ سـعدُها وأنعمَ واديهـا وسُـدّت ثغورُها

تَبـاهَى به يومَ الرحيـل خيامُها وتزهَى له يومَ المقـام قصـورُها

وقد خفيتْ من قبـله معجزاتُها فأظهـرها حتى أقرّ كَفورُها

فما رأيه إلا سمُـوطُ لآلئٍ يرصّـع منهـا تاجُهـا وسريرُها

ولا عجبٌ أن تستطيلَ عِمـادُها وهـذا الهمامُ الأريحيّ وزيرُها

فقـل لليـالي : كيف شئتِ تقلّبي ففي يدِ عبـلِ (٣) الساعدينِ أمورُها

يدٌ عبِقت بالمكرُمات وضُمّخت وما الطيبُ إلا مِسكها وعبـيرُها

إذا كان خاتامُ (٤) الخلافةِ حَلْيَها فأيّ افتـخار يستزيد فخـورُها

---

(١) البرير : أول ما يظهر من ثمر الأراك . (٢) الرسل : الرفق والتؤدة .

(٣) العبل : الضخم . (٤) الخاتام : الخاتم .

وما صيغ لولا معصماه سِـــوارُها ولا صين لولا مَنكِباه حريرُها

أمانىٌّ فى صــدر الوزارةِ بُلِّغتْ به كُنْهَها حتى آستحقّتْ نُذورُها

لوتْ وجهها عن كلّ طالب مُتعةٍ إلى خاطبٍ حِلٌّ عليــه سُفورُها

ومن ذا "كفخر الدولة" آستامها له وما كلُّ نجم فى السماء منـيرُها

آلانَ (١) رأينـا فى مجالس عزِّها مجالسَ تُملَا بالعَـــلاء صـدورُها

كأنَّ على تلك الأرائك ضيغما له نأماتٌ (٢) لا يجابُ زئـيرُها

إذا مَثَـلَ الأقوامُ دون عَرِينِه تسـاوَى به ذو طيشهـا ووقورُها

تكاد لِمـا قد أُلبست من سكينة ترِفُّ على تلك الرءوس طيـورُها

دعوا المجـد للتراقى إلى كل قُـلَّةٍ (٣) يشُـقُّ على العَوْدِ (٤) الذلول حُدورُها

لذى الخَطَراتِ المخبراتِ يقينَـــه بمستقبَل الحالاتِ ماذا مصـيرُها!

ألم تعلموا أن النعائمَ فى الثرى وأن البُزاةَ فى الشِّعاب وُكورُها

وقد علمت أبنـاءُ "هاشمَ" كلُّها بأى آبن هَــمٍّ قـد أُمِرَّ مَرِيرُها (٥)

بمكتهِلِ الآراء لـو زاحمـوا به جبالَ "شَرَوْرَى" لآرجحنَّتْ (٦) صُخورُها

مقـيم بأطرافِ المكارم سـائل ركابَ بنى الحاجات : أين مسيرُها؟!

---

(١) يريد « الآن » مخفف للضرورة . (٢) النأمة : صوت الأسد . (٣) القلة : رأس الجبـل . (٤) العود : الجمل المسن ؛ والحدور : الانحدار . (٥) المرير : الحبل المحكم الفتل . (٦) ارجحنت : مالت واهتزت .

جزى اللهُ ربُّ الناس خيرَ جزائه ... ركائبَ تحدى بالمكارم عِيرُها

وأسقى جيادا سِرنَ بالبأس والندى ... من الساريات الغاديات غزيرُها

تناقلن من علياءِ دارِ "ربيعةٍ" ... و"بكرٍ" بأنواءٍ يفيض نميرُها (١)

تخطَّت شُعوبا من ذؤابة "عامرٍ" ... لها العزُّ حامٍ والنجاحُ خفيرُها

وساعدها من آلِ "جُونَةَ" (٢) عصبةٌ ... إذا ثوب الداعى يعزُّ نصيرُها

حماةُ السيوف والرماح حِمامُها ... وأحشاءُ ذؤبانِ (٣) الفلاة قبورُها

قبابهم السمرُ الطوالُ عِمادُها ... ومُقرَبةُ الخيلِ العتاقِ ستورُها

وأفنيةٌ مثلُ الروابى جِفانُها ... ومثلُ الجبالِ الراسيات قدورُها

إذا طرقَ الأضيافُ غنَّت كلابُها ... وناحت بشجوٍ شاتُها وبعيرُها

فاخطت "الجُودِىّ" (٤) حتى تراجفت ... اليهن آكام "العراقِ" وقُورُها (٥)

وكادت لها "بغدادُ" يوم تطلّعت ... تسيرُ مغانيها وتجمحُ دُورُها

فلم تك إلا هجرةٌ "يثربيّةٌ" ... حقيقٌ على رهطِ "النبيّ" شُكورُها

فلله شمسٌ، مغربُ الشمس شرقُها ... وفى حيثما شاءت طُلوعا ذُرورُها (٦)

أعدْتَ الى جسم الوزارة رُوحَهُ ... وما كان يُرجَى بعثُها ونُشورُها

---

(١) النمير : العذب الصافى . (٢) جونة : موضع أوحى ؛ وتميم جونة منسوبون اليهم .
(٣) ذؤبان : جمع ذئب . (٤) الجودى : جبل فى الجانب الشرقى من دجلة من أعمال الموصل . (٥) قور : جمع قارة وهى الجبل المنقطع عن الجبال أو هى الصخرة العظيمة .
(٦) الذرور : الطلوع .

أقامت زمانا عنـــد غيرك طامِثـا (١) وهـــذا الزمان قُرءُهـا وطَهورُها (٢)

من الحقّ أن يُحبَى بهـا مستحقُّها ويَنزَعَهـا مردودةً مســتعيرُها

إذا ملك الحسناء من ليس كفؤها أشار عليهـا بالطـلاقِ مُشـــيرُها

أظنّ ابنُ "دارستَ" الوزارةَ تَلعةً (٣) "بفارسَ" قد عُدَّتْ عليه بُدورُها (٤)

وإن هضاب المجد ليست بمَزلَقٍ، لأحنفَ كابى الحافرين عُثـورُها (٥)

ألمَّـا يكن فى نسجِ "تُوَّجَ" (٦) شاغلٌ له عن تعاطى رتبـــةٍ لا يطورُهـا (٧)

أقول وقـــد واراه عنّـا حِجابُه : رويدَكَ دون الفاحشات سُتورُها

وأعلقه بآبن "الحُصينِ" سفاهةً ألا خابَ مولاها وسـاء عشيرُها

فأعدَى إليـــه رَأيَهُ فأباده كما أهلك "الزَّبَّاءَ" (٨) يوما "قَصيرُها"

وهل نجمه الهـاوى سوى دَبَرانهـا (٩) وهـل ريحُـه الهوجاءُ (١٠) إلا دَبورُها

وأطـــربه تحت الرِّواق نُهـاقُه (١١) وليس يروق الأُتْنَ (١٢) إلا حَميرُها

وما كان ظنّى أن للـذئب وقفـــةً وقـد جرَّ أرسانَ (١٣) الأمور هَصورُها (١٤)

---

(١) الطامث : الحائض . (٢) القرء : الطهـر من الحيض ، وفى الأصـل « قرها » وهو تحريف . (٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض . (٤) بدور : جمع بدرة وهى كيس فيه عشرة آلاف درهم . (٥) الأحنف : الذى تميل قدماه كل واحدة الى أختها بأصابعها . (٦) توج : مدينة بفارس تصنع فيها ثياب من الكتّان ذات ألوان حسنة . (٧) لا يطورها : لا يقرب منها . (٨) الزباء : لقب ملكة الجزيرة وقصتها مع قصـير بن سـعد مشهورة . (٩) الدبران : منزل للقمر . (١٠) الهوجاء : الريح التى لا تستوى فى هبوبها ؛ والدبور : الريح الغربية . (١١) فى الأصل «نهامة» وهو تحريف . (١٢) الأتن : جمع أتان وهى الأنثى من الحمير . (١٣) الأرسان : الحبال، واحدها رسن . (١٤) الهصور : الأسد .

فأرضُ رُعاءِ البَهْـمِ إلا تُقِـرّه ... يُعقّرْ بنـابٍ لا يُبِـلُّ عقـيرُها

ولا تُلقينّ البأسَ عنـد آحتقارهِ ... ألا ربمـا جرّ الخطـوبَ صـغيرُها

بودّى لو لاقيتُ مجـدَك تاليًـا ... مناقبَ أُسـديهـا(١) له وأُنيرُهـا(٢)

ولكننى أبعدتُ فى الأرض مذهبى ... لإعزاز نفسٍ قد جفاها عَذيرُهـا(٣)

وجهجهَ(٤) بى عن أرض "بغدادَ" ذِلّةٌ ... كوخز سنانِ السـمهرىّ(٥) حُصورُها(٦)

لأمثالهـا تعـلو الجيـادَ سُروجُها ... ويلتقم الحَرْفَ(٧) العَلَنْـداةَ كُورُهـا(٨)

فـكدت بأن أنسى لذاك فصاحتى ... سوى أنّ طبعا فى الحَمَام هديرُها

تركنا رُبَى "الزوراء" ينزو(٩) خلالهـا ... جَنادبُ يعلو فى الهجير(١٠) صَريرُهـا(١١)

وقلتُ : بـلادُ الله رحبٌ فسيحةٌ ... فهل معجزى أُفحوصة(١٢) أستجيرُها

وقد تترك الأسـدُ البـلادَ تنزُّهـا ... إذا ما كلابُ الحىّ لجَّ هريرُهـا

أقامت بمثـواك الليـالى مُنيخةً ... مكرّرةً أيامُهـا وشُهورُهـا

يؤرّخُ من ميلاد سعدك عَصْرُهـا ... وتُحصَى بأعمـار النسور دُهورُهـا

فدونكها للتـاج يُبتـاعُ دُرُّهـا ... "فرزدقُها" غوّاصها و"جَريرُها"

وقـد زادها حسـنا لعينيك أنهـا ... على مسمعَىْ "داود" يُتلَى "زَبورُها"

---

(١) أسدى الثوب : جعل له سدى . (٢) أنار الثوب : جعل له نيرا وهو ضد أسدى .
(٣) العذير : النصير . (٤) جهجه بى : زجرنى . (٥) السمهرى : الرمح — منسوب الى سمهر وهى بلدة بالحبشة — . (٦) الحصور : الأسر . (٧) الحرف العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . (٨) الكور : الرحل . (٩) ينزو : يثب ؛ والجنادب : الجراد . (١٠) الهجير : شدّة الحر . (١١) صريرها : صوتها .
(١٢) الأفحوصة : مجثم الدجاجة والنعامة .

* * *

وقال يمدحه، ويهنئه بعوده الى الوزارة بعد أن عُزِل عنها :

قــد رجــعَ الحقُّ الى نِصــابهِ ... وأنت من كلّ الورى أولى بهِ

ماكنت إلا الســيفَ سلّه يدٌ ... ثُمّ أعادتــه إلى قِــرابهِ (١)

هزّتهُ حتى أبصــرتْهُ صارما ... رونقُــه يُغنيه عن ضِرابهِ

أَكرِمْ بهــا وزارةً ما سلّمت ... ما آستُودِعت إلا الى أربابهِ

مشــوقة إليــك مذ فارقتَها ... شوقَ أخى الشّيب إلى شــبابهِ

مثلُك محســودٌ ولكــن معجز ... أن يُدرِكَ البارقُ فى سحابهِ

حاولهــا قومٌ ومن هــذا الذى ... يُخْرِجُ ليثا خادرا من غابهِ

يُدمِى أبو الأشــبال من زاحمَــهُ ... فى خِيســهِ بظُفــره ونابهِ

وهــل سمعتَ أو رأيت لابسا ... ماخلَع الأرقمُ (٢) من إهابهِ (٣)

لا تحسَــبا لهوَ الحديث ماحيا ... حَــتما (٤) قضــاه الله فى كتابهِ

مرُّ النســيم غاديا ورائحــا ... لا يُزلِقُ الأعصمَ (٥) عن هِضابهِ

وليس يُعطى أحــدا قيــادَه ... أمرٌ، لســانُ المجد من خُطّابهِ

تيقّنــوا لمــا رأَوهــا صــعبةً ... أن ليس للجــوّ ســوى عُقــابهِ

---

(١) القراب : غمد السيف . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الإهاب : الجلد .

(٤) فى الأصل «ختما» وهو تصحيف . (٥) الأعصم : تيس الجبل يعتصم به .

إن الهــلالَ يُرتجى طــلوعُه بعــد السِّرارِ[1] ليــلةَ احتجابِه

والشمس لا يُوءَس من طلوعِها وإن طواها الليــلُ فى جِلبابِه

ما أطيبَ الأوطــانَ إلا أنهــا للمــرء أحــلى أثرَ اغــترابِه

كم عَودةٍ دلَّت عــلى دوامها، والخُــلدُ للإنسانِ فى مآبه

لو قَرُبَ الدُّرُّ عــلى جالبــه ما لجَّجَ الغــائصُ فى طِــلابه

ولــو أقام لازما أصــدافَه لم تكن التيجانُ فى حسـابه

من يعشق العلياءَ يلقَ عنــدها ما لقىَ المحبُّ من أحبـابه

طورا صــدودا ووصالا مرّةً ولذّةُ الــوامقِ فى عتـابه

وربّمــا اعتاصَ[2] الذى تأمُلُه وأصبحَ المخوفُ من أسبابِه

ما لــؤلؤ البحــر ولا مَرجانُه إلا وراءَ الهول من عُبابِه

ذلَّ "لفخرالدولة" الصعبُ الذُّرى وعــلَّم الأيام من آدابِه

واســتخدم الدهرَ فما يأمره إلا أتى الطـاعةَ فى جوابه

يكاد من تهذيبــه أخلاقَهُ أن يســتردَّ الغــدرَ من ذئابِه

قــد طأطأتْ أيامُه أعناقَها خاضــعةً تســير فى رِكابِه

كأنهـا عصائبٌ من طالبى ثــوابِه أو خائــفى عِقـابِه

---

(١) السرار : آخر الشهر .

(٢) اعتاص : صعب وصار عويصا ، وفى الأصل : «اعتاض» وهو تصحيف .

إن أخطأتْ واصلت آعتذارَها — وإن أصابت فهو من صـــوابهِ

يا ناشــد الجُود وقــد أضــلَّه — مالك لا تبغيــــه فى جَنابهِ؟

حيث أقام أبصرَ الناسُ الندى — تُشــير كفاه الى قِبابهِ

ترى وفودَ الشــكر حولَ بيتــه — كأنهــا الأوتادُ فى أطنــابه

ما ثوّروا[1] الآمال عن صــدورهم — إلا أناخت بِفِنـاء بابهِ

وكيف لا يهــوَى الرجاءُ رَبعَه — وليس مَرعاه ســوى أعشابهِ

قــلّد أيدى المكــرُماتِ إذنَهُ — فرفَعتْ مِن طَرَفَىْ حِجابه

لا تسئلنّ عن مدى معروفه — أو تســل الوسمىّ[2] عن مَصابهِ؟!

يكفيــك ما يبسُــطه من بِشره — أن تطلبَ الإذن الى حُجّــابهِ

يطغَى بتكرير الســؤال رفــدُه — والدّرُّ جيّــاشٌ[3] على آحتــلابهِ

هو الذى أفعــالُه من حسنِها — كأنمــا آشتُقِقن من ألقابهِ

مَن حسَبُ السؤددِ فى صميمهِ — ونسبُ العليــاء فى لُبــابهِ

كالسمهرىّ عزمُه لو لم يكن — ينقُص عنــه الرمحُ بآضطرابهِ

شــكرا وزير الوزراء تســترد — أضعافَ ما بُلّغتَ من وَهابهِ

قدِمتَ كالغيث أصاب ظامئا — ســوّفه الخــدّاعُ من سَرابهِ

كم ساجدٍ لمّــا سموتَ طالعــا — كأنه صــلّى الى مِحــرابهِ

---

(١) ثوروا الآمال: هاجوها وجعلوها ثائرة. (٢) الوسمى: أوّل المطر. (٣) جياش: متدفق.

وصائم رؤياك قـد أغنته عن طعـامه طِيبـا وعن شرابهِ

ولو أطاق الدَّستُ سـعيا لسعى مســـتقبِلا يختــال فى أثوابهِ

كانـ حشاه قلِقا حتى آحتبى فى صــدره من كان من آرابه

أقمت فى نعماءَ مطمئنَّـــةٍ تُحكِّمُ الفـــؤادَ فى إطـــرابهِ

تسـاعد الدنيـا عـــلى زينتها وتغلب الدهر عـلى أحقـابهِ

ألقت عصاها وآرتمت ركابُهـا فى سُرَرِ الوادى وفى شِـــعابهِ

قد أُعفىَ المـارنُ(١) من خَشاشـهِ(٢) ورُوِّحَ الغـاربُ(٣) من أقتـابهِ(٤)

عـــلى يديك المرتجَى إنعـامُها تابَ غرابُ البين من نُعابهِ

* * *

وقال أيضا فيه ، ويذمُّ آبن دارست، ويذكُر مصيرَ هذا الى العراقِ من البلاد العُليا، وهذا من السفلَى :

قالوا : وزيرانِ، هوَى نجمُ ذا ونجمُ هــذا قـد علا طالعـا

كذلك الدهرُ يُرَى خافضـا طورا وطورا قد يُرَى رافعـا

قلتُ : قياسٌ ويحكم زِبْرِجٌ(٥) جوهرُه لا يقبـــلُ الطابعـا(٦)

---

(١) المـارن : الأنف . (٢) الخشاش : خشبة تعترض أنف البعير . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) أقتاب . جمع قتب وهو الرحل على قدر السنام . (٥) الزبرج : الذهب .
(٦) فى الأصل «الطائعا» وهو تصحيف .

هذا أتى من "آمِد"[1] ساميا   وذا أتى من "فارِس" خاضعا

كم بين من وُلِّىَ من فوقها   فقــرَّ فى مركزها وادعا ،

وبين من رُقِّىَ من تحتها   فخــرَّ من ذِروتها واقعا

نطَّرِحُ الباطنَ ما بيننا   ونستفيدُ الظاهرِ الذائعا

ابنُ "جَهير" وآبنُ "دارستِكم"   بأىِّ لفظٍ يُعجِبُ السامعا

أليس مطبــوعا على قلبــه   من ظنَّ تيسا أسدا رائعا!

⁂

وقال يمدحُ ولدَه عميدَ الدولة ، ويهنئُه بالخِلَع عليه وآستخلافِه على الوزارة :

قــد بانَ عذرُك والخليطُ مودَّعُ   وهوَى النفوسِ مع الهوادج يُرفَعُ

لك حيثما سمت الركائبُ لفتــةٌ   أتُرى البــدورُ بكل وادٍ تَطلعُ!

لله مطــوىٌّ عــلى زفَــراتهِ   لم يقضِ من ظمأ ولا هو ينقَعُ

قرُبت أمانىُّ النفــوس وعنــده   أمــلٌ تُخبُّ[2] به الركابُ وتوضِعُ

ونأتْ مَطارحُ قلبــه عن سمعــه   فالعــاذلون بهنّ حَسرَى[3] ظُلَّــعُ[4]

ما خاف فى ظُلَمِ الصبابةِ ضلّةً   إلا ودلّتــه الــبروقُ الُّلمَّــعُ

فى الظاعنين من الحِمَى ظبىٌ له الـ   أحشــاءُ مرعًى والمآقى مكرَعُ

---

(١) آمد : بلد قديم حصين يحيط بأكثره نهر الدجلة كالهلال . (٢) الخبب والإيضاع : ضربان من السير . (٣) حسرى : معياة . (٤) الظلع : التى فى مشيها غمز يشبه العرج .

ممنوعُ أطرافِ الجمال، رقيبُــه حذِرٌ عليـه، والغيــورُ البرقُــعُ
عهِـدَ الحبـائلَ صائداتٍ شِبهَهُ وآرتابَ، فهو لكلِّ حبلٍ يقطعُ
لم يــدرِ حامِي سِربهِ أنِّى اذا حُرِمَ الكلامُ له، لسانِى الإصبعُ
وإذا الطُّيوفُ الى المضاجعِ أُرسِلت بتحيــةٍ منه فعيــنى تســمعُ
ويحَ الألى آنتجعوا الغمامَ وعندهم بين المحاجرِ ديمــةٌ[1] ما تُقلعُ
لجئوا الى عِزِّ الخدور وفى الحشا بيتٌ أعزُّ من الخــدور وأمنعُ
هــل فى قِبابهم اللواتى رفَّعــوا مبنيَّــةٌ أطنابُهنَّ الأضــلُعُ؟!
لهمُ مَصيفٌ فى الفؤاد ولو سُــقِى ماءَ الوصــال لكان فيــه مَربَعُ
يا كاسرَ النَّجلاءِ تُرســل نظــرةً خَطفا كلحظ الريمِ[2] وهو مروَّعُ
لسوى أسنَّتك المِجنُّ مضــاعَفٌ ولغيرِ أسهمك الســوابغُ[3] تُصــنَعُ
لى حيــلةٌ فى كلِّ رامٍ مُغرِضٍ[4] لو أنه فى غــير قوســك ينزِعُ
أطيِبْ بأطلالِ "الأراك" ونفحةٍ باتت بمسراها الرجالُ تَضَــوَّعُ
ومواقفٍ لم ألقَ مَولًى راحمـا فيهـا ولم أظفَر بخِــلٍّ يشــفعُ
لولا الذين البيــدُ من أوطانهم ما كان يملِكنى الفضــاءُ البلقعُ[5]
آنستُ من أطلالهم ما أوحشوا وحفِظتُ من أيامهم ما ضــيَّعوا

---

(١) الديمة: المطرة الدائمة. (٢) الريم — ويهمز — الغزال. (٣) السوابغ: الدروع. (٤) المغرض: الذى يصيب الغرض وهو الهدف. (٥) البلقع: القفر.

ورضيتُ بالمُهـدِى إلىّ نسيمَهم ... إن المحب بمـا تيسَّر يقنـعُ
ولقد حللتُ حُبَى الظلام بفتيـةٍ ... أَلِفَتْ وجوهَهم النجـومُ الطُّلَّعُ
قَرَوُا الهمومَ جسومَهم ونفوسَهم ... وبطونُهـا بسـواهُمُ ما تشـبعُ
وسَرَوا بأشباحٍ تجـاوَزها الردى ... إذ لم يكن فيهـا له مسـتمتَعُ
لاقتْ بهم خُوصُ المهارَى (١) مثلما ... لاقى بأربَعِهـا الثرى والـيرمَعُ (٢)
في حيثُ لا زَجَلُ (٣) الحُداة مرَدَّدٌ ... خوفَ الهلاك ولا الحنينُ مرجَّعُ
قلِقَت بهـم قلقَ اللديغ كأنمـا ... طَنَّت سيـاطُهمُ أراقمَ تلسـعُ
فتَـل الدءوبُ لحومَها بشحومِها ... فتشابهت (٤) أثبـاجهـا (٥) والأنسُـعُ (٦)
متباريات بالنَّـجاء (٧) كأنمـا ... وضَعت رهونا سُوقُها والأذرعُ
وإلى "عميد الدولة" آعتسفت بنا ... أنضـاؤها (٨) حتى هنـاها المربَعُ
من عندَه الظلُّ الظليلُ ومنهلُ الـ ... ـعذب المصفَّق والجنـابُ المُمرِعُ
والغـادياتُ السارياتُ بريقُهـا ... ولبانُهـا يسقى الرجاءَ ويُرضـعُ
ما زال يُفهمنـا العـلاءُ صنيعَه ... حتى علمنـا ما الأغرُّ الأروعُ

(١) خوص : جمع أخوص وخوصاء وهى التى غارت عينها . والمهارى : جمع مهرية وهى الإبل المنسوبة الى مهرة بن حيدان وهى نجائب تسبق الخيل . (٢) اليرمع : حصى بيض تلمع وهى رخوة إذا فتتت انفتت . (٣) الزجل : الصوت . (٤) فى الأصل "فتشابهن" . (٥) أثباج : جمع ثبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر . (٦) أنسع : جمع نسع وهو المفصل بين الكف والساعد ، والساق والقدم (٧) النجاء : السير السريع . (٨) أنضاء : جمع نضو وهو المعيا المهزول من السير .

يخشى سهامَ الذمّ فهـو مسالمـا	ومحاربا بنـواله يتـدرّعُ
غرسَ الصـنائعَ فاجتنى ثمراتِهـا	شـكرا، وكلٌّ حاصـدٌ ما يزرعُ
عيدانُ مجـدٍ لا تلين لغـامزٍ	وجبـالُ عزٍّ مَرْوُها ما يُقـرَعُ (١)
ومنـاقبٌ يقـضِى لهـا متعنّتٌ	فى حكمـه ويجيزها (٢) متتبّـعُ
كم أزمةٍ خرِسَـتْ رواعدُ سُحبِهـا	وسحـابةٍ فيهـا خطيبٌ مِصـقَعُ
وإذا المطالبُ باللئـام تعثّرت	ظلّت مواهبُـه بهنّ تُدَعدِعُ (٣)
تبِعـوا مساعيَهُ فلمّـا أبصروا	بُعـدَ المسافة أفردوه وودّعوا
إنّ المعـالىَ صعبـةٌ لا تُمتطَى	والمـأثُرات ثنيّـةٌ (٤) ما تُطـلَعُ
يقِف الثناءُ عليـه وقفـةَ حائرٍ	ممّـا تسُنُّ له يداه وتشَـرَعُ
إن قصّرت مُدّاحه عن وصفـه	فعجائب البحرين ما لا تُجمـعُ
قلِقُ اللواحـظ أو تقـرّ بزائرٍ	كالمضرحىّ (٥) لصـيده يتـوقّعُ
فهنـاك أبلجُ ما وراء لثـامهِ	ملآنُ من ماء البشاشـةِ مُترَعُ
هو قِبـلةُ المجـد التى ما مِلّةٌ	إلا وتسـجُدُ نحوها أو تركَعُ
تتنـاسب الأهواءُ فى تفضيـله	والقـولُ فى أديانهـا يتنـوّعُ

(١) المرو : حجارة براقة صلبة، واحدها مروة. (٢) فى الأصل «ويجيرها» وهو تصحيف.

(٣) تدعدع : تقول لها : دع دع وهى كلمة — ساكنة الآخر — تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش، كما يقال : لعا.

(٤) الثنية : طريق العقبة وهى المرقى الصعب فى الجبال. (٥) المضرحى : الصقر، أو النسر الطويل الجناح، وكلاهما مشهور بحدّة البصر.

عِلمًـا بأنّ الشمس ما فى عينهـا ... رمدٌ ولا ثوبُ السمـاء مرقَّعُ

يا دهرُ لا تَعرِضْ لمن آراؤه ... فى مَفصِـل الجُـلَّى تَحُزُّ وتَقطـعُ

لَطُـفَت وجلّ فعالهـا ولطالمـا ... نَزحَ النجيعَ (١) من العروق المِبْضَـعُ (٢)

وله عزائمُ ضـاق عنهـا ذَرعهُ ... كالسيل غصَّ به الطريقُ المَهيعُ (٣)

شوسٌ (٤) إذا آستدعتْ أنابيبَ القنا ... أبصرتَها من سُمرِعة تـتزعزعُ

إياك تحتُ فى جوانبِ كُدْيةِ (٥) ... بالحارِشينَ (٦) ضِبابُها لا تُخْـدعُ

أنسيتَ إذ قارعتَـه عن مجـده ... فرجعتَ مفـلولا وأنفُك أجدعُ (٧)

أيّامَ جاهَــدَ فى أبيـه بهمّـةٍ ... هجـعَ الظلام وعينُهـا ماتهجَـع

حتى آطمأنَّ من الوزارة نافـرٌ ... وثُنى إليـه لِيتُهـا (٨) والأَخـدعُ (٩)

وآسـتُرجِعتْ عذراءَ لم يَنعَمْ بهـا ... بعـلٌ كما آرتَجع الوديعـةَ مودِعُ

ومشى أمام جيـادهِ مسـتقبِلا ... من كان أمسِ وراءهنّ يُشيّعُ

بالرفق تحـطُّ الوعولُ (١٠) من الذُّرى ... ويصاد يَربوعُ (١١) الفـلا المتقصِّعُ (١٢)

هـذا أمــيرُ المؤمنين وظنّـه ... بالغيب مِرآةٌ تضىء وتلمـعُ

---

(١) النجيع : الدم . (٢) المبضـع : المشرط . (٣) المهيع : الواسـع .

(٤) شوس : جمع أشوس وشوساء وهو الجرئ على القتال الشديد . (٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب . (٦) الحارش : صائد الضب من كديته التى حفرها . (٧) أجدع : مقطوع . (٨) الليت : صفحة العنق . (٩) الأخدع : عرق فى الرقبـة .

(١٠) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (١١) اليربوع : حيوان أشبه بالفأر إلا أنه كبير عنه قصير اليدين . (١٢) المتقصع : الداخل فى القاصعاء وهى جحر اليربوع .

لمـا تنسّم من شمـائلِ عِطْفِـــهِ ... ارجَ الكفاية فانّحـا يتضـــوّعُ ،
ناجاه بالوادى المقـــدّس نابذا ... كَلِمـًا تلين لهـا القلوبُ وتخشعُ
وكساه من حُلل الدِّمَقْسِ[1] جلابيا ... كالروض بل منه أغضُّ وأنصعُ
فكأنهـا نُسِجَت بجِنَّـــةِ عبقـرٍ[2] ... أو ظَـلَّ يرقُمهـا الربيعُ ويطبَـعُ
لو أنهـا دِمَنٌ أقامت بينهـا ... وُرْقُ الحمـائم تستهِلُّ وتسـجَعُ
إن أُكملتْ حسنا فقد زُرَّت على ... جسـدٍ يكلَّل بالعــلا ويرصَّـعُ
وأعاضه من تاج "فارسَ" عِمةً ... إذ عنـــده تاجُ الأعارب أرفعُ
كالليـل إلا أنهـا قد طُـرِّزت ... شـــفَقا على آفاقهـا يتشعشعُ
ما أشرقُ الألوان إلا سُـــودُها ... ولأجل ذا لونُ الشبيبة أســفعُ[3]
أمثالُهـا فـــوق الرءوس وهـــذه ... فوق الرزانةِ والحصانة[4] توضَـــعُ
وحباه من قُبِّ العتاقِ[5] بضـامرٍ ... كالذئب زعزعَ مَنكبيهْ مَطمَـعُ
لا تُثنِيت العينـانِ أين مقـــرُّه ... فى الأرض لولا نقعُــه[6] المترفِّـعُ
يقظانُ تحسَب سَرجَه ولجامَـــه ... فى لُجَّـــة أمواجُهـا تتدفَّـــعُ
يخطو فيختصر البعيدَ من المَـدى ... بقـوائم مثـلِ البليـــغ تُوقِّـــعُ
بالسـبق منفـــردٌ بلَى فى مَتنه ... منـه الى طُـرُق المعـالى أسرعُ

(١) الدمقس : الحرير . (٢) عبقر : موضع تنسب اليه الجن . (٣) الأسفع : الأسود . (٤) كذا فى الأصل ويحتمل أن تكون «الحصافة» . (٥) قب العتاق : الخيل الضامرة البطن ، واحدها : أقب وقباء . (٦) النقع : الغبار .

إِن الخليفــةَ للزمان وأهــلِهِ ... طَودٌ من الحَـدَثانِ لا يتضعضَعُ

هو فى الدجى بدرٌ ينير وفى الضحى ... شمسٌ لهـا فى كل أفــقٍ مطلعُ

و"بنو جَهِــيرٍ" دَوحةٌ فى ملكه ... أفنانُهـا وغصونُهـا تتفــرّعُ

بوزيرها وعميــدِها وزعيمِهـا ... و"جهـيرها" أبدا يُضَرُّ ويُنفَعُ

القــارحُ(١) المــوفى عليهـا سابقٌ ... ورَباعُهـا(٢) وثَنِيُّهـا(٣) والمُجــذِعُ(٤)

كلٌّ له يــومَ الفخار منـاقبٌ ... ثمَّ الأكابرُ فضلُهـا لا يُدفَــعُ

لله أربعــةٌ بهــم هــذا الورى ... وكذا حكَوْا أن الطبائع أربعُ

"أحمــدُ بن محمــدِ بنِ محمــدٍ" ... وعُلاكَ منصتةٌ تجيبُ وتسـمَعُ،

لا كان هــذا الدهرُ إن عطاءَهُ ... بالله يســمُجُ فى العقول ويفظُعُ

ما بال أقــوامٍ به لو أُنصِــفوا ... رُدّوا على باب النجاح ودُفِّعــوا

ما كان قطُّ لهم على دَرَجِ العــلا ... مرقًى ولا عند الصنيعة موضــعُ

وأرى المعـايشَ بينهم مقســومةً ... كالغُــنم(٥) يُخَمَّسُ(٦) تارة أو يُربَعُ

وأعابهم(٧) نفــرٌ بلا سببٍ ســوى ... أنّ المعـايبَ بين قومٍ تَجمَعُ

---

(١) القــارح : من الخيــل بمنزلة البازل من الإبل . (٢) الرباع : — من الخيل — ما استتم السنة الرابعة . (٣) الثنى : — من الخيــل — ما استتم السنة الثالثة . (٤) المجذع : الذى صار جذعا وهو ما قبل الثنى . (٥) فى الأصل « كالغيم » وهو تصحيف . (٦) يربع ويخمس : يؤخذ ربعه وخمسه . (٧) كذا بالأصل، والوارد فى المعاجم « عاب » بغير التعدية بالهمزة، ولعلها « قد عابهم نفر ... الخ » .

أأُذادُ عن بَرْدِ الحياض ومثلُهم يُدعَى إلى العَذْبِ الزلالِ فيكرَعُ

فابذُرْ عوارفَك الجسامَ بتُربةٍ يزكو بها ثمرُ الجميلِ ويونعُ

هذا مقالى إن هززت فعنده ما يَحسُنُ المطبوعُ والمتطبِّعُ

ويدى إذا استخدمتَها وبسطتَها حسدتْ أناملَها الرياحُ الشُّرَّعُ

ما بى إلى الشفعاء عندك حاجةٌ ولسان فضلك شافعٌ ومشفَّعُ

* * *

وقال يودِّعه عند توجُّهِه فى الرسالة إلى خراسان :

من رأى المجدَ يُثير القِلاصا(1) والعُلا تُزجى العِتاقَ(2) الخِماصا(3)؟!

والقِبابَ البيضَ قد وعدُوها بالمعالى فاستطالتْ خِراصا(4)

"بعميد الدولةِ" الأرضُ تُطوَى حين(5) لا ترجو النجومُ خَلاصا

وفِجاجُ السعى بين يديه تشترى الآمالَ منه رِخاصا

مذ رأيناهُ سحابا عجيبا كيف يختلُّ ويأوى العِراصا(6)

كرمٌ فاضَ فما اختصَّ أرضا دون أرضٍ بنداه اختصاصا

من يحبّ العزّ يدأبْ إليه وكذا من طلب الدُّرَّ غاصا

قرّت الأعينُ بالقربِ منه فأراد البعدُ منها القِصاصا

---

(١) القلاص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل . (٢) العتاق : الخيل النجيبة .
(٣) الخماص : الضامرة البطن . (٤) خراص : جمع خريص وهو السحاب . (٥) فى الأصل «حيث» . (٦) العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار .

لو ملَكنا الأرضَ أو لو أطقنـا لسَـــددنا بِرُباهـا الخَصَـاصا (١)

وعقَلنـا النـاجيـاتِ (٢) خـــلاءً وربَطنا المُقْـــرَباتِ (٣) ٱرتهاصـا (٤)

فهِـمتْ ما حمَلتْ فى ذُراهـا من جمالٍ فٱرتقصنَ ٱرتقاصا

ماجدٌ إنْ خاف أسهـمَ ذمٍّ لبس الجـــودَ عليـه دِلاصـا (٥)

أدواتُ الفخـــرِ ألِفْنَ فيـه حسَـبا عِـدًّا (٦) وعِرقا مُصَـاصا (٧)

رُبَّ عزمٍ إنْ يُحَـكِّمْ [به] (٨) لم تجد الأقــدارُ عنـــه مَناصـا

ساهرِ القلبِ اذا رامَ عُظـمَى إن كَرَى النـومِ للأعينِ حاصـا (٩)

فقذفتْ منــــه الليـالى بقِـــرنٍ تنكُص الأبطالُ عنـه ٱنتكاصا (١٠)

محسِـنٌ بالرأى ضربا وطعنـا يُخجل البيضَ ويُخزِى الخِراصـا (١١)

ساحر الألفـاظ لوشـاء ظبيـا (١٢) أسر الوحش بهنّ ٱقتناصـا

كلمـا أبصـــره حاســـدوه كُلِّلتْ تلك العيـــونُ حُصَاصـا (١٣)

كشــعاع الشمسِ ترجِع عنـــه مَضْرِحيّـاتُ (١٤) العيـــون عِماصـا

---

(١) الخصاص : كل خرق أو خلل فى باب أو غيره ، — والمراد : كل ما انفــرج من الأرض ، وفى الأصل : «الخضاص» وهو تصحيف . (٢) الناجيات : الإبل تنجو بصاحبها . (٣) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٤) الأرتهاص : الرص وذلك بأن يكون بعضها بجانب بعض . (٥) الدلاص : الدرع الملساء اللينة وجمعها دلاص أيضا وقيل : دلص — بضم الدال واللام — . (٦) العد : القديم . (٧) المصاص : الخالص من كل شىء . (٨) ليست بالأصل . (٩) حاص : خاط . (١٠) القرن : الشجاع ؛ والانتكاص : الرجوع . (١١) الخراص : الرماح . (١٢) كذا فى الأصل ولو خيرنا لقلنا « صيدا » ليكون المعنى أعم . (١٣) الحصاص : داء يتناثر منـه الشعر — والمراد به هنا تناثر شــعر أهداب العيون لشدة ما يبهرها من الضوء — . (١٤) المضرحى : الصقر أو النسر — وكلاهما يوصف بحدة البصر — .

ففــداه كلُّ جَهــمِ المحيَّا [(١)] مانــعٌ عســجدَه [(٢)] والرّصــاصــا

كالشّموسِ [(٣)] الصّعبِ إن ذلّلــوه زادهــم ذُعراً ولجَّ قِمــاصــا

مســتهامٌ بالغــوانى اذا ما صقَلتْ خــدًّا وأرختْ عِقاصــا [(٤)]

أين تبغى؟ قد زحَمتَ الثريّا فى مَــداها وآنتعلتَ النّشاصــا [(٥)]

غايةٌ لــو ذو جَنــاحٍ اليهــا طار لآعتاصت عليــه آعتياصا [(٦)]

أنتمُ آلُ "جَهِــيرٍ" عــديدٌ لا رأتْ فيــه البنــانُ آنتقاصا

كلّمــا قيــل: الرحيــلُ قريبٌ غَصَّ بالبــارد حَلْق آغتصــاصا

وأرى قلــبى سيقتصُّ، إمّا ســرتَ، آثارَ المطىِّ آقتصاصا

اِقْضِ فى أمرى بمــا أنتَ قاضٍ فبإنعامك أرجــو الخَــلاصا

ردَّك الله إلينــا ســليما بــك أيامُ الزمانِ تَواصَى [(٧)]

* * *

وقال يمدحُه عندَ عودهِ من هذهِ السَّفرة، وقد صاهرَ نظامَ المُلك فى شــعبان سنة آثنتين وستين [بعد الأربعمائة] :

اذا نثرَ النــاسُ "الهِرَقْلِيَّةَ" [(٨)] الصُّــفْرا نثرتُ على عليــائك الحمْــدَ والشُّــكرا

---

(١) الجهم : العابس غير الطلق . (٢) العسجد : الذهب . (٣) الشموس : الأبى الممتنع . (٤) عقاص : جمع عقصة — بكسر العين — وهى الضفيرة . (٥) النشاص : السحاب . (٦) اعتاص : صعب واشتد . (٧) يريد : تتواصى أى يوصى بعضها بعضا ، ويقال : تواصى النبت أى اتصل بعضه ببعض . (٨) الهرقلية : دنانير منسوبة الى هرقل ملك الروم .

وصفتُ[1] من الذهن المصفّى بدائعا — أقرّط أسماعَ الرُّواةِ بها شَذْرا[2]

فلا تحسبَنَّ الدُّرَّ فى البحـرِ وحدَه — فقد تُخرِج الأفواهُ من لفظها دُرًّا

ومن كان جسمَ المكرمات وروحَها — تحلّى ثناءً لا لُجينا[3] ولا تِبرا

يُحيَّا برَيحان المحامدِ سمعُه — ويكفيهِ أن كانت مناقبه عِطرا

ولست براضٍ غيرَ وصفك تحفةً — ولا قاضيا إلا بمدحتك النَّذرا

بلغتَ "عميدَ الدولة" الغايةَ التى — ركائبُ أبناءِ المنى دونها حَسرَى[4]

وما زلتَ تُغلى[5] المجدَ حتى جعلتَه — عليك حبيسا لا يباعُ ولا يُشرى

وكم طالبٍ فيه نصيبا وإنه — ليَقبِضُ كفّيه إذا عرَف السّعرا

تطيعك فى المعروف نفسٌ حيِيّة — إذا سُئلتْ جدواك تستقبحُ العُذرا

أظنّك فى الدنيا تُريد زهادةً — فلستَ بمستبقٍ لعاقبة ذُخرا

وقد كانت النَّعماءُ جادت بنفسها — فأنشأتَها فى عصرك النشأةَ الأخرى

مواهبُ يُعطين الغنىَّ على الغِنَى — مزيدا ويتركن الفقيرَ كمن أثرى

يوافين[6] سرًّا والسحابُ برعدها — تبوح بما توليه إن أرسلتْ قَطرا

فدًى لك صيفىُّ الغمامة فى الندى — يَظُنّ سؤالَ السائلين به مكرا

اذا حامت الآمالُ حول حِياضه — سمعنَ بها من كلّ ناحيةٍ زَجرا

---

(١) فى الأصل «وضعت» وهو تصحيف . (٢) الشذر : اللؤلؤ الصغير وهو أيضا الذهب .

(٣) اللجين : الفضة . (٤) حسرى : كايلة معياة . (٥) فى الأصل « تعلى » .

(٦) فى الأصل « توافيك » وهو تحريف .

ألستَ من القــوم الذين نداهُــمُ حبائلُهم ، والراغبون بهـا أسرى
يبيتون فى المشتى خِمـاصًا[1] وعنــدهم من الزاد فضلاتٌ تُصان لمن يُقرى[2]
خشَوا أن يضلَّ الضيفُ عنهم فرفَّعوا من النـار فى الظلماء ألويةً حُمــرا
أفادوا الذى شاءوا وأفنَوه عاجــلا فقــد جمعتْ أيديهم العُسرَ واليُسرا
تواليــك حبّاتُ القــلوب كأنمـا خُلقتَ سرورا فى الضمائر أو سِرّا
فإن كانت العينان داعيــةَ الهوى فقد أبصرتْ من شخصك الشمسَ والبدرا
وإن كان للنفس الطروبِ تتيّمٌ فأجدرُ أن تَهــوَى خلائقَك الزُّهرا
فقــد جنَح الأعداءُ للسّلم رغبــةً إليك، وأىّ الناس لا يعشــق البِرّا؟
فأما سَــقام الحاسدين فما له شــفاءٌ وقــد كادتهُــمُ نِعَمٌ تَتْرَى
تساوت يداك بســطةً وسماحــةً فلم تفخر اليمنى بفضــل على اليسرى
ومعترَكٍ للقــوم مزّقتَ جمعَـــه بحــدِّ لسانٍ يُحسن الكرّ والفرّا
وفحشاء أدّتها إليــك جهــالةٌ جعلتَ رتاجَ[3] الحلم من دونهـا سِــترا
سمـا بك فوق العــزّ قلبٌ مشــيَّعٌ[4] اذا ركب الأهوالَ لم يستشر فكـرا
وهمّــةُ وثّابٍ على كلّ ذِروةٍ يَنـال على أكتادها[5] النُّهَى والأمرا
ألا ربَّ ساعٍ فى مَــداك كَبَتْ به مطاياه أو قالت له رِجــلُه : عَثْرا

(١) الخماص : الجياع . (٢) يقرى : يضاف . (٣) الرتاج : الباب العظيم المغلق ، وفى الأصل «رياح» وهو تصحيف . (٤) المشيع : الشجاع . (٥) الأكتاد : الأكتاف .

وملتمسٍ فى عــدّ فضــلك غايةً ... ومن يَشبرُ(١) الخضراءَ أو ينزف البحرا؟!

خذوا عن غُبار الأعوجيَّات(٢) جانبـا ... وإلا فقــد ضيعتمُ خَلفها الحُضرا

وخلُّوا لهـذا البـازلِ القَرمِ(٣) شَــولَه(٤) ... فإنكُم لم تحذقوا الهَــذْر والخطْـرا

فتًى سالَبَ الأعداء حِرصا على العـلا ... فأجلَوا له عنهـا وما عَقَــد الأُزْرا(٥)

وهـــل يُعجب الروضُ المنوّرُ أعينا ... رعَتْ فى محيّاه الطــلاقةَ والبِشرا

كأنَّ الحيـاءَ انهلَّ فى وجَنـاته ... فكانَ لهـا ماءً وكانت له غُــدْرا(٦)

تحـــدّثه الغيبَ الخـفىَّ ظنــونُه ... فتحســبُها قد أودعتْ صُحُفا تُقرا

وقالوا : هو الغيث الذى يغمُر(٧) الربَى ... فقلت لهـــم : ما زدتمونى به خُبرا

فقالوا : هـــو الليثُ المعفِّر قِــرنَهُ ... فقلت : بحــقّ الله أيُّهــما أجرا(٨)؟

حلفت بهـا تهــوِى عـلى ثَفِناتِهـا(٩) ... من الأينِ(١٠) مرخاةً أزمَّتُهـا صُعرا(١١)،

تجــرِّر أذيالَ الرياح وراءَهـا ... إذا كتبتْ سطرا محتْ قبـلَه سطرا،

تنزَّهُ عن حَمل الأوانسِ كالدُّمى ... وتحمِل فى كِيرانِهـا(١٢) الشُّـعثَ والغُـبْرا،

إلى حيث لا تُجزَى بحسن صنيعهـا ... إذا ما قضَوا نُسكا جزَوها به نحـرا،

---

(١) يشبر : يقيس بالشبر . (٢) الأعوجيات : النجائب من الإبل المنسوبة الى أعوج وهو فحل ، والحضر : العدو . (٣) البازل القرم : الفحل الكريم . (٤) الشول : جمع شائلة — وهى من الإبل — : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها . (٥) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٦) غدر : جمع غدير وهو النهر . (٧) فى الأصل : «يعمر» وهو تصحيف . (٨) يريد أجرأ . (٩) ثفنات : جمع ثفنة وهى مايقع على الأرض من البعير اذا استناخ . (١٠) الأين . الجهد . (١١) صعرا . مائلة . (١٢) كيران : جمع كور وهو الرحل .

وبالبيت محفـوفا بمن طاف حـوله ... إطافةَ سِمطىْ لؤلؤ قــلّدا نحــرا،
تُفــاضُ سجـوفُ الرَّقــم[1] فى جنباته ... على ماثلٍ تَعرَى السيوفُ ولا يعرى،
حمًى لا يخـاف الطــيرُ فى شجـراتهِ ... قنيصا ولا تخشى الظبـاءُ به ذُعرا،
وبالحجـرِ الملثـومِ سمعـا وطاعـة ... ونعـلم أنْ ما يملك النفـع والضـرا،:
لأنت إذا صَكُّوا القِداح على العلا ... أحظُّهــمُ سهـما وأسرعُهـم قَمـرا[2]
وأعلاهُــمُ كعبا وأحلاهُمُ جَــنًى ... وأوفاهُــمُ عهـدا وأرفعُهم ذِكـرا
كفاك نجاحُ السعى فى كلّ مطلب ... هممتَ به أن تزجُرَ الأُدْمَ[3] والعُـفرا
بعــزمٍ كما أطلقت أُنشـوطةَ الحُبَى ... وجِدٍّ كما نفَّــرتَ عن مَربإٍ صَـقرا
رأيتـك طـــودا للخليفـــة شامخـا ... وسيفا على شانيه يختصر العمـــرا
إذا عرَضتْ حَوجاءُ كنتَ قضاءَها ... وإن طرَقتْ غمّـاءُ سَـدّ بك الثغرا
دعاك لأمرٍ ليس يُحكِـم فتــلَه ... ســواك وهِجِّـيراك[4] أن تُبرمَ الأمرا
فأرسلتَهـا من « بابلٍ » وكأنمـا ... تُقلقِلُ من تحت السروج قَطًا كُدْرا
صدمَت بهـا الأجبالَ والقُــرُّ[5] كالحٌ ... تجلِّلها ثلجا وتُنعلهـا صخــرا
تَذكُّرُ مَرعىً « بالعـراقِ » وموردا ... وهل ينفع المشتـاقَ ترديدُه الذكرا

---

(١) سجوف الرقم . ستائر الخز . (٢) قمرا : مصدر قمره — بفتح الميم — لاعبه فى القمار فغلبه .

(٣) الأدم والعفر : — من الخيل والنوق والظباء — البيض والتى لونها كلون العفر وهو التراب .

(٤) هجيراك : بمعنى دأبك وشأنك . (٥) القر . البرد .

إذا رَبأتْ[1] فى قُنَّــةٍ[2] خلت أنهـا … خُدارِيَّةُ[3] العِقبانِ طالبــةً وَكـرا

فزاحمن فيها الشُّهب حتى طمعن أن … يحلِّين منهنّ القلائدَ والعُــذْرا[4]

بكلِّ منيفٍ يقصُــر الطــيرُ دونه … ولا تجـد النكباءُ من فوقه مجرى

وطـودٍ بحـولىّ الجليــدِ معمَّمٍ … كما زار لونُ الشيب فى هامةٍ شَـعرا

كأنا كشــطنا عنــه جِـلدةَ بازلٍ[5] … كسا شحمُه جنبيــه والمتنَ والظهرا

أقامت به الأنواءُ تُهـدى لك القِرى … ولم تقتنــع بالمـاء فآحتلبت دَرًّا

فرشنَ بِكافورِ السماء لك الربَى … فشابهنَــه لونا وخالفنَــه قِشرا

اذا خلَصت منها الجيـادُ رأيتها … وما خالطت لونا محجَّلةً غُرًّا

وقاسمها بُعــدُ المدى فى جسومها … فأفنى بها[6] شـطرا وأبقى لهـا شـطرا

ولمـا دَحَت قُود[7] الهضاب وراءَها … ورنّحها طــولُ القيادِ لهـا سُكرا،

رمتْ صحصحانَ[8] "الرَّىّ"[9] منها بأعين … تردّد فى أعطافه نظــرا شَزرا[10]

هناك دعا داعٍ من الله مسمِعٌ … فلبَّاك من ضمّتْ معالمُها طُــرًّا

يحيُّون ميمـونَ النقيبــةِ ماجدا … ويَلقون بالتعظيم أعظمَهم قـدرا

---

(١) ربأت : اتخذت مربأ . (٢) القنة ؛ رأس الجبل . (٣) الخدارية : العقاب السوداء . (٤) العذر : جمع عذار وهو ما سال من اللجام على خد الفرس . (٥) البازل : الجمل المسن . (٦) فى الأصل «به» وهو غير واضح . (٧) قود . جمع قائد ؛ وهو المستطيل من الجبل على وجه الأرض . (٨) الصحصحان . ما آستوى من الأرض . (٩) الرى : بلدة بفارس ، — والنسبة اليها : رازى . (١٠) النظر الشزر : أن يكون بجانب العين كنظر الغضبان .

ولاقيتَ ربَّ التـاج يرفـعُ حُجْبَـهُ ويطرُد ، ما ناجيتـه ، التيهَ والكِبرا
وحاورتَه حـتى شغفتَ فـؤادَه ألا ربّمـا كان البيانُ هـو السحرا
رأى فيـك ما يهواه مجـدا وسؤددا فما كنت إلا فى مجالسه صـدرا
وحسبُك فخرا ان تجهّزتَ غاديا فقضّيتَ أوطار النبوة من "كِسرى"
مليـكٌ حمَى الرحمنُ بيضـةَ مُلكه فمـا فى الورى من يستطيع لها كَسرا
كتائبُـه فى كلّ شرق ومغرب مدرّعـةٌ فتـحا ، مؤيّدةٌ نصـرا
كفاه "نظـامُ الملك" أكبرَ همّه وأتعبَ فى آرائه السرَّ والجهـرا
همـامٌ إذا ما هزّ فى الخطب رأيَهُ فلا عجبٌ أن يُخجل البيضَ والسُّمرا (١)
إذا هو أمضَى نعمةً قـد تعنّست (٢) تخيّر أُخرى من مواهبه بِكرا
ومن رأيه الميمونِ عقدُ حبـالهِ بحبلك حتى قد شـددتَ به أَزْرا
لئن كنتَ أنت "المشترِى" فى سمائه علوًّا لقد قارنتَ فى أفقِه "الشِّعْرَى"
فأصـبحتُما "كالفرقدَيْن" تناسُـبًا فأكرِمْ بذا حَمْوًا وأكرم بذا صِهرا
وقضّيتَ ما قضّيتَ ثم عطفتَهـا تبارَى كما ينسابُ فى الشَّعَر المِدرى (٣)
وأُبتَ كما آبَ الربيـعُ الى الثرى يَخيـط على أعطافـهِ حُلَلا خُضرا
ففى كلّ يوم ما أغبَّ مبشّر يؤدّى إلى "بغدادَ" من قربك البُشرى

---

(١) البيض والسمر : السيوف والرماح .
(٢) تعنست : طال مكثها بلا زواج حتى خرجت من عداد الأبكار .
(٣) المدرى : المشط .

ولما آطمأنّت فى "جَلَوْلاء" [1] عالجتْ بذاك النسيم الرطبِ أكبادَها الحرَّى

فأقسمتَ لا تنفكّ تحت لُبُــودِها [2] إلى أن توافى حَلبــةَ [3] القصْرِ والقصرا

وعُجتَ بهـا تطوِى منـازلَ أربعـا إلى منزلٍ، يا بعدَ ذلك من مَسرَى !

ولله فينـا نِعـــمةٌ إثرَ نعـــمةٍ وعَـوْدك محروسا هو النعمة الكبرى

فلا كان يومٌ لستَ فى صــدره ضُحًى ولا كان ليـــلٌ لستَ فى عَجْزه فجرا

⁂

وقال يمدحُه ويهنئــه بالنيروز الفارسىّ، وأهــدَى إليــه كُتُبًا عِوض الدرهم والدينار :

وددتُ التصابى فيك إذ كان عاذرى وعاديتُ حلمى إذ غدا عنك زاجرى

ومالى سوى قلبٍ يضلّ ويهتدى فإما الهوى فيـــه وإما بَصائرى

وإنى لأدرِى أنمـا الغُنْــجُ [4] واللَّمَى [5] وبيضُ الطُّلَى [6] هنّ القذى [7] فى المحاجرِ [8]

ولكنّهــا نفسٌ تروضُ طباعَها بما حملته من عذاب الجآذرِ [9]

عدِمتُ فؤادى يبتغى الآنَ رشدَه فهــلّا قُبيل الحبِّ كان مشاورى !

(١) جلولاء : قرية بفارس على بعد سبعة فراسخ من بغداد . (٢) لبود : جمع لبد، وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج . (٣) الحلبة : محلة واسعة فى شرقى بغداد ؛ والقصر : اسم لجملة مواضع ؛ فنها : قصر الأحرية فى نواحى بغداد ؛ وقصر أم حبيب بنت الرشيد من الجانب الشرقى من بغداد . (٤) الغنج : الدلال . (٥) اللمى : سمرة فى باطن الشفة — وهى مستحسنة عند العرب — . (٦) الطلى : الأعناق . واحدها : طليــة . (٧) القــذى : ما يقع فى العين فيوجعها . (٨) محاجر : جمع محجر وهو ما دار بالعين . (٩) الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية .

فما بالنا نُعطَى الدنيَّة فى الهوى ... وفى الروع لا نعطَى ظُلامةَ ثائرِ

كأنا جميمُ(١) الروض يقطُف نَوْرَه الـ ... ـظباءُ ولا يحــلو لأُسْــدٍ خوادرِ(٢)

وإنّ انقيـادى طوعَ ما أنا كارهٌ ... يدلُّك أنّ المرءَ ليس بقـادرِ

لواحظُنـا تجنِي ولا علمَ عنـدَها ... وأنفسُــنا مأخوذةٌ بالجـرائرِ

ولم أرَ أغبَى من نفوسٍ عفائفٍ ... تصـدّق أخبارَ العيون الفواجرِ

ومن كانت الأجفانُ حُجّابَ قلبهِ ... أَذِنّ على أحشائه للفَـواقِرِ(٣)

اذا لم أفــز منكم بوعدٍ فنظرةٍ ... اليكم، فما نفعى بسمعى وناظرى؟!

وما زال لى عنـد الظباء ظُلامةٌ ... تُرَدُّ الى قاضٍ من الحبّ جائرِ

لعمرُك مابى فى الصـبابة حَيرةٌ ... تقسِّم فكرى بين ناهٍ وآمرِ

تصاممتُ عن عذل العذول لأنه آحـ ... ـتجاجٌ لسالٍ وآعتــذارٌ لعـاذرِ

وكيف بنسيانى الذى حفِظ الصِّبا ... وبات به طيفُ الخيال مسامرى

بلى إنّ بَردَ اليأس يطفئُ حُرقةً ... ولو سُقيت منـه قلوبُ الهواجرِ

وإنّا اذا ضلّت من "الحَزْنِ" نفحةٌ ... فزِعنـا الى نِشــدانها بالمنـاخرِ

أصـعِّد أنفـاسى اذا ما تمزّغت ... على تُربه هُـوجُ(٤) الرياح الخواطرِ

---

(١) الجميم : النبت الناهض المنتشر . (٢) الخادر : اللازم لعرينه والمقيم به .

(٣) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تقصم الظهر . (٤) هوج : جمع هوجاء، وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت .

وأذكرُ يوما قصَّر الوصلُ عمرَهُ كأنا ٱلتقينا منه فى ظلِّ طائرِ

متى غنّت الورقاءُ كانت مدامتى دموعى،وزفراتى حنينَ مَزاهِرى (١)

خليلَّ هذا الحُلْمُ قد أطلق الأسى وبثَّ حُبولَ الشوق بين الضمائر (٢)

ولم يبق فى الأحشاء إلا صُبابة (٣) من الصبر تجرى فى الدموع البوادرِ

فَلَيَّا بأعناقِ المطىِّ فربّما أصبنا الأمانى فى صدور الأباعرِ

وإن لم يكن فى ربّة الخدر مطمعٌ قنعنا بآثار الرسوم الدوائرِ (٤)

مرابط أفراس ومبرك هجمةٍ (٥) وملعب ولدانٍ ومجلس سامرِ

وسُفعٍ (٦) أثافىٍّ (٧) كأنّ رمادَها حمائمُ لكن هنَّ غيرُ طوائرِ

ويا حبّذا تلك النُّئِىّ (٨) وليتها تروح خلاخيلى وتغدو أساورى

اذا أنتَ لم تحفَظ عهودَ منازلٍ فلستَ لعهد النازلين بذاكرِ

سقاها الذى أضحت ينابيعُ فضلِهِ تمُدُّ شآبيبَ الغيوثِ البواكرِ

بجودُ "عميدِالدولة" العُشبُ والحيا ومقترَحُ الراجى وزادُ المسافرِ

كُفيتَ به أن تطلبَ الرزقَ جاهدا على زعمهم بالسعى أو بالمقادرِ

---

(١) مزاهر : جمع مزهر وهو العود . (٢) حبول : جمع حبل وهو معروف والمراد الحبائل . (٣) الصبابة : البقية . (٤) الدوائر : البوالى . (٥) الهجمة : قطيع من الإبل ما بين السبعين والمائة . (٦) سفع : جمع أسفع وسفعاء وهى السوداء . (٧) الأثافى : جمع أثفية وهى ثلاثة أحجار توضع عليها القدر . (٨) النؤى : جمع نؤى وهو الحفير حول الخيمة يمنع عنها السيل .

تظلُّ قلوص الجود[1] ترقص تحتـهُ ... اذا حُديتْ يوما بنغمة شاكـرِ
تحدَّثْ ولا تحرَجْ[2] بكلّ عجيبــةٍ ... من البحر أو تلك الخلال الزواهرِ
فما ذاق طعمَ الرىِّ من لم تُسَـقِّه ... أناملُه من صـــوبها المتواترِ
وكم من كسـير لليالى قد التقت ... عليــه أياديه التقـاءَ الجبائرِ[3]
ومنتهب الجـدوى يُريك سحابُه ... زمانَ الربيع السكبِ فى شهر "ناجرِ"[4]
يسـابقُ بالفـعلِ المقـالَ كأنه ... يرى الوعدَ فنًّا من مِطال الضمائرِ
فأنت تراه ماطـرا غـيرَ بارقٍ ... ولست تراه بارقا غيرَ ماطـرِ
مواهبُ سمّاها العفاةُ صنائعا ... وهنّ نجومٌ فى سماء المآثرِ
ملوم على بذل البضائع فى النـدى ... وما تاجرٌ فى المكرُمات بخاسرِ
قطوبٌ وأطرافُ القيانِ عوابثٌ ... ضحوك وأطرافُ القنا فى الحناجرِ
به ازدانت الدنيـا لنـا وتلفّتت ... الينا الليـالى بالخـدود النواضرِ
تعلّمت الأيامُ منــه بشاشــةً ... أعادت إلىّ الدهرَ هشَّ المكاسرِ[5]
يذيبُ السؤالُ شحمةَ الرفدِ عنده ... وهل يجُمد العنقودُ فى كفِّ عاصرِ
أبَى أن تهُــزَّ العُنجُهيّــةُ[6] عِطفَهُ ... يقيناً بأنّ الكبرَ إحـدى الكبائرِ
ولا عيبَ فى أخلاقه غيرَ أنها ... فــرائد دُرّ مالها من نظـائرِ

(١) القلوص : الفتية من الإبل . (٢) تحـرج : تأثم . (٣) الجبائر : جمع جبيرة وهى عيدان تجبر بها العظام . (٤) ناجر : الشهر الواقع فى صميم الحر . (٥) المكاسر : غضون الوجه . (٦) العنجهية : الجفاء والكبر والعظمة .

وما النـاسُ إلا كالبحور فبعضُها عقـيمٌ و بعضٌ معــدنٌ للجواهرِ

فتعسًا لأقــدام السُّـعاةِ و راءه ألم ينتهــوا عنــه بأوّل عاثرِ!

يُقِــرُّ له بالفضـــل كلُّ منازع اذا قيل يومَ الجَمع: هل من مُفاخرِ؟

أخو الحزم ليست فى نواحيه فرصةٌ انُهــزةِ مغتالٍ ونَفثــةِ ساحر

اذا ركَضتْ آراؤه خلفَ فائتٍ تدارك منـه غائبـا مثـل حاضِرِ

مـتى تأتِه مستشــفعا بصنيعهِ اليــك نقــد لاقيتــه بأواصِرِ

تتبّـع أوسـاطَ الأمور مجانبـا تورُّطَ عجـلان ووَنيــةَ قاصِرِ

وقــد علم النُّزَّاعُ أنْ دياره اذا انتجعــوها نِعم دارُ المُهاجرِ

تسلّوا عن الأوطان بالأبطح الذى يلائم مَرعاه لبـادٍ وحاضِرِ

يطاول بالأقــلام ما تبلغ القنـا و يفضُل أفعـالَ الظُّبَا بالمخـاصِرِ (١)

من العصبةِ الغُرّ الذين سـعودُهم بآرائهــم لا بالنجوم الســوائرِ

فوارسُ هيجاءٍ وقولٍ، ركوبُهــم ظهورُ الجيـادِ أو ظهورُ المنـابرِ

يظن الضيوفُ أن دارهمُ "مِنًى" ودهرَهُمُ عيــدٌ لعُظم المناحرِ

وما أوقدوا النيرانَ إلا ليفضَحوا بها الليلَ إن أخفى مسالكَ زائرِ

وقد علمتْ تلك (٢) المكارم والعـلا وقــد ولدتهـم أنهـا غـيرُ عاقرِ

---

(١) مخاصر: جمع مخصرة وهى عصا صغيرة يشير بها الملك . (٢) فى الأصل: «أن»، وفى مختارات البارودى «تلك» فرجحناها لوضوح المعنى بها .

أيا "شرفَ الدين" المشرِّف عصره ومن حلَّ فيه ، بالعطايا البواهرِ (١)

تناولْ "بنيروز" الأكاسرِ غِبطةً تضاحك أفـواهَ الأمانى الفواغرِ

هو اليومُ لا فى حُلةِّ الصيف رافلٌ ولا فى سرابيـل الشـتاء بخاطرِ

يكاد لسانًا طِيبـهِ واعتـداله يُبينـان أنَّ الدهرَ ليس بجـائرِ

ولمـا رأيتُ المـال عندك هيِّنـا جعلتُ هـداياه رياضَ الدفاترِ

فإنك (٢) من حمـد الرجال وشكرِهم كثيرُ (٣) الكنوزِ واللُّهَى (٤) والذخائرِ

* * *

وقال يمدحُه، ويشكرُه على تعهُّدِه بالعيادةِ من ألمٍ نالَه :

أبَى اللهُ إلا أن تجـودَ وتُنعِـما خلائقُـك اللائى تَفيضُ تكرُّما

لك المثَـلُ الأعلى بكلِّ فضـيلةٍ إذا ملأ الراوى بهـا النَّجدَ أتهَـما

لآلئُ من بحـر الفضائلِ إن بدت لغائصِها صـلَّى عليها وسلَّما

ولـو ملَكتْها الغانيـاتُ بحيـلةٍ لزِنَّ بهـا جِيـدا وحَلَّين مِعصَـما

وكم لك فى غُمّاتِها من عزيمـةٍ تُسابق بالنصـر الخميسَ العَرمرَما (٥)

يُفـلِّل حدَّاها الحسـامَ مصمِّما ويُخجِل عِطفاها الوشـيجَ (٦) مقوَّما

وما الجـودُ إلا ما قنَتَ به اللُّهَى (٤) فلم تُبـق دينارا ولم تُبـق درهمـا

---

(١) كذا فى مختارات البارودى ، وفى الأصل : «الطواهر» ولعلها "الفواهر". (٢) فى الأصل : «فان يك» وبها لايستقيم المعنى فرجحنا ماوضعناه . (٣) فى الأصل هكذا «كبير» (٤) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٥) العرمرم : الكثير . (٦) الوشيج : شجر الرماح .

فما يتعاطاك السحابُ اذا همى ... ولا البحرُ يحكى صَفَّتيك و إن طما

وهل يقدِر الأقوامُ أن يتكلَّفوا ... مكارمَ قد أعيتْ "سما كا"[1] و"مرزَما"

نهضتَ بأثقالِ المعالى ولو دُعِى ... إلى حملها العَودُ[2] الدِّيافىُّ[3] أرزما[4]

فسيّان من يبغى عُلاك وطالبٌ ... ليبلغَ أسبابَ السموات سُلَّما

وما المدحُ مستوفٍ علاك و إنما ... حقيقٌ على المنطيق أن يتكلَّما

ألم ترَ أنّ الأرضَ رحبٌ فسيحةٌ ... ونحن نولّيها قلائصَ[5] سُهَّما[6]

أتتنى[7] "عميدَ الدولة" المِنّةُ التى ... نفختَ بها رُوحا وأحييتَ أعظما

كأنّ الرسولَ المُسمِعِى نَغماتِها ... رسولٌ تلا وحْيًا من الله مُحكَما

فأُلبِستُ منها صِحّةً هى جُنَّتِى ... إذا ما قِسِىُّ الدهرِ فوّقنَ أسهُما

ودارتْ [بها][8] كأسُ الشفاء وعُلِّقتْ ... علىَّ رُقًى منها تُداوِى المتيَّما

فقد كدتُ فى عَجزى عن الشكرِ أن أرى ... لسانى مجروما[9] وقلبى مُفحَما

ولكنّها ريحُ الثناءِ إذا جرت ... بذكرِك لم أملِكْ لسانا ولا فما

وأفضالُك الروضُ الربيعىُّ إن دعا ... بزهرته وُرقَ الحمام ترنُّما

---

(١) السماك والمرزم : كوكبان من أنواء المطر . (٢) العود : الجمل الشديد .
(٣) الديافى : منسوب إلى ضرب من إبل قرية بالشام يقال لها دياف ، وأهلها نبط الشام .
(٤) أرزم : صات من ثقل ما يحمله . (٥) القلائص : الفتيات من النوق . (٦) السهم : المهزيلة المتغيرة اللون . (٧) فى الأصل : « أسنى » . (٨) ليست بالأصل .
(٩) المجروم : المقطوع .

فلا ضحِكَ الإصباحُ إلا تحلَّتِه ببهجتِك الغــرّاءِ ثغــرا ومبسِما
ولا دجتِ الظلماءُ إلا أعرتَها شمـائلَك الغُــرَّ اللوامــعَ أنجُما
تطيعك أيام الزمان مصيخةً (١) بأسماعِها حتى تقــول وَترسُما
ستأتيك من مدحى قوافٍ بديعةٌ ينافس فيها الجاهليُّ المُخضرَما (٢)
وإنى بمنثورِ الكلام لعالِمٌ ولكنَّ حسنَ الدرّ فى أن يُنظَّما

* * *

وقال يمدحُه :

أبَيْنا أن نطيعَكُمُ أبَيْنا فلا تُهــدوا نصيحتَكم إلينا
رِكبنا فى الهوى خطَرا فإما لنا ما قد كسَبنا أو علينا
فما تسألُكم عن كلِّ صبٍّ كأنَّ لكم على العشاق دَينا !
ولو لم يَرضَ ربُّك ما رضينا لَمَا أنشا لنا قلبا وعينا
بنفسى راميـاتٍ ليس تفنَى نُصولُ سِهامهنّ اذا رمينا
كأنّهمُ أعدوا للرزايا بكلِّ كحيلةٍ زِيرا (٣) وقَينا (٤)
تعوّضنَ الخيامَ من المطايا وحسبُك بالخيام قِلًى (٥) وبَينا
ولوّينَ البنانَ فقلتُ زجرا بميعادى وآمالى لوَينا
عجائبُ فى الصبابة لو عقلنا نحبُّ محاسنا فتصير حَيْنا

---

(١) مصيخة : مصغية . (٢) المخضرم : الذى عاش فى الجاهلية والإسلام . (٣) الزير : الذى يحب مجالسة النساء ومحادثتهن . (٤) القين : العبد . (٥) القلى : البغض .

نسائلُ عن ثُمامات "بُجزَوى"[1] وبانُ "الرمل" يعلم مَن عَنَينا

وقـد كُشِفَ الغِطاءُ فما نبالى أصرَّحنا بذكرِكِ أم كَنَينا

ولو أنى أنادى : يا "سُليمى" لقالوا : ما أردتَ سوى "لُبَينَى"

ألا لله طيفٌ منـكِ يسقى بكاسات الردى زُورا ومَينا

مطيَّته طَـوالَ الدهرِ جفنى فكيف شكا اليكِ وَجًى[2] وأينا[3]

فأمسينا كأنا ما آفـترقنا وأصبحنا كأنا ما آلتقينا

ولـولا نُورُ أزهرَ شمَّـرِىٍّ[4] تبلَّج[5] فى الظلام لما آهتدينا

"عميد الدولة" المعطِى القوافى رُهونَ سِباقهنَّ اذا جرَينا

فتًى يبنى على الغُـلَواء[6] بيتا اذا نزل المقصِّر بين بينا

يقـول لإبله : مُـوتى هُزالاً ولا تـرعَىْ بأكناف الهوَينَى

إذا ما السُّحبُ بالأمواهِ سَحَّتْ تهـلَّل عسـجدا[7] وهَمَى لُجينا[8]

بكلِّ قـرارةٍ وبكلِّ ربـع رياضٌ من نداه قـد آنتشينا

غصـونُ مكارم قَيظا وقُـرًّا[9] نُصيب بها ثِمارا يُجتَنَينا

وما سلبَ الشتاءُ الأرضَ إلا تسربلنَ المحامـدَ فآكتسينا

جرَى والسابقُـون إلى المعالى فجاء فُوَيقها وأتَـوا دُوَينا

(١) الثمام : نبت ضعيف له خوص . (٢) الوجى : الحفا . (٣) الأين : التعب والنصب . (٤) الشمرى : الماضى فى الأمور المجرب . (٥) تبلج : أضاء . (٦) الغلواء : الغلو فى الشىء . (٧) العسجد : الذهب . (٨) اللجين : الفضة . (٩) القر : البرد .

* * *

وكتب إليه وقد عَرَض عليه تقليدَ عملٍ من أعمالِ العراقِ لم يُرضِـه، ويزرِى على جماعةٍ من العمال :

قـد حصَلنا من المعـاش كما قيـ ـل قديما : لا عطرَ بعد عَروسِ (١)

ذهبَ القـومُ بالأطايبِ منـــه ودُعينـا الى الدّنىّ الخســـيسِ

لا جميـلٌ بمثله يحسُن الذكـ ـرُ ولا عامرٌ خرابُ الكيسِ

واذا ما عدِمتُ فى الأمر هـذيـ ـن فسيّانِ نهضتى وجلوسى

عُرِضَت قبلَنـا "تَبـالةُ" (٢) "للحـ ـجّاج" فأعتافهـا بوجهٍ عَبــوسِ

وتولّى أمر "العـراقين" صالى نارَحربٍ تُزْرى بحربِ "البسوس" (٣)

جلسـةٌ فى الجحـيم أحرَى وأولى من رحيـــل يُفضِى الى تدنيسِ

ففـــرارا من المـذلّة فى "آ دَمَ" كان الفـرارُ من "إبليس"

أتــرانى مزاحمًا لأناسٍ قلّدوهـا بالســـيف والدبّوسِ

بين ذى عُجــمة وآخرَ منقــو صٍ وذى جِنّــةٍ وذى تمنِيس (٤)

وبطينٍ وأبرصٍ وهـــا دا ءانِ غضّـا من قـدرِ كلّ رئيسِ

---

(١) مثل يضرب لمن لا يؤخر عنه نفيس . (٢) يشير الشاعر الى تولية الحجاج بن يوسف الثقفىّ على تبالة وهى أول عمل وليه فسار اليها ، فلما قرب منها قال للدليل : أين تبالة ؟ فقال : تسترها هذه الأكمة ، فقال : لا أرانى أميرا على موضع تستره عنى أكمة ؛ أهون بها ، وكر راجعا ، فقيل فى ذلك : أهون من تبالة على الحجاج . (٣) أنظر صفحة ٣ شرح ١ (٤) التنميس : التلبيس .

معشر ليس يبلغ الذمُّ فيهم حدَّه إن وصفتهم بتيوسِ

غايةُ العلمِ عندهم وتمامُ الـ ـفضل حسنُ المركوب والملبوسِ

ما آفتخار الفتى بثوبٍ جديدٍ وهو من تحته بعِرضٍ لبيسِ؟! (١)

والغنَى ليس باللُّجيْن (٢) وبالتِّبـ ـر ولكن بعزّةٍ فى النفوسِ

عادة للزمان يجرِى عليها أن تصير الأذنابُ فوق الرءوسِ

قد حويتُ الذى به يَنجح السعـ ـىُ فمن لى بحظِّىَ المنحوسِ

وإذا صحَّ لى هوى " شرفِ الديـ ـن " تولَّى النعيمُ قتلَ البوسِ

قد توثّقتُ يا صروفَ الليالى من أياديه فآحمِقى أو كيسِى (٣)

لىَ ما شئتُ روضةٌ وغديرٌ ومراحٌ من ربعه المأنوسِ

⁂

وقال يمدحُه ويهنّئه بعيد الأضحى والمهرجان :

يا صِحابى وأينَ منّىَ صحبى صرَعتهم عيونُ ذاك السِّربِ

يومَ أبدَوا تلك الوجوهَ علمنا أنما يُشهَر السلاحُ لحَربِ

لحظاتٌ أسماؤهنّ آستعارا تٌ وما هنّ غير طعنٍ وضربِ

إن أُجبْ داعىَ الهوى غيرَ راضٍ فالصدَى (٤) بالنداءِ كُرْهًا يلبّى

(١) اللبيس : الخلق الممزق . (٢) اللجين : الفضة . (٣) كيسى : أى كونى كيسة ذات عقل . (٤) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت فيه بمثل صوته .

هل أرى فى السهادِ صُبحًا بعينى ... من أرى فى الرقاد ليـــلا بقلبى

أمــلٌ كاذبٌ : قِطافُ ثمــارٍ ... من غصونٍ ملتفّـــةٍ بالعَصْبِ (١)

كلّمــا رنّح النسيمُ فــروعَ الـ ... ـبان هزّت أعطــافَها بالعُجبِ

إنّ روضَ الخــدودِ ليس لرعيٍ ... وخمــورَ الثغور ليست لشُربِ

أرِنى ميتَــةً تطيبُ بهــا النفـ ... ـسُ وقتــلًا يلَذُّ غــيرَ الحبِّ

لا تَزُلْ بى عن " العقيقِ " ففيهِ ... وطَــرِى إنْ قضَــيتُه أو نحبى

أجميـــلٌ ألّا أزورَ ديارا ... يوم بانوا دفنتُ فيهــا لُــبّى!

لا رعيتُ السوامَ إنْ قلتُ للصُّحـ ... ـبةِ : خِفّى عنه، وللعيس : هُبّى

وقفــةٌ بالركابِ تُجمِعُ فيهــا ... فرحــةٌ لى وراحةٌ للرَّكْبِ

فى كِناس (٢) " الأَرْطَى (٣) " شبيهةُ لعسا (٤) ... ءَ حماهــا العفافُ مثــلَ الحُجْبِ

يُتمــارَى أهــذه من نِتــاجِ الـ ... ـوحش أم تلك من بناتِ العُربِ ؟!

قبلما استضحكتْ لنا ما طمعنا ... أن نرى الدرَّ فى الزلالِ العذبِ

طلعتْ وجهــةً وقابلهــا البــد ... رُ فسوَّت ما بين شرقٍ وغربِ

كلُّ شىء حسبتُه من تجنّيـ ... ـها سوى عدّها الصبابةَ ذنبى

وسـداد رأىُ العــذول ولكن ... ليس يُعفِى الغرامُ من قال : حَسبى !

---

(١) العصب : ضرب من الثياب يصبغ ثم ينسج . (٢) الكناس : بيت الظبى .

(٣) الأرطى : شجر ثمره كالعناب . (٤) اللعساء : التى فى شفتها سواد — وهو مستحسن عند العرب — .

ربّما أقلع المتيّمُ بالعذ ... رِ وزاد آستهامةً بالعتبِ

مثلما آزداد فى الندى "شرفُ الـ ... ـدين" لجاجًا على الملام الصعبِ

مشرق الوجه باذل الفم بالنَّيْـ ... ـل ، وحسنُ الغديرِ زهرُ العُشبِ

كاد أن يرفع الموازينَ إعلا ... مًا لنا أنَّ ماله للنهبِ

واهب الخُرّد(1) العطابيلِ(2) والكو(3) ... مِ المطافيلِ(4) والعتاقِ(5) القُبِّ(6)

وبُدورِ(7) النُّضار أعجلها الطا ... لبَ تِبرا عن سبكها والضربِ

شرفٌ صغَّر الذى عظَّموه ... من كرامٍ أخبارُهم فى الكُتْبِ

غَمَس الشكر فى سلاف أياديـ ... ـه فحيّاه باللسان الرَّطْبِ

لا سقى الله معشرا وهو فيهم ... لِمَ يرجُونَ بارقاتِ السُّحبِ ! !

عرفَت فضلَه الرجالُ فألقت ... بالمقاليدِ للخُشاشِ(8) النَّدبِ(9)

طَبعوا بَهْرَجَ(10) المعالى ليحكو ... هُ وايس النبىُّ كالمتنبِّى

من له رِحلتا "قريش" الى المجـ ... ـد تؤوبان من علاءٍ بكسبِ

كيف لا يملأُ الحقائبَ شكرا ... وهو فى متجَرِ المكارم يُربى

---

(١) خرد : جمع خريدة وهى المرأة الحيية . (٢) عطابيل جمع عطبول : وهى المرأة الجميلة الطويلة . (٣) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٤) مطافيل : جمع مطفل وهى ذات الطفل . (٥) العتاق : الخيل النجيبة . (٦) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٧) بدور : جمع بدرة وهى كيس توضع فيه النقود . (٨) الخشاش : الشجاع ، وفى الأصل «الحشاش» وهو تصحيف . (٩) الندب : الماضى السريع الى الفضائل . (١٠) البهرج : الزائف .

شنَّ غاراته على عازبِ السـؤ (١) ددِ ما يقترِحْ يحوز ويَسبِي

همـمٌ لا ترى العلوَّ علوّاً أو تُدلَّى على النجوم الشُّهبِ

طاعناتٌ فروعُها فى الدَّرارِى (٢) ضارباتٌ عروقُها فى التُّربِ

سابقاتٌ وفدَ الرياحِ اذا يو مُ رِهانٍ أجراهما من مَهَبِّ

شرفٌ دلَّ حاسدُوه عليـه ودليلُ القِرَى نُباحُ الكلبِ

إنّ هذا الهمامَ قد عطّل الرمـ حَ وأبدَى كَهامةً (٣) فى العضبِ (٤)

صقَل الرأىَ بالتجاربِ حتى هو أنقى مَتنٍ (٥) وأذلقُ (٦) غربِ (٧)

وحَمى فى رِباعه غابةَ الليـ ثِ بتدبيره وبيتَ الضبِّ

ذو هباتٍ يُدنى لمحتلبِ (٨) الخيـ رِ لَبوناً (٩) تدرُّ من غير عَصبِ (١٠)

من صريحٍ يعطيك زبداً بلا مخـ ضٍ ويُغنيك عن تعنّى الوَطبِ (١١)

ومتى يعترضه محتطبُ الشـ ـرِّ يجدْ عنده وَقودَ الحربِ

أسمرا (١٢) كالرشاءِ (١٣) يُرسله الرا مُحُ (١٤) فى كلِّ طعنةٍ كالجُبِّ

وغموضَ الحدينِ من جوهرِ الـ ـموتِ مُوَلًّى على النفوس لغصبِ

---

(١) العازب : الشارد . (٢) الدرارى : النجوم . (٣) الكهامة : الكل ، يقال : سيف كهام أى كليل غير قاطع . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) المتن : الظهر . (٦) أذلق : أحدّ . (٧) الغرب : الحد . (٨) فى الأصل : «لمجتلب» ، وهو تصحيف . (٩) اللبون : الغزيرة اللبن . (١٠) العصب : شدّ فخذى الناقة لتدر . (١١) الوطب : إناء يحلب فيه . (١٢) الأسمر : الرمح . (١٣) الرشاء : الحبل . (١٤) الرامح : حامل الرمح .

وسَبوحاً قَوداءَ تحتلب الجِر (١) (٢) يةَ فى حافرٍ كمثلِ القعبِ (٣)

لوذعىٌّ تهيج منه الأعادى قانئَ الظُّفر من فؤادٍ وخِلْبِ (٤)

عنده للأمور أشفَى دواءٍ وعلاجُ الشئون خيرُ الطِّبِّ

أبدا حزمُهُ برغم الليالى غُدّةٌ أمسكتْ لَهاةَ الخَطْبِ (٥)

هو إما الذُّعافُ (٦) رقرقه الصِّلُّ (٧) لحاويهِ أو هِناءُ (٨) النُّقْبِ (٩)

تقتضِى المشكلاتُ منه مقالا يتولَّى حكَّ القلوب الجُربِ

حِكَمٌ لو أصابها حىُّ "عَدوا نَ" (١٠) آدَعوها "لعامرِ بنِ الظَّرْبِ"

إنما أنت يا "محمدُ" للنا سِ شبيهُ المبعوثِ من "آلِ كعبِ"

ذاك كان الربيعَ إذ قَحَطَ الـ دِّينُ وأنت الربيعُ عامَ الجدبِ

أطلعَ الله للخلافةِ نجما منك عن سعدك المخلَّد يُنبى

دولةٌ مذ دُعيتَ فيها "عميدا" غَنِيتْ عن عَمودِها والطُّنْبِ (١١)

فلها السَّرحَ بالبسالةِ يحمِى ولها الفئَ بالأمانةِ يَجبى

وإذا رايةٌ أُمدَّتْ بإقبا لك سارت (١٢) منصورةً بالرُّعبِ

(١) السبوح: الفرس. (٢) القوداء: المنقادة الذلول. (٣) القعب: القدح الضخم الغليظ، ويقال: حافر مقعب أى مدوّر كالقعب. (٤) الخلب: حجاب الكبد أو هو غلاف البطن. (٥) اللهاة: لحمة معترضة فى أعلى سقف الحلق. (٦) الذعاف: السم. (٧) الصل: الثعبان. (٨) الهناء: القطران. (٩) النقب: الجرب. (١٠) عدوان: قبيلة من العرب منها عامر بن الظارب — بكسر الراء، وسكنت هنا للضرورة — وهو من حكماء العرب المشهورين ويقال: إنه أول من قرعت له العصا. (١١) الطنب: حبل يشدّ به سرادق البيت. (١٢) كذا فى الأصل، وفى مختارات البارودى: «صارت».

كيفَ لم تَلبَسِ السِّوارَ حُلِيًّا ... فى يدٍ أُولعت بكشفِ الكُرَبِ

قَرَّ عينا بمهرجانٍ وعيـــدٍ ... أتحفـا بالحبيبِ نفسَ المحبِّ

لم يُطِقْ واحدٌ قضـاءَ أيادِيـ ... ـك فوافاكَ مستغيثا بِتِرْبِ (١)

حَوْلُ هذا مستوفِزٌ لرحيـــلٍ ... وثنـاءٍ، وطَوْلُ هـذا لقُربِ

جُمعا فى غِـــلالةٍ (٢) نسجِ " أيلو ... لَ " (٣)، لهـا رقّةُ الفؤادِ الصبِّ

فتلقَّ السرورَ من كلّ وادٍ ... وتملَّ النعـيمَ من كلّ شِعْبِ (٤)

كلّمـا جادت الليـالى بِمَنٍّ ... منه صابت أيامُهنّ بضربِ

لستُ فيـه أُهدِى هديّةَ مثلى ... بل هداياىَ شكرُ عبـــدٍ لربِّ

أنا لولاكَ لم أحُكْ بُردةَ الشّعـ ... ـرِ ولا كانَ لؤلئى للثَّقبِ

غـيرَ أنى إذا زجرتُ القوافى ... فيك خبَّت على طريقٍ لَحْبِ (٥)

والمديحُ العتيقُ (٦) للعِـرضِ واقٍ ... والمديحُ الهجينُ (٧) بعضُ الثَّلبِ

قلَّ نفعى بمـا حويتُ فيا ليـ ... ـتَ ذوى الجهلِ يستبيحونَ سَلْبى

أنظُر المنهـلَ المصفَّقَ مورو ... دًا فأطويهِ جازئا (٨) بالرَّطْبِ (٩)

لم يستنزلُ الزمانُ جدودى ... وهى من عزِّك المنيع بِهَضْبِ (١٠)

(١) التِرب : من يولد معك فى سنك . (٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

(٣) أيلول : اسم شهر من شهور السنة الرومية . (٤) الشعب : الطريق فى الجبل . (٥) اللحب : الواسع الواضح . (٦) العتيق : الكريم . (٧) الهجين : غير الأصيل .

(٨) جازئا : مكتفيا . (٩) الرطب : العشب الأخضر . (١٠) الهضب : الجبل .

أتُرانى مثلَ الكواكب، أبطا ... هُنَّ سيرا مادار حولَ القُطبِ!

إنها عَقَبــةٌ لضيقٍ تجــلَّى ... ثم تُفضِى الى مجـالٍ رَحبِ

* * *

وقال يمدحه :

ما فاز بالحمــدِ ولا نالَهْ ... من عشِقتْ راحتُــه مالَهْ

لا والذى يرضَى لمعــروفهِ ... أن يفتح السائلُ أقفـالَهْ

تِرْبُ المعالى من له فى النَّدَى ... بادرةٌ تُخــرِسُ سُــؤَّالَهْ

بفـاجئ الراجى بأوطارِه ... كأنّه وســوَس آمالَهْ

مُنْيتُــهُ للطارق المجتـــدى ... أن يدرُجَ الأرضَ فتُطوَى لَهْ

مثل "عميدِ الدولةِ" المرتقِى ... بحيثُ أرسَى المجــدُ أجبالَهْ

ذو الرأى قد شـــدَّ حيازيمَهُ(١) ... يصـارع الدهرَ وأهــوالَهْ

اذا عَرا خطبٌ تصــدَّى له ... يوقدُ فى جُنحيْه أجــذالَهْ(٢)

مُصيبُ سهم الظنِّ لا ينطوى ... غيبُ غــدٍ عنــه اذا خالَهْ

كأنَّ فى جنبيــه ماويَّةً(٣) ... تريه ممـا غاب أشــكالَهْ

بازلُ(٤) عامينِ ارتضَى وخدَه ... فى طَــرْقه العــزَّ وإقبـالَهْ(٥)

---

(١) حيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر، أو ما يشد عليه الحزام . (٢) أجذال : جمع جذل وهو أصل الشجرة وغيرها . (٣) الماوية : المرآة . (٤) البازل : الجمل المسن . (٥) كذا بالأصل ، ويحتمل أن تكون « وإرقاله » معطوفة على قوله : وخده ، والوخد والإرقال : ضربان من السير السريع .

لا يشهدُ المغنمَ إلا لكى يقسِمَ فى الغازين أنفالَهْ (١)

إذا زعيمُ الجيش حامَى على مِرباعه (٢) أنهبَ أموالَهْ

فعادةُ الجود وإسرافُه قد كثّرًا بالشكر إقلالَهْ

سامٍ اذا تِهتَ عليه وإن وادعتَه طأطأ شِملالَهْ (٣)

كأنما أقسمَ حبُّ العلا عليه : أن يُتعِب عُذّالَهْ

فلا يَنُوا (٤) عنه عتابا ولا أقوالُهم تزجُر أفعالَهْ

كم قد عرتْه من يدٍ أتلفتْ درهمَه فيه ومثقالَهْ

خرَّقَ (٥) حتى حقروا عنده مَنْ وزَنَ المالَ ومَن كالَهْ

مشتبهُ الأطرافِ ، أعمامُه يظنُّها القائفُ (٦) أخوالَهْ

إن جذَب الفخرُ بأبرادِهم (٧) فكلُّهم يسحبُ سِربالَهْ

فى كلِّ جمعٍ صالحٍ هاتفٌ ما يأتلِى يضربُ أمثالَهْ

أما ترى الرقشاءَ (٨) فى كفِّه كأنها سمراءُ (٩) ذَبّالَهْ (١٠) !

اذا تثنَّتْ فوق قِرطاسِها رأيتَها بالفضل مختالَهْ

---

(١) الأنفال : الغنائم . (٢) المرباع : ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .

(٣) الشملال : الناقة السريعة الخفيفة ، والمعنى أنه ينيخها كناية عن تواضعه لمن يوادعه . (٤) ينوا : يفتروا . (٥) كذا بالأصل ولعلها « خرق » بمعنى توسع فى العطاء . (٦) القائف : الذى يعرف النسب بفراسته . (٧) أبراد : جمع برد وهو الثوب . (٨) الرقشاء : الحية — والمراد بها القلم على التشبيه — . (٩) يريد بالسمراء قناة الرمح . (١٠) ذبالة : دقيقة .

فتــارةً تَشْــفِى بِدرياقِهــا وتارةً بالسُّــمِّ قتّــالَهْ

ينفُثُ فى أطرافِهـا رُقيَــةً تعالجُ الـعِىَّ وأغــلالَهْ

قد صيَّرت "سحبانَ" فى "وائلٍ" كأنّــه عَجْــماءُ صَلصالَهْ (١)

لا رجَعتْ نُعماه حَسرَى كما راجعَ هــذا القلبُ بَلبالَهْ

عاودَه من دائه نَكسُهُ من بعد أن شارف إبلالَهْ

ولو صحا طــورا لعنَّفتُــه فى حبِّــه بيضــاءَ مِكسالَهْ،

أو رشأً قــد لثَّمــوا وجهَــه بِجَــاء مثلَ البدر فى الهـالَهْ

أبعْــدَ ما عمَّم كافورهُ رأسى وأعفَى الرأسُ صَـقَّالَهْ؟،

أجيبُ طيفا زار، عن زورةٍ وأسأل الربــعَ وأطــلالَهْ

ويطرُدُ التحصيلَ من خاطرى صهباءُ أو صــفراءُ سلسالَهْ

وليس خِدْنى بالهِدانِ الذى (٢) هجوعُــه يألفُ آصالَهْ

لا يترجَّى الضيفُ إمراعَــهُ ولا يخاف الجــارُ إمحالَهْ

لكنّه الأشعثُ (٣) فى سِربِه يحــدو إلى العلياء أجمـالَهْ (٤)

يبيت ضبُّ القاع من خوفِه مستثفرا (٥) دهمــاءَ شــوَّالَهْ

---

(١) العجماء : البهيمة ، والصلصالة : المصوتة . (٢) الهدان : الوخم الثقيل .

(٣) الأشعث : المغبر شـعر الرأس . (٤) أجمال : جمـع جمل وهو معـروف .

(٥) مستثفرا : أى واضعا تحت ذنبه ، والدهماء الشـوالة : العقرب ، لأنها تشول بذنبها أى ترفعـه . وتزعم العرب أن الضب يستثفر العقرب فاذا أدخل الحارش يده فى جحره لصيده لسعته .

أشهى له من قَينةٍ[1] مطربٍ عنافُهُ جرداءَ[2] صهّالَهْ

قد عاشر الوحش بأخلاقه وباين الحىَّ وجُهّالَهْ

كلٌّ له فى سعيه مَذهبٌ وكلُّ عيشٍ فله آلَهْ

وهذه الأيامُ إن حُققت شرّابةٌ للخلق أكّالَهْ

✦ ✦ ✦

وقال فيه ولم يتمها :

أكرِمْ بوجه الراكبِ المُعنِقِ[3] يخبرُنا : أنّا غدًا نلتقى

حجابُ قلبى فُزْ بِهِ خِلعةً فتحفةُ البشرى على الشيّقِ

تُراهُمُ زمُّوا بحملِ الصَّدَى رسالةَ العانى الى المطلَقِ؟

واستفهموا الطيف وقالوا له : تعلَمُ[4] من عشّاقنا مَن بقِى؟

أنا الذى ضمّتْ غداةَ "النقا" حبائلُ الأسرِ ولم أُعتقِ

وكلّما أثبتَ راميهمُ أسهمَه قلتُ له : فَوِّقِ[5]

ما أحذقَ الطاهى الذى عندكم أنضجَ بالنار ولم يُحرقِ

ليس الحمى إلا بسُكّانِه والشمسُ منها بهجةُ المَشرقِ

---

(١) القينة : المغنية . (٢) الجرداء : الفرس قصيرة الشعر . (٣) المعنق : الذى يسير العنق وهو ضرب من السير السريع . (٤) يريد : أتعلم فحذف حرف الاستفهام .

(٥) فوق السهم : سدّده .

علىَ عقرُ البُدْن[1] إن أصبحت — خيامُهم وهى رُبَى "الأبرقِ"

مثــل الأَداحىّ[2] و بيضاتُهــا — تُحضَنُ بالأبيضِ والأزرقِ[3]

يا ماتح الماءِ[4] عدمتَ الرِّوَى — من جَفْرِ[5] هذا القلبِ كم تستقِى ! !

من شيمة المــاءِ آنحدارٌ فــلِمْ — ماءُ فــؤادى أبدا يرتــقِى

تحسبُ فى أجفانىَ السُّحبَ أو — جودَ "عميدِ الدولة" المغـدقِ

* * *

وقال فيه أيضا :

لستُ أقضِى إذا رأيتُــك نَذرا — غيرَ نثرى عليــك حمــدا وشـكرا

وثنــاءً إذا تلقَّطَــه السمـ — ـعُ تحــلَّى فى موضع القُــرط[6] دُرَّا

مالىءٌ قلبَ من يواليــك إطــرا — با وأُذنَ الذى يعــاديك وَقْــرا[7]

ليس لى من فضيلةٍ فيــه إلا — أننى أُلبِس القــلائدَ نحــرا

أتلــقَّى بحسن أخلاقــك الغُـ — ـرِّ شــبيهابهنّ وجهًــا أغرَّا

فكأنى إذا تمضمضَ بالمـــد — ح لسانى أديرُ فى الفمِ خمــرا

كلُّ هــذا جَهــدُ المقلِّ وما قد — رُ من يبتغى لمجــدك ذِكرا

---

(١) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدّم للنحر . (٢) أداحى : جمع أدحى وهو مجثم النعامة تبيض فيه . (٣) الأبيض والأزرق : يراد بهما ريش جناحى النعامة . (٤) الماتح : مستخرج الماء من البئر . (٥) الجفر : البئر الواسعة . (٦) القرط : الحلق . (٧) الوقر : الصمم .

لا يزور الرقادُ عينا إذا سِر — تَ ولا يسكن الفؤادُ الصدرا

كيف لا تقشعرُّ أرضٌ إذا أعـ — ـرضتَ عنها واستأنستْ بك أخرى

تستطيل الأوقاتَ حتى ترى السا — عةَ حَوْلا وتحسب اليومَ شهرا

لو أطاقت سعيا إذا زُلتَ عنها — لغدت فى أوائل الركب حسرى (١)

أنت روحٌ لها ولا يعمُر الجثـ — ـمانُ إلا ما دام للروح وَكرا

إنما تعدَم البِلادُ متى غبـ — ـتَ ضياءَ الآفاق شمسًا وبدرا

وسحابا للجود يرعُد وعدا — ثم ينـدَى كفاً ويَبْرُق بِشرا (٢)

فاذا ما أقمتَ أصبحنَ خُضرا — واذا ما ظعنتَ أمسين غُبْرا

نفقِدُ الصدَّ للحبيب ولا نقـ — ـبلُ منه على التباعُد عُذرا

يتمنّى المحبُّ قربا ووصلا — فاذا فاته فقربا وهجرا

لا ترُعنا بغُربةٍ بعدُ، إنّا (٣) — ليس نُعطَى على التفرّق صبرا

إن سقانا إيابُك اليومَ حُلوا — فبما أسقت النوى أمسِ مُرّا

غيرَ أنّا إذا السلامةُ حاطتـ — ـك وسِعنا الزمانَ عفوا وغفْرا

---

(١) حسرى : معيية .

(٢) فى الأصل : « نشرا » .

(٣) فى الأصل « لا شرعنا بعزمة » والسياق بها غير ملتئم .

*
* *

وقال يمدحُهُ، ويهنِّئه بعَوده من خُراسان، وهى آخرُ شعرٍ قاله رحمه اللهُ :

ماذا يَعيبُ رجالُ الحيِّ فى النادى ... سوى جنونى على أُدمانةِ الوادى؟[1] !

نَعَمْ هى الزادُ مشغوفٌ به سَغِبٌ[2] ... والماءُ حامت عليه غُلَّة الصادى

يا صاحبى أنتَ يومَ الرَّوعِ تُنجِدُنى ... فكيف يوم النوى حرَّمتَ إنجادى

وما سلكتُ بِفجاجِ الحبِّ معتزما ... حتى ضَمِنتُ ولو بالنفس إسعادى

من أين تعلَمُ أنَّ البينَ وخزَته ... فى القلبِ أسلمُ منها ضربةُ الهادى[3] !

لا دَرَّ دَرُّك إن ورَّيتَ عن خبرى ... إذا وصلتَ وإن أشمتَّ حُسّادى

قُلْ للقيمين " بالبطحاءِ " إنَّ لكم ... " بالرقّتين " أسيرا ماله فادى

بين العواذل تطويه وتنشُره ... مثلَ المريضِ طريحا بين عُوّادِ

ليتَ الملامةَ سدَّت كلَّ سامعةٍ ... فلم تجد مسلَكا أُرجوزةُ الحادى

أكلِّف القلبَ أن يهوَى وألزمه ... صبرا، وذلك جمعٌ بين أضدادِ

وأكتُم الركبَ أسرارى وأسألهم ... حاجاتِ نفسى، لقد أتعبتُ رُوّادى

هل مدلجٌ[4] عنده من مُبكرٍ خبرٌ ... وكيف يعلم حالَ الرائحِ الغادى؟

وإن رويتُ أحاديثَ الذين نأَوا ... فعَنْ نسيمِ الصَّبا والبرقِ إسنادى

---

(١) الأدمانة : الظبية التى أشرب لونها بياضا . (٢) السغب : الجائع .

(٣) الهادى : العنق . (٤) المدلج : السائر بالليل، والمبكر السائر فى بكرة النهار .

قالوا: تعوَّضْ بغِزلان "النقا" بدلا ... أمقنعى شِــبْهُ أجيادٍ لأجيــاد؟

إن الظبــاءَ التى هام الفؤادُ بهــا ... يرعَينَ ما بيــن أحشاءٍ وأكبادِ

سَكَنَّ من أنفس العُشّاق فى حَرَمٍ ... فليس يطمع فيهــا حبلُ صــيّادِ

هيهات لا ذقتُ حُلوا من كلامكمُ ... قــد بان غدركمُ فى وجه ميعادى

ولا جعلتُ الّتى وِردى وقد ضمِنتْ ... غمامةُ الجود إصــدارى و إيرادى

فى "شرف الدين" عن معروفكم عِوضٌ ... كرامةُ الجارِ والإيثــارُ بالزادِ

للطارقِ الحكمُ فى أعناقِ هَجْمتِــه (١) ... ولو تقرّاه (٢) ذئبُ الرِّدهــةِ (٣) العادى

نادتْ : هلمَّ الى الشِّيزَى (٤) مكارمُهُ ... فنُبِنَ فى الليــلِ عن نارٍ ووقّادِ

يَشفِين من قَرمِ (٥) الضِّيفانِ عند فتًى ... لا يزجُر السيفَ عن عُرقوبِ مِقحادِ (٦)

مباحُ أفنيةِ المعــروفِ ليس له ... بابٌ يعــالجه العــافى بِمِقــلادِ (٧)

فلا وكــاء (٨) على عينٍ ولا ورِقٍ (٩) ... ولا رِعاء (٢٠) لأزرابٍ (١١) وأذوادِ (١٢)

أجدَى فلم يرَ ذُخرا فى خزائنـــه ... إلا قنــاطيرَ من شكرٍ و إحمــادِ

فى كلِّ يومٍ يُرينــا من مواهبــه ... بِرًّا غَريبا وفضـــلا غيرَ مُعتــادِ

---

(١) الهجمة : من الإبل ما بين الأربعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى "هنيدة" .

(٢) تقراه : طلب قراه . (٣) الردهة : النقرة فى الصخرة . (٤) الشيزى : القصعة . (٥) القرم : شدة النهم الى أكل اللحم . (٦) المقحاد : الناقة العظيمة السنام . (٧) المقلاد : المفتاح . (٨) الوكاء : حبل تربط به القربة . (٩) العين والورق : الذهب والفضة . (١٠) رعاء : جمع راع . (١١) أزراب : جمع زرب وهو موضع الماشية . (١٢) أذواد : جمع ذود وهى الإبل .

شريعةٌ فى النّــدَى ضلوا فـدلّهمُ على مناهجهــا خِرّيتُها[1] الهــادى

قاضى اللُّبانةِ لم يفطِن لهــا أملٌ كأنّه لهـــوى العــافى بمرصــادِ

له قِبابٌ بطيب الذكرِ شـــيَّدها فمــا دُعِمنَ بأطنــابٍ وأوتادِ

يا بحرُ إن شئتَ أن تحكِى مواهبَهُ فدع مَخُوفَيــكَ من هَيْج وإزبادِ

قد ساجَمَ[2] العارضَ[3] الهامى وزايدَه حتى آســتغاث بإبراق وإرعادِ

لله أىّ زلالٍ فى مَزَادتِه[4] والظّــمءُ يَخلُط فُرَّاطــا[5] بُورّادِ

أُنظــر اليه ترى من شأنِه عجبــا زِىَّ الملوك على أخـــلاقِ زُهَّادِ

إن قال قومٌ: له مِثلٌ، يقلْ لهمُ من مــاتلوه به: جئتم بإلحادِ

لا تكذُبَنَّ فهذا الشخصُ من نفرٍ لم يخلُق اللهُ منهـــم غــيرَ آحادِ

شرائطُ المجد كلٌّ فيــه قد جُمِعتْ جمعَ حروفِ التهجّى فى "أبى جادِ"

أرِحْ بنانَك من حُسبانِ سؤدده إن الكواكبَ لا تُحصَى بأعدادِ

وهل يفوت المعالى من أحاط بها بنفســـه وبآباءٍ وأجــدادِ؟

اذا الفخارُ رمَى الفُتيَــا الى حكَمٍ وافَى ينــافر أمجــادا بأمجــادِ

على المهابةِ قـــد زُرَّت بَنائقُــه[6] كأنّه لابسٌ لِبـــداتِ آســادِ

---

(١) الخريت: الدليل. (٢) ساجمه: عارضه فى انسجامه. (٣) العارض: السحاب المعترض. (٤) المزادة: وعاء يحمل فيه الماء. (٥) فراط: جمع فارط وهو الذى يتقدم القوم الى الورد لإصلاح الحوض. (٦) البنيقة: زيق القميص الذى ينفتح على النحر.

لذاك صُــعّر خــدٌّ غيرُ منعفرٍ	له وخرّ جبينٌ غــيرُ سجّادِ
تطأطأ المجــدُ حتى صار فارسَــه	ثم آشمخرّ فــلم يلطأ لصــعّادِ (١)
فكيف لا ترهبُ الأعداء نقمتَه	و بطشُها كصنيع الريح فى "عادِ"
صوارمٌ من صواب الرأى يطبعها	وصانعُ المكرِ يكسوها بأغمــادِ
اذا آنتُضِينَ وما يَظهرنَ من لَطَفٍ	فرّقن ما بين أرواح وأجسادِ
وللمكايد ســيفٌ غــيرُ منثلِمٍ	وللخــدائع رمحٌ غــيرُ منآدِ (٢)
فى أيّمــا جانبٍ من حزمِهِ نظـروا	لم يجــدوا مطلعا فيــه لأفنــادِ (٣)
تخافُ عزمتَه الإبلُ التى خُلقتْ	أخفافُهنّ لتهجــيرٍ وإسآدِ (٤)
وتتقيــه العِتــاق القُبُّ سائمةً (٥)	تطويحَها بين أتهــامٍ وأنجادِ
أليس ناظمها عِقــدا له طَرَفٌ	"بالرىّ" والطرفُ الأقصى "ببغدادِ"
مكلّفات بســاطَ الدوّ تمسحه (٦)	باســؤقٍ و بأعنــاقٍ وأعضــادِ
كأنّ آثارَ ماداست حوافرُها	دراهمٌ بَدَدٌ (٧) فى كفّ نقّــادِ
طورا تَسامَى على يافوخِ شاهقةٍ (٨)	بها السمواتُ ظُنّتْ ذاتَ أعمادِ

(١) يلطأ : يلصق بالأرض . (٢) المنآد : المنثنى . (٣) أفنــاد : جمع فنــد وهو الكذب . (٤) التهجير : الســير فى وقت الهجيرة ، والإسآد : الســير بالليــل . (٥) القب : الخيل الضامرة البطون ، واحدها أقب وقباء . (٦) الدو : المفــازة . (٧) بدد : متفرقة . (٨) اليافوخ : الموضــع الذى يتحرك من الطفل فى أعلى الرأس .

وتارةً ترتمى فى صفصفٍ (١) قُـذُفٍ (٢) ... للآلِ (٣) يُكذَب فيـه كلُّ مُرتادِ

حتّى شَتَيْنَ "بنيسابورَ" باليـةً ... إلا عظاما مُواراةً بأجـلادِ

فى شَتوةٍ شَمِطَ الليـلُ البهيمُ بها ... تُضاحِك الريحَ ماهبّتْ بصَـرّادِ (٤)

كأنَّ فى أرضها أنْسَاجَ قِبْطِيَـةٍ (٥) ... أو السماءَ آسـتعارت بَرْسَ (٦) نَجّادِ

يا من يشاوَرُ فى قُربٍ وفى بُعُـدٍ ... ومن يُعَـدُّ لإصلاحٍ وإفسادِ،

إن الامامَ مذ آسترعاك دولتَـهُ ... غَنِيَ برأيك عن تجهيزِ أجنادِ

إن مرِضَتْ ليـلةً عُمىٌ كواكبُها ... قـدحتَ فيها بزَندٍ غيرِ صَلّادِ (٧)

فهذه الأرضُ قد عَجَّت بدعوتهِ، ... فى كلِّ قُطرٍ خطيبٌ فوق أعوادِ

عـونٌ من الله لم يَشهد وقيعتَـه ... إلا كتائبُ توفيـقٍ وإرشادِ

وحسنُ تدبـيرك المُردى أعاديَهُ ... مقـرَّنين (٨) بأغـلالٍ وأصـفادِ

فأىُّ فـظٍّ عليهـا غيرُ منعطفٍ ... وأى صعبٍ حرونٍ غيرُ منقادِ

وفى "خراسانَ" قد شِيدتْ مآثره ... أرّخَهـا صيتُها تاريخَ ميـلادِ

بين الخليفـةِ والمَلْكِ المطيـعِ له ... أبـرمتَ وصـلةَ أولادٍ لأولادِ

---

(١) الصفصف : المطمئن من الأرض . (٢) قذف : بعيد يتقاذف بمن يسلكه .

(٣) الآل : السراب ، وفى الأصـل « الأهل » وهو تحريف ؛ ويكذب : يسوء سـيره .

(٤) الصراد : الريح الباردة . (٥) القبطيـة : ثياب من كتان تنسـج بمصر منسوبة الى القبط على غير القياس . (٦) البرس : القطن . (٧) الصلاد : — من الزناد — غير المورى . (٨) مقرنين : مشدودين بالقرن وهو الحبل .

شمسٌ وبدرٌ لويتَ العَقدَ بينهما ... لولا الشريعةُ لم يوثَق بإشهادِ

فليس كالصهر فى سهلٍ ولا جبل ... وليس كالحمو فى حَضَرٍ ولا بادِ

فياله شرفا أحرزتَ غايتَه ... فلم تدع فضلةً فيه لمرتادِ

وما بلوغُك فى العلياء آخرَها ... بمانعٍ كَرَّةَ المستأنِف البادى

تسومنى أن أُنيرَ القولَ فيك وما[1] ... يُغنى المرقَّشُ[2] من تفويف[3] أبرادِ

بل كلُّ مدحك أمرٌ ليس من جِبلى ... وكنهُ وصفك ثِقلٌ ليس فى آدى[4]

إنَّ القوافى وإن جاشت غواربُها[5] ... لا يُستطاع بها تحويلُ أطوادِ

فإن رضيتَ بميسورى فهاءِ حُلًى ... مَصُوغة بين أفكارى وإنشادى

فلن تعوزَ يدَ الغوَّاص من صدفٍ ... فريدةٌ وُسِّطتْ فى سِلك عقَّادِ

أُعابُ بالشعر لا أبغى به عِوضا ... ولا يُعاب أناسٌ غيرُ أجوادِ

لكنَّنى فى أناسٍ إن سألتُهُمُ ... لم يعرفوا الفرق بين الظاء والضادِ

ما دمتَ سمعا وعينا فى الزمان لنا ... فكلُّ أيامِه أيامُ أعيادِ

* * *

وقال يمدحُ زعيمَ الرؤساء أخاه وهو يتولَّى الديوان :

صبَّحها الدمعُ ومسَّاها الأرقْ ... هل بين هذين بقاءٌ للحَدَقْ ؟ !

لا متعةً بالظبى عَنَّ غاديا ... ولا خِداعا بالخيال إن طَرَقْ

---

(١) أنير : أجعل له نيرا وهو هدب الثوب ولحمته ، فاذا نسج من نيرين كان أصفق . (٢) المرقش : المزخرف . (٣) التفويف : تخطيط الثوب . (٤) الآد : القوة . (٥) الغارب : معظم الماء .

إن ضحِك البرقُ من "الحَزْنِ" رنا — أو فاحت الريحُ من "الغَورِ" نشِقْ

كم ذا على التعليــل تحيا مهجةٌ — بمُـــديتَىْ بينٍ وهجـــرٍ تُعـــتَرَقْ (١)

ليت الذى عَذّبَ إذ لم يُعفِــه — من مسّــه بالضُّـــرِّ وانَى و رفَقْ

ميّـالةَ الأعطافِ، ما فاتك من — غصونِ بانات "الحمى" إلا الورَقْ

لو ثبتَ السهمُ الذى أرســلتِه — فى القلبِ وافقتِكِ لكن قد مرَقْ

جمعتم الســـرَّاءَ والضـــرّاءَ لى — فأنتمُ كالمـاءِ رِىٌّ وشَـــرَقْ

كان آتفاقا ولَعى بِســـربكم — وشـــرُّ أحداثِ الليـالى ما آتفقْ

لم أدرِ أنّ من حُداة ظُعْنِكم (٢) — أو ســائقيهنّ غــرابا قـــد نعَقْ

هبْ أنّ طَرفى أسرَته بينكم — حبـائلٌ، فآنظر عُيَيْناتِ الخَرِقْ (٣)

وخُذْ لمن عَنَيْتُ منّى سِمــةً — لألأةَ البــدر إذا البدرُ آتســقْ (٤)

ولا تَعَـــرَّضْ لعـــلاجى إنمـا — يَشفِى من الحبِّ الذى يَشفِى الوَلَقْ (٥)

علَّ الغـــرامَ نازلٌ عن صهـوتى — إن لِمَّتِى (٦) الدهمـاءُ (٧) شِـيبت بالبَلَقْ (٨)

يصنعُ لونُ الشَّـيبِ بالشباب ما — يصنع بالجــلدةِ توليعُ (٩) البَهَـــقْ (١٠)

---

(١) تعترق : يؤخذ ما عليها من اللحم نهشا . (٢) ظعن : جمع ظعينة وهى الإبل التى يحمل عليها . (٣) الخرق : ولد الظبية . (٤) اتسق : انتظم واستوى . (٥) الولق : الجنون . (٦) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٧) الدهماء : السوداء . (٨) البلق : سواد وبياض . (٩) التوليع : البرص . (١٠) البهق : بياض يظهر على بشرة الجسد .

قلتُ : ظــلامٌ طلعتْ أنجُـــمُه فمـا آعتذارى إن بدا ضوءُ الفَلَقْ (١)

أليس بَردُ اليأسِ لو وَســعتَه (٢) أطفأً من تســويف آمالى حُرَقْ

مهلا فمـا دون الأمانى هَضبــةٌ تزداد بالحرص آرتفـاعا وزَلَقْ

لو جُلتَ حولَ الفــلَك الدّوّار لم يزددْ نَقــيرا (٣) فوق ما اللهُ رزَقْ

عش بطفيفِ القوتِ سَدّ جَوعةً والقطرةِ الكدراء والثــوبِ المِزَقْ (٤)

وساوِ ربَّ التــاج فى سلطانهِ من يُعتِــق الأطماعَ منهنّ عَتَــقْ

وعاشر النــاسَ بلا تصــنّعٍ لا جفوة الهَجرِ ولا زُورِ المَــلَقَ

وآدعُ "زعيمَ الرؤساء"، يستجبْ أروعُ نهّــاضٌ بمـا جلَّ ودقْ

لا تطمع الأنفــالُ (٥) أن تؤودَه (٦) والدرُّ فى اللُّجــة لا يخشَى الغــرَقْ

أضحت صروفُ الدهرِ فى سطوتهِ ملزوزةً (٧) لــزَّ البِطان (٨) بالحِــلَقْ (٩)

معتــدل الشيمة حتى إبْــلُه سِيرتُها بين الرســيم والعَنَــقْ (١٠)

لا شَــيبة الحلمِ كسته وَنيــةً (١١) ولا شبابُ السنّ أعطاه النّزَقْ

---

(١) الفلق : الصــباح — والمراد من كل ما تقــدّم وصف آشــتعال الرأس بالشيب .

(٢) وسعته : أطقته . (٣) النقير : النكتة فى ظهــر النواة . (٤) المــزق : جمع مِزقة وهى القطعة من الثوب ، و يقال : ثوب مزق باعتبار أجزاء . (٥) كذا فى الأصل ، ويحتمل أن تكون "الأثقال" ؛ والأنفال : جمــع نفل وهو ما يفعل ممـا لا يجب فعــله من العطاء .

(٦) تؤوده : تثقله . (٧) ملزوزة : ملاصقة . (٨) البطان : حزام القتب يجعل تحت بطن الدابة . (٩) حلق : جمع حلقة وهى كل ما استدار . (١٠) الرسيم والعنق : ضربان من السير . (١١) الونية : الفتور والضعف .

قُضِى لــه بالســبق فى وِلاده والمهرُ بالعِتق يُرى فيه السبَقْ

رقَى المعالى رتبةً فرتبةً كالعِقد يعلو نظمه على نسقْ

يبسم بِشرا مازجتْه هيبةٌ تطلُّعَ النَّصلِ (١) من الغِمد الخَلَقْ

لم تُمطر السحبُ ولكن خجِلتْ من جوده حتى نضحن بالعَرَقْ

وأينَ منها راحةٌ مَصيفُها مثلُ الشتاء يهمُر الماءَ الغدِقْ

كالخمر للشارب كيف شاءها تصرَّفت مصطبَحا ومغتبَق

ما زال يُغلى الحمدَ بآبتياعه حتى غلا فى كلّ سوقٍ ونفَقْ

وكلّما أسرف فى صِفاته مادحُه، قالت معاليه : صدَقْ

شمائلٌ وبهجةٌ مومُوقةٌ (٢) والحسنُ بالأخلاقِ ثم بالخَلَقْ

نصرا "أبا القاسم" قد تبرّجَتْ أمُّ اللُّهَيم (٣) حاملا بنتَ طَبَقْ (٤)

فى مثلها رأيُك أذكَى (٥) زَندَهُ أو تنجلى عنها دُجُنّات (٦) الغَسَقْ

سهلٌ على رأيك وهو ساحرٌ تقويمُ ما آعوجّ ورتقُ ما آنفتقْ

قد أمكنتك فآنتهزها فرصةٌ بالشكر، والشكرُ لذيذُ المعتنَقْ

"بنى جَهيرٍ" أنتمُ دِرعى، إذا رمَى الزمانُ بدواهيه رشَقْ

رميتُ من دون الأنام مِقودى إليكمُ طوعا وقطّعتُ العُلَقْ

(١) النصل : حد السيف . (٢) مومُوقة : محبوبة . (٣) أم اللهيم : الداهية .

(٤) بنت طبق : الداهية أيضا — والمعنى أن الداهية تستتبع الداهية . (٥) أذكى : أثار .

(٦) دجنات الغسق : ظلمات الليل .

فلا أكون بينكم "عُطاردا" لقربه من كُرة "الشمس" احترق

لا رعَت الأحداثُ فى حِماكُمُ ولا رأت نجومُها ذاك الأفُــقْ

إن حزتم العليـاء عن آخرها بسعيكم فهو دُوينَ المستحق

* * *

وقال يمدحُه أيضا، و يهنئه بالنيروز :

وعيشكم لا ورَد الحُــوَّمُ مناهلا غُدرانُها تبسِــمُ

ولا رعت هُمَّــلُ(١) أبصارِهم فى روضــةٍ نُوّارُها أسـهمُ

رويدكم إن الهوى مَعرَكٌ يُعــدَم فيـه الأجرُ والمغنمُ

وإنما تأويلُنا أنّه يحِــلُّ للمضــطرِّ ما يحــرُمُ

إنّ أبيّاتِ النفوس، التى أحلَى مناها الحـادثُ الأعظمُ

نخوضُها فى غمَـراتِ الهـوى لأنّـه ينـدُرُ فيهـا الدّمُ

من ذا الذى أفتَى عيونَ المها بأنّ ما تُتلِف لا يُغــرَمُ!

ساروا بقلبي دون جسمى فما تنفعنى الجــلدةُ والأعظُــمُ

وآستعذبوا ظلمى فمن أجلهم أســتغفر اللهَ لمن يظلِمُ

ما ضرّهم لو ســفَروا ريثما يَقْبَــل عُذرى فيهــم اللوّمُ

قال لىَ الأحــورُ من بينهــم وما بـــه الأجــرُ ولا المـأثمُ : ،

---

(١) الهمل : جمع هامل وهو المتروك فى المرعى ليلا ونهارا .

داؤكَ هذا مَن جناه ومَن يُـبرئه؟ قلتُ : الذى تعـلَمُ!

كم فى خيام البَـدوِ من ظبيةٍ سِـوارها يُشـبعه المِعصمُ

حاذرت العينَ فما إن تُرَى وخافت السـمعَ فما تبـغِمُ (١)

لو فاخرتْ فى الليل بدرَ الدجى لكانَ بالفضل لها يُحكَمُ

لأنها قد فتنَتْ قومَها والبـدرُ لم تُفتَن به الأنجمُ

ما أصعبَ الإذنَ على منزلٍ بوّابُه الخَطّـىّ (٢) واللّهـذَمُ (٣)

لا برِح الوسمىّ (٤) عن أرضهم ولا نأى عن جوّها المِـرزَمُ (٥)،

أو أُبصرَ الكُثبانَ (٦) قد طُلِّلَتْ (٧) رَقْما (٨) كما يصـطنع المُحـرِمُ

وبلّـغ اللهُ المـنَى فتيـةً نديمُهم فى الصـبح لا ينـدمُ

عاطيتهـم صهباءَ (٩) دارِيّةً (١٠) قالوا : وأين الصابُ والعلقمُ

عزُّوا فلو تفقِـد أذوادُهم (١١) حاميَها خفَّرها (١٢) المِيسـمُ (١٣)

---

(١) بغمت الظبية : صاتت . (٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين واليه تنسب الرماح لأنه مبيعها لا منبتها ، يقال رماح خطية على الوصـف ، و رماح الخط على الإضافة — . (٣) اللهذم : القاطع من السيوف . (٤) الوسمى : أول المطر . (٥) المرزم : كوكب من أنواء المطر . (٦) كثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل . (٧) فى الأصل « طلت » وهو تحريف . (٨) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز . (٩) الصهباء : الخمر . (١٠) الدارية : منسوبة الى دارين وهى فرضه بالبحرين يحمل اليها المسك من الهند . (١١) الأذاود : الإبل . (١٢) خفرها : آمنها وحماها . (١٣) الميسم : العلامة يعلم بها الحيوان .

وهى على عزّتها بينهــم | يُبَعَثُ[1] فيها الفــذُّ[2] والتوأمُ
ما تبرح الأكوارُ[3] معمورةً | بهم ونيرانُ الوغى تُضرَمُ
سقيًا لهم لو أنّ أمّاتهم | لا تُطعَم الثُّكلَ ولا تُعقَمُ
تودُّ ذاتُ الحمل لو أنها | يوما بأمثالهم تُتئِمُ[4]
فلست أدرى أُنجبوا شيمةً | أم شِنشِنٌ[5] ورّثهم "أخزمُ"؟!
بل من "زعيم الرؤساء" اقتنوا | مكارمَ الأخلاق لا منهمُ
إن تُسئل العلياءُ عن نفسها | تقلْ: "أبو القاسمِ" بى أعلمُ!!
قد أُنزلتْ فيه العلا سُورةً | دقّت معانيها فما تُفهمُ
كأنّما فى صدر ديوانه | "داودُ" فى محرابه يحكُمُ
بلاغةٌ من حسن إيضاحها | لا تُشكل الخطَّ ولا تُعجِمُ
والفصلُ أن يُنشَر قرطاسُهُ | وتَنْبَهَ المُرّيّةُ[6] النُّوَّمُ
إذا تحدّى الغيبَ أفكارُه | فليس بابٌ دونها مُبهَمُ
كُفيتِ يا سُحْبُ فلا تنصَبِى[7] | حسْبُ الثرى تيّارُه الخضرِمُ[8]

(١) فى الأصل "يعيث" والمعنى بها غير واضح . ولعل ما رجحناه هو الصواب . (٢) الفذ : الفرد ، والتوأم : ما ولد مع آخر . (٣) أكوار : جمع كور وهو الرحل . (٤) تتئم : تأتى بتوأمين فى بطن . (٥) الشنشن : العادة ، والمثل « شنشنة أعرفها من أخزم » .
(٦) المرية : منسوبة الى مرة بن ذهل أحد أجداد الممدوح لقوله فى موضع آخر :

يابنى مرة بن ذهل أبوكم | ما أبوكم وجدكم أى جد

— والمراد بهذه النسبة الأقلام — . (٧) تنصبى : تجهدى . (٨) الخضرم : العظيم .

قد علِم العُشبُ وضيفُ القِرَى ... أيُّكما فى الأزمةِ الأكرمُ

تَطاولى يا هضَباتِ المُنَى ... فهــو الى ذِروتك السُّــلَّمُ

محسَّــدٌ يغبِــط أقــلامَه ... عــلى يديه الرمحُ والمِخــذَمُ (١)

وما الذى بينَهــما جامعٌ ... هذان بؤسَى ، وهما أنعمُ

ليس بمحتــاجٍ إلى شِكّــةٍ (٢) ... ســلاحُه من ذاته الضيغمُ (٣)

إنّ قِداح النَّبــع (٤) مبرِيَّةً ... لغــير مَنْ وقْصَتُه (٥) شَيْهَــمُ (٦)

وهو إذا هزَّ قنَــا كيدِه ... شاطَ (٧) عليهــا البطلُ المعــلِمُ (٨)

وقالت الدرعُ لمُجتابهــا (٩) : ... ما هُزّ إلا القــدرُ المــبرَمُ

وما كُلوم (١٠) الدهر محــذورة ... ورأيُه الأعــلى لهــا مرهَمُ

ولو تشــاءُ اصطنعت خيــلُه ... وليمــةً يَشهــدُها القَشعمُ (١١)

قــد صُبغتْ بالنقع (١٢) ألوانُهــا ... فاشتبــه الأشهبُ (١٣) والأدهمُ (١٤)

من أُسرةٍ بيت معاليهــمُ ... يزوره الكافــرُ والمســلمُ

مستَلَمُ الأركانِ ، طُوّافُهُ ... بجدهم لبّــوا كما أنعــموا

---

(١) المخذم : السيف القاطع . (٢) الشكة : السلاح . (٣) الضيغم : الأسد . (٤) النبع : شجر تتخذ منه السهام . (٥) الوقصة : دق العنق وكسره . (٦) الشيهم : القنفذ الذى عظم شوكه . (٧) شاط : هلك . (٨) المعلِم : المميز بعلامة تبينه . (٩) المجتاب : اللابس، وفى الأصل : «لمحتابها» وهو تصحيف . (١٠) كلوم : جمع كلم وهو الجــرح . (١١) القشعم : النسر الكبير . (١٢) النقــع : غبار الحرب . (١٣) الأشهب : الجواد الأبيض . (١٤) الأدهم : الجواد الأسود .

شُــيِّد بالإحسان بنيانُهُ فكلُّ بيتٍ غيره يهــدَمُ

يزدحِم الوفــدُ بأرجائه فعامُهــم أجمعــه مَوسِمُ

لـو نحتَتْ صخــرتَه آلةٌ لاَستُنبِطتْ فى تُربهِ "زمزمُ"

يا خاتم الأجواد قولى الذى به الكلامُ المصطفَى يُختَمُ

بــدُرِّ أوصافِك أمددتَنى فيــه فما بالِىَ لا أنظِــمُ؟!

تحيّــة "النيروز" مفروضة بقــدرِ ما يملِكه المعــدِمُ

تُهدَى إلى مثلك فى مثـله الـ أشــعَارُ لا الدينارُ والدرهمُ

* * *

وقال يمدحُه فى العيدِ والمِهرَجان :

نظرتُ ولم أبغ إلا شــفائى فداويتُ سُــقما بداءٍ عَيـاءِ

تراءت وبرقُعهـا كفُّها لعينٍ مبرقَعــةٍ بالبكاءِ

فكانت لنـا فتنــةً ضوعفت بحسن المغطَّى وحسنِ الغِطاءِ

تقــول وقــد لُمتُهـا فى البِعا دِ: هل تسكنِ الشمسُ غيرَ السماءِ؟

وما زال تَسبى ــ وما إن ترا كَ ــ قلوبَ الرجالِ جسومُ النساءِ

وما زلتُ أجزَع من بينهــم فعلَّمنى الصــبرَ طولُ الجفاءِ

وإنّى من لاعجـاتِ الهــوى(١) على مثل صدرِ القناة آنثـائى

(١) اللاعجة : المحرقة .

أصـــومُ وما ماؤكم للـــورودِ وأعشـــو وما ناركُم للصّـــلاءِ

ومن يَصْدَ[(١)] يخدعْه لمعُ السرابِ ويغـــرُّه خُلّبُ برقٍ خَـــواءِ[(٢)]

ولله موقفُنـــا ، والعتـــا بُ ينبتُ فى الخدِّ وَردَ الحياءِ!

وقد أترع الحسنُ فيـــه غديرا إليـــه ورود العيـــون الظِّماءِ

وطَـــرفى يتبعُ هُوجَ[(٣)] الرياح عساهنّ يرفعن سِجْفَ[(٤)] الخِبـــاءِ[(٥)]

أتنجو بجســـمك فوق الركاب وتنبِـــذُ قلبَك بين الظِّباءِ؟

وعهـــدى بحلمك لا يُســـتطار برسمٍ مُحيـــلٍ[(٦)] وربعٍ قَـــواءِ

تَلَفَّتُ عن لَعَسٍ " بالحمى " وتُعرِضُ عن كَحَلٍ " بالجواءِ "

ولولا خيـــانة لونِ العـــذارِ لبعت عُلوق[(٧)] الهوى بالغـــلاءِ

وربَّ ليـــالٍ سحبتُ الشبابَ بأعطافهنّ كسَحْبى ردائى

فلو كنتُ أملِك أمرى آشتريـ ـتُ ذاك الظلامَ بهذا الضياءِ

وقالوا : أصبتَ بعصرِ الصِّبا ومن لم يشِـــبْ لم يفُز بالبقاءِ

وما منبِتُ العـــزّ إلا ظهـــورُ نواعجَ[(٨)] منعَـــلةٍ بالنَّـــجاءِ

يخلِّفن خلفىَ دارَ الهوان مُناخا ومضْـــطَرَبا للبِطـــاءِ

---

(١) يصدى : يعطش . (٢) الخواء : الخالى من المطر . (٣) هوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٤) السجف : الستر . (٥) الخباء : البيت من وبر وصوف . (٦) المحيل والقواء : العافى . (٧) علوق : جمع علق وهو الشىء النفيس . (٨) نواعج : جمع ناعجة وهى الناقة البيضاء ، والنجاء : السرعة فى السير .

أفـــرُّ بعِرضِى عمّـن ترى   مِن النافقاءِ إلى القاصِعاءِ (١)

ولستُ وإن كنتُ ربَّ القريض   كمَن يستجيب القِرى بالعُواءِ

عدمتُ معاشرَ لا يفرقـــو   نَ بين الصّهيلِ وبين الرُّغاءِ (٢)

إذا صافحتنى أكفُّ اللئام   لطمتُ بهن خَـــدودَ الرجاءِ

وقِدماً عصرتُ وجوهَ الرجالِ   فـــلم أرَ فيهنَّ وجهاً بمـاءِ

ولولا الجنابُ "الزعيمىُّ" ما   مشى الوعدُ فى طُرُقاتِ الوفاءِ

ولكن بجود "أبى قاسمٍ"   عُمِــرنَ المكارمَ بعـــد العفاءِ

له فى المعالى انتساب الصريحِ   إذا غيرُه عُـــدّ فى الأدعيـاءِ

أغرُّ تضىء به المكرماتُ   وتفترُّ عنـــه ثغـورُ العَــلاءِ

وترعَى العيونُ إذا لاحظتـ   ـهُ فى روضِ رونقِـهِ والرُّواءِ

إذا شِمتَ بارقَــه فالتِّــلا   عُ تشرق مثلَ حلوق الإضـاءِ (٣)

من القومِ قد طُبعوا فى الندى   على سِـــكّة الغادياتِ الرِّواءِ (٤)

يعُـــدُّ ابتياعَ يســـيرِ الثنـاء   بجزل العطاء مِن الكيمياءِ

تـــدِرّ يداه بـــلا حالبٍ   إذا التمَس الزُّبدَ مخضُ السِّقاءِ

---

(١) النافقاء : آخر جحر اليربوع الذى يحفره ولا ينفذه ولكنه يرققه حتى اذا أحس بصيده مرق منه والقاصعاء : أوّل جحره الذى يحفره ، وكان الأحق أن يقول الشاعر : من القاصعاء الى النافقاء .

(٢) الصهيل : صوت الخيل ، والرغاء : صوت الإبل . (٣) الإضاء : الغدران واحدها : أضاة .

(٤) الغاديات : السحب التى تنشأ غدوة .

ويهتزّ عند هبوب السؤال آهـ ... ـتزازَ الأراكةِ بالجِـــربيـاءِ (١)

فتُضــحِى مكارِمُه كالمطىّ ... ونغـــمةُ سائـله كالحُــداءِ

خلائقُ من منــدلٍ مُثِّلتْ ... وزِيدَ عليهـا بخَــورُ الثَّنـاءِ

يكاد المــدامُ وصــفوُ الغـما ... مِ يُعصَر من طِيبها والصـفاءِ

كأنّ الحُـــبَى يومَ تَعقادِهــا ... عليه، على "يذبُلٍ" أو "حِراءِ" (٢)

يلاقى الخطوبَ اذا مارســتْه ... ببــاعٍ رحيبٍ وصــدرٍ فضاءِ

وعزمٍ كما صــفَّقت بالجَنـا ... ح شَغواءُ (٣) مصبوبةٌ فى الهـواءِ

تراه فتنظـــرُ عزما وحزما ... وحلما قـــد آئتلفتْ فى وِعاءِ

وما أسرَ الطَّرفَ مثـلُ آمرئٍ ... يبـارزُ لامِحَـــه بالبهـاءِ

عليــه شواهدُ منه آعتــدتْ ... عن الشــاهدِين له فى غَنـاءِ

وفى رونق الســيف للناظرين ... دليـلٌ على حــدّه والمَضـاءِ

وقد يُعرفُ العِتقُ قبـلَ الفرار (٤) ... ويُحكَم بالسَّبق قبـــلَ الجِراءِ

وما رغبــة الركب يهديهـــمُ ... ضـياؤك فى رايةٍ أو لـــواءِ

لك الخـيرُ من قائـــلٍ فاعلٍ ... بنَى بالمكارِمِ أعـــلَى بِنـاءِ

نذرتَ اذا نلتَ هـامَ الأمو ... ر أن لا تُوشَّح بالكِبرياءِ

---

(١) الجربياء: ريح الشمال الباردة. (٢) يذبل وحراء: جبلان. (٣) الشغواء: العقاب.

(٤) الفرار: — مثلثة — الكشف عن أسنان الدابة ليعرف كم سنها، وفى الأمثال «إن الجواد عينه فراره» يعنى تعرف الجودة فى عينه كما تعرف سن الدابة اذا فرت أسنانها.

فلو رِزقُ نفسِك أمسى اليك ... لمـا زدتَهـا فوق هذا السَّـناءِ

فـفى كلّ شىء وجدنا مِراءً ... ولم نر فيـك لهـــم من مِراءِ

لذلك حنّت قَــلوصى (١) إليـ ... ـك حتّى أناخت بهـذا الفِناءِ

ولولاك كانت كأُرجوحــةٍ ... تَقلقَـلُ بين الضّحَى والمَساءِ

إذا زمّهـا نجــمُ ذا بالشُّعا ... ع تخطّمها شمسُ ذا بالهَبـاءِ

وكم لى "ببغــداد" من كاشحٍ ... يسائل فى ربعكم : ما ثَوائى؟ !

فقلت : مقيمٌ يجيبُ المــنَى ... ويجمــع بين الغِـنى والغَنـاءِ

لدى ماجدٍ دلوُه فى الســما ... ح تتبعُهـا يدُه فى الرِّشـاءِ (٢)

إذا خاضت النِّقسَ (٣) أقـلامهُ ... كَفَيْن الذوابلَ (٤) خوضَ الدّماءِ

دعا الرؤسـاءُ زعــيمًا بــه ... فكان لشــدّتهم والرَّخاءِ

وبعـدَ التجارب قد أحمَـدوا ... سجاياه، والحمــدُ بعـد البلاءِ

سـقَى اللهُ دارَك ماءَ النعــيم ... وطـــرَّزها برياض البهـاءِ

ودارت عليك كئوسُ السرو ... ر يَغـرِفنَ من مُترَعاتٍ مِلاءِ

وهُنئتَ بالعيـدِ والمِهرجانِ، ... وســعدُهمـا سائقٌ بالهناءِ

وجَدناهمـا فعــلا ما تحبُّ ... وما تبتــغى بخُلوصِ الدّعاءِ

---

(١) القلوص : الشابة من الإبل . (٢) الرشاء : حبل الدلو . (٣) النقس : ا لمبر
(٤) الذوابل : الرماح .

* * *

وقال وقد سأله بعضُ رؤساء العصرِ نظمَ قصيدةٍ تتضمّن مدحَ نظامِ المُلك أبي عليّ الحسن بن إسحاق، وأغراضا له :

ليتَ الهوى يصرِفه الراقِ إما بحَيْنٍ (١) أو بإفراقِ (٢)
رشفُ الثنايا والتزامُ الطُّلَى (٣) — إن أمكنا — أخلاطُ درياقِ (٤)
يا قارعا بالعذلِ سمعى ومِن ورائه قلبٌ بأغلاقِ
من أوجب التوبةَ من خمرةٍ يعصِرها من لحظِه الساقى؟
كم "بالكثيبِ الفَرْدِ" من نابِلٍ (٥) أسهمهُ ليست بأفواقِ (٦)
وقامةٍ تحسبُها غصنَها الـ ـورقاءُ لو كانت بأوراقِ
وظبيةٍ تنطحُ قنّاصها من فاحمٍ جعدٍ (٧) بأرواقِ (٨)
من كُنْسِها (٩) صدرى ومن روضها قلبى ومن غُدرانها ماقى (١٠)
مأسورةٍ بالصون فى خِدرها تحكُمُ فى أسرٍ وإطلاقِ
منّاعةٍ بالحسن أجفانَنا أن يتقاربن لإطراقِ

---

(١) الحين : الهلاك والموت . (٢) الإفراق : الإفاقة من المرض . (٣) الطلى : الأعناق، واحدها : طلية . (٤) الدرياق : الدواء . (٥) النابل : الرامى بالنبل . (٦) أفواق : جمع فوق وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . (٧) الفاحم الجعد : الشعر الأسود المتقبض الملتوى . (٨) أرواق : جمع روق وهو القرن . (٩) كنس : جمع كناس وهو بيت الظبية . (١٠) الماق : طرف العين مما يلى الأنف .

كأنما الأعين إذ أُبرزت ... من خِدرها ليست بأطباقِ

أغفلتُ ماحازتْه من مهجتى ... مخافةً أن تذكُرَ الباقى

وليلةٍ بالهجرِ مُدّتْ فما ... يُفنِى مداها سعىُ مشتاقِ

كان شرابى وقيانى(١) بها ... دمعى ووُرقا ذات أطواقِ

حتّى محا الصبحُ سوادَ الدُّجى ... كِلمّةٍ(٢) فى يدِ حلّاقِ

قلتُ وأطرافُ القنا شُخَّصٌ ... ترمقنى عن زُرقِ أحداقِ :

لا أطلبُ الهدنةَ فيها ولو ... قامت بها الحربُ على ساقِ

ومن "نِظام المُلك" لى جُنّةٌ(٣) ... حصينةٌ ما مثلُها واقِ

نِعم الحِمَى إن عَرضَت خُطّةٌ(٤) ... قد لفَّها الليلُ بسواقِ

يعتصم الخائفُ من أمنهِ ... فى قُلّتَىْ(٥) عهدٍ وميثاقِ

لا يهجُم السخطُ على حِلمِهِ ... إن عثرَ الأخمَصُ(٦) بالساقِ

ولا يهُزُّ الكِبرُ أعطافَهُ ... وهو على طَودِ العلا راقِ

فى لفظه والخطِّ مندوحةٌ ... عن صارم الحدّين ذَلّاقِ(٧)

مثلُ سلاحِ الليث مستودَعٌ ... فى الكفّ أو ما بين أشداقِ

---

(١) قيان : جمع قينة وهى المغنية . (٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
(٣) الجنة : كل ما وقى من السلاح . (٤) الخطة : الأمر المشكل العظيم الذى لا يهتدى له .
(٥) القلة : أعلى الجبل . (٦) الأخمص : باطن القدم . (٧) الذلاق : الماضى .

أبلجُ فضَّاحٌ سنا نورِه لسُنَّة(١) البدر بإشراقِ
ذو بهجةٍ غراءَ ميمونةٍ زيَّنها ديباجُ أخلاقِ
يَحُلُّ ما يبديه من بِشره عَقْدَ لسان الهائب اللاقى
أبوابهُ للوفد مفتوحةٌ كأنها أجفانُ عُشّاقِ
تستغلق الرهنَ أفاويقُه(٢) إن جُعِلَ القَمْرُ(٣) لسبَّاقِ
مسافةُ العلياء إن أُقصيتْ فهو بها "عَمْرُو بن برّاقِ"(٤)
والعيس عيسٌ(٥) فاذا زرنه فإنها أسبابُ أرزاقِ
كم عنده للحمد والشكر من مواسمٍ قُمْنَ وأسواقِ
يأنفُ أن يُمطر شؤبوبُه إلا بأذهاب(٦) وأوراقِ
تهلُّ وَسْمِيَّه(٧) موعدٌ يُولِى بهامى الجودِ غَيداقِ(٨)
والسُّحبُ لا تعطيك معروفَها إلا بإرعادٍ وإبراقِ
ليس يخيبُ الظنُّ فيه ولا يعودُ راجيه بإخفاقِ
أضحت صروفُ الدهر مأسورةً "لحسن القَرْمِ(٩) ابن إسحاقِ"

---

(١) السنة : الوجه، وقيل : دائرته، وقيل : صورته، وقيل : الجبهة والجبينان. (٢) الأفاويق : السحاب يمطر ساعة بعد ساعة. (٣) القمر : الغلبة فى لعب القمار. (٤) عمرو بن براق. من العدائين المشهورين بالعدو والسبق. (٥) فى الأصل : « والعيش عيش » وهو تصحيف. (٦) أذهاب : جمع ذهب. وأوراق : جمع ورق وهى الفضة. (٧) الوسمى : أول المطر، ويليه الولى. (٨) الغيداق : الكثير المتدفق. (٩) القرم : السيد العظيم.

قد صــيَّر المــالَ على حبّــه طُعمــةَ إتلافٍ وإنفــاقِ

إذا صروفُ الدهرِ زعزعنه صــادفنَ قلبــا غيرَ خفّــاقِ

أوامرٌ تمــلؤها طــاعــةً أهــلُ أقالــيمِ وآفاقِ

مابين "جَيْحونَ" "فقاليقَلا" وبين إشــآم و إعراقِ

وعزمةٌ عنهــا صدورُ القنــا تهــتزُّ من خوفٍ وإشــفاقِ

تُضحي قسيُّ "التُّرك" من ثِقلها تئنُّ في نزعٍ(١) وإغراقِ(٢)

والسـيفُ ممّــا كلّفتْ حدَّه يكُنُّ في أغمــادِ أعنــاقِ

قــد حصّن الملكَ بآرائه في شــاهقِ الأقطــارِ مِزلاقِ

في كلّ يومٍ بأراضي العـــدا سَجْــلُ(٣) دمٍ بالطعن مُهراقِ(٤)

مثل "بني الأصفر"(٥) أودى بهم أروعُ يُردي كلَّ مرّاقِ

من تُلَّ(٦) منهــم فلذئبِ الفلا ومن نجــا فــرَّ بأرماقِ

بوقعــةٍ أُطعِمَ فيهــا الردى أرواحَ كُفّارٍ وفُسّــاقِ

كم من يدٍ بالقاعِ(٧) مبريّةٍ وهامةٍ بالشِّــعبِ(٨) أفــلاقِ(٩)

---

(١) النزع : جذب وتر القــوس . (٢) الإغراق : اســتيفاء حد القــوس .

(٣) السجل : الدلو . (٤) مهراق : مصبوب . (٥) بنو الأصفر : الروم .

(٦) تل : صرع . (٧) القاع : المطمئن من الأرض . (٨) الشعب : الطــريق في الجبــل ، أو هو ما انفرج بين الجبلين . (٩) أفلاق : جمــع فلق وهو الجزء من الشيء المشقوق .

ذاق مليكُ "الروم" من صابها (١) ما لم يكن قبلُ بذوّاقِ

إن لم تكن لاقيتَ أبطالَها كنتَ بإقبالك كاللاقى

والشمسُ لا يمنعها بُعْدُها من فعل إنماء وإحراقِ

أيا "قِوامَ الدّين" دعوى آمرئ لسانُه ليس بمذّاقِ (٢)

اللهَ فى غرسك لا تُذوه من بعد إثمارٍ وإيراقِ

بك آستقامت عُوجُ أفنانه (٣) ومدَّ فى النُّعمى بأعراقِ

وعبد قِنٍّ (٤) لك لم يلتمس من رقِّهِ (٥) راحةَ إعتاقِ

مذ سار عن رَبعكَ، أحشاؤه والقلبُ أُثفيّةُ (٦) أشواقِ

ما آعتاض من عزّك إلا كما يُعتاضُ عن سيفٍ بِمخراقِ (٧)

تلطّف الحسّادُ فى سِحرِهم حتى رأوا بالنأى إقلاقى

إن سرّهم فترى فمن بعده يسوءهم كرّى وإعناقى (٨)

ما كنتُ من قبلهمُ خائفا بينَ غرابٍ غيرِ نغّاقِ (٩)

---

(١) الصاب : نبات مر الطعم ، أو هو عصير شجر مر . (٢) المذاق : الكذاب .

(٣) الأفنان : الأغصان ، واحدها فنن . (٤) القن : الخالص العبودة ، وهو الذى ملك هو وأبوه ، أو هو الذى ولد عندك ولا تستطيع إخراجه عنك ، و يقال : عبد قن — بالنعت — ، وعبدقن — بالإضافة — . (٥) فى الأصل : «رقة» وهو تصحيف . (٦) الأثفية : أحد الثلاثة الأحجار التى توضع عليها القدر، وفى الأصل هكذا : « أثمة » . (٧) المخراق : منديل يلف و يضرب به . (٨) الإعناق : السير السريع الفسيح . (٩) النغاق : النعاب الصائح ؛ مثل النعاق — بالمهملة — .

مَن فيهــمُ يبلغُ شأوى ومَن ‏ يحمِـل إن حُمِّـلَ أوساقى؟ (١)

أشـعتُ إحسـانك لى أوّلا ‏ فاجعل بثانى الطَّولِ تَصداقى (٢)

حاشـا أياديك وما خَوّلتْ ‏ أن أكتسى أثوابَ إملاقِ

* * *

وقال يمدحُ أبا القاسم بن رضوان :

تفيض نفـوسٌ بأوصابهـا ‏ وتكتم عوّادُها ما بِهـا

وما أنصفتْ مهجةٌ تشتكِى ‏ هواها إلى غـير أحبابهـا

ألا أرِنى لوعــةً فى الحشا ‏ وليس الهوى بعضَ أسبابها

ومن شرفِ الحبِّ أن الرجا ‏ لَ تشرى أذاه بألبابها

وفى السِّرب مُثْرِيةٌ بالجمالِ ‏ تُقسِّــمه بين أترابهـا (٣)

فللبــدر ما فوق أزرارهـا ‏ وللغصن ما تحت جِلبابهـا

كأنّى ذَعرتُ بهـا فى الخبا (٤) ‏ ءِ وحشيّةً (٥) عنــد مِحرابهـا

أتبّعـها نظـرا معجَلا ‏ يعــثِّر عيـنى بهُدّابهـا (٦)

متى شاء يقطِف وردَ الخدود ‏ وقتـهُ الأكفُّ بعُنّابهـا

---

(١) فى الأصل « أرناق » وهو تحريف . ‏ (٢) فى الأصــل هكذا "بناى" .

(٣) أتراب : جمع ترب وهو من ولد معك فى سنك . ‏ (٤) الخباء : بيت يتخذ من صوف أو وبر . ‏ (٥) الوحشية : الظبية . ‏ (٦) الهداب : الخيوط التى تبق فى طرف الثوب من عرضه دون حاشيته ، أو هو طرف الثوب مما يلى طرته .

كفانىَ من وصــلها ذكرةٌ ... تمــرُّ على بَرْد أنيابهــا

وأن نتلالا بروقُ "الحمى" ... وإن أضرمتنى بإلهابها

وكم ناحلٍ بين تلك الخيــا ... م تحسَــبه بعضَ أطنابهــا[١]

فمن مخبرٌ حاســدى أننى ... وهبتُ الأمانى لطُلّابهــا؟

فإن عرَضتْ نفسَها لم تجد ... فؤادىَ من بعض خُطّابهــا

يسُــرُّ الغطارفةَ الأكرميـ ... ـن قَرعُ مديحى لأبوابهــا

فهاهى من قبل رفع الحجاب ... يضاحكنى بشــرُ حُجّابهــا

أُنزِّه قَعْبِىَ[٢] عن خَلِّهــا ... وآنَفُ من مخضِ أوطابهــا[٣]

وأعلم أنــ ثيــابَ العفا ... ف أجمــلُ زِىٍّ لمُجتابهــا[٤]

عدلتُ السرابَ بأوراقهــا[٥] ... ولمــعَ البروق بأذهابهــا[٦]

ولو شـئتُ أرســلتُها غارةً ... تعــود الىَّ بأســلابها

ولكننى عائفٌ شهدَها ... فكيف أنافسُ فى صابهــا[٧]

تذِلُّ الرجالُ لأطماعهــا ... كذلِّ العبيــد لأربابهــا

فلا تقطِفنّ ثمــارَ المُــنى ... فبئسَ[٨] عُصــارةُ أعنابهــا

---

(١) أطناب : جمع طنب وهو حبل الخيمة . (٢) القعب : إناء يحلب فيه . (٣) أوطاب : جمع وطب وهو سقاء اللبن . (٤) المجتاب : اللابس . (٥) أوراق : جمع ورق وهو الفضة . (٦) أذهاب : جمع ذهب . (٧) الصاب : شجر مر ، أو هو عصير شجر مر . (٨) فى الأصل : « فيأس » وهو تحريف .

وعُجْ بالأجلّ "أبي قاسم" لتأتي المكارمَ من بابها
فنعــمَ الرياضُ لمرتادِها ونعــمَ الديارُ لمنتابها
وأوديةٌ من يرِدْ ماءَها يرَ السُّحبَ من بعض شُرَّابها
الى كعبة الجود من راحتيه تُشــدّ الرحالُ بأقتابها (١)
مناقبُ مثــلُ عِدادِ الرمالِ تكدُّ أنامــلَ حُسَّابها
وتُتعبُ ألسنَ دُرَّاسها وتُفني قراطيسَ (٢) كُتَّابها
تجاوزتَ حدّ صفاتِ البليغ فمادحُها مثــلُ مُغتابها
يــذُمُّ البضائعَ ما لم يُعِدّ من الشكر أوفرَ أكسابها
تظُنُّ بأفــواه مُدَّاحه عُقارا تدارُ بأكوابها (٣)
تُصافَحُ منه أكُفُّ الرجاء برطبِ الأنامل وَهَّابها
كأنَّ السؤالَ على رِفده قِـداحٌ تفــوز بأنصابها
إذا آشتكتِ الأرضُ داءَ المحو لِ داوَى رُباها بإخصابها (٤)
من العصبة المدركين العُـلا بأحسابها وبأنسابها
أجاروا على الدهر من صَرفِه وجاروا على الأُسْد في غابها
وساسوا ولاءَ قلوبِ الرجال بإرغابها ثم إرهابها

(١) أقتاب : جمع قتب وهو إكاف (برذعة) على قدر سنام البعير (٢) القرطاس : الصحيفة .
(٣) أكواب : جمع كوب وهو قدح لا عروة له . (٤) في الأصــل : « بإحصابها » وهو تصحيف .

كنوزُ محامِدها والثناءِ ... عليها ذخائرُ أعقابها

ولم تَلبس الرَّيْطَ (١) إلا رأيتَ ... محاسنَها نقشَ أثوابها

تعجَّبُ من حُسن بهجاتها ... الى أن ترى حسنَ آدابها

وإنَّ مكارمَ أخلاقها ... تقوم مقاماتِ ألقابها

تمــلُّ بأيّام هــذا الزمان ... تجــرُّ ذلاذلَ (٢) جِلبابها

مقامَ السواد لأبصارها ... ومثلَ النُّخاع لأصلابها

إذا أنت أفنيتَ أيّامَها ... توالت عليك بأحقابها

* * *

وقال يمدحه أيضا :

النجاءَ النجاءَ من أرضِ "نجدِ" ... قبلَ أن يعلَق الفؤادُ بوجدِ

إنّ ذاك الثرى لَيُنبتُ شوقا ... فى حشَا ميِّت اللُّبانات (٣) صَلدِ (٤)

كم خليٍّ غدا إليه وأمسَى ... وهو يَهذِى "بعَلوةٍ" أو "بهندِ"

وظباءٍ فيه تُلاقِى المُوالى ... والمُعادى من الجَمال بجُندِ

بشتيتٍ من المباسم يُغرى ... وسَقامٍ من المحاجر يُعدى

وبنانٍ لولا اللطافةُ ظُنَّتْ ... لجناياتها براثنَ (٥) أُسْدِ

---

(١) الريط : جمع ريطة وهى كل ملاءة ليست ذات لفقين . (٢) الذلاذل : جمع ذلذل وهو أسفل القميص الطويل . (٣) اللبانة : الحاجة والمأرب . (٤) الصلد : الصلب .

(٥) براثن : جمع برثن وهو من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان .

وحــديثٍ إذا سمعناه لم ندرِ بخمرٍ نضحتنــا أم بشهــدِ ؟
أنِفتْ من براقــع الخــزِّ والقــزِّ خدودٌ قــد برقعوهــا بوَرْدِ
وغَنُــوا عن خدورهم مذ تغطَّــوا عن محبّيهم ببعــدٍ وصــدِّ
أمُقــاما " بعــالجٍ "، والمطــايا عَرضَ "يبرينَ" بالظعائن (١) تخدى؟!
لا "الحمَى" بعــدكم مُناخٌ ولا ماءُ "اللوى" إذا هجــرتمــوه بورْدِ
والفــؤادُ الذى عهــدتم جموحا راضــه طولُ جَــوْركم والتعــدّى
ما تُريدون من دلائــلِ شــوقى غيرَ هــذا الذى أُجنُّ وأُبدِى
كبِدٌ كلّمــا وضعتُ عليهــا راحتى، قيلَ : أنت قادحُ زَندِ
وجفونٌ جرينَ مدًّا، وماءُ البحــر يرتاحُ بين جزرٍ ومدِّ
يا بنى "مُرَّةَ بن ذُهــلٍ" أبوكم ما أبوكــم وجدُّكــم أىّ جَدِّ
غُــرَرٌ فى وجوهِ "بكرٍ"، و"بكرٌ" شامةٌ عمّمت رءوسَ "مَعــدِّ"
من شبابٍ فى الحِلم مثلِ كُهولٍ وكُهــولٍ ترّاقــةٍ مثــلِ مُردِ
أنا منكم إذا انتهينا إلى العِرقِ التففنا التفافَ بانٍ برَندِ
نسبٌ ليس بيننا فيــه فــرقٌ غــير عيشى حضارةٍ وتبــدّى
لكم الرمحُ والسّــنانُ وعنــدى ما تحبّــون من بيانٍ ومجــدِ
خلّصــونى من قطيبــكم أو أنادى بالذى يُنقــذ الأسارَى ويفــدى

(١) الظعائن : الهوادج فيها النساء . وتخدى : تسرع .

"بأبى القاسم" الذى غرس الأفـ ـضال فى ربوتَىْ ثناءٍ وحمـدِ
كلما هبّ للسـؤال نسيمٌ فـوق أغصانه آنتـثرنَ برِفـدِ
فى يديه غمامتان لظـلٍّ ولقَطـرٍ من غير برقٍ ورعـدِ
أَذِنَ البشـرُ للعُفـاة عليـه حين ناداهم القُطـوبُ بِردِّ
وآصطفى المكرُماتِ حتى لقلنـا: أبِـرِقٍّ إنتـاجُها أم بعَقـدِ؟!
فَـرْقُ ما بينَــه وبين ســواه فَـرقُ ما بين لُجِّ بحرٍ وثَمْـدِ(١)
أىُّ عُشبٍ فى ذلك الأبطحِ السهـ ـلِ وماءٍ لمَـرتَـعٍ ولـوِردِ؟
لا تــراه إلّا على كاهل العــز مِ يسـوق العُـلا بجَـدٍّ وجِدِّ(٢)
كم عـدوٍّ أماتــه بوعيـدٍ وولىٍّ أحيـاه منـه بوعـدِ
لستَ تدرى أمن زخارف روضٍ صاغــه اللهُ أم لآلئِ عِقـدِ؟!
وبحسن الفعــال ينتسب القــو مُ إلى المجــد لا بقَبْــلٍ وبَعدِ
مُطلِعٌ، فى دُجى الخطوبِ إذا أظـ لمنَ، من رأيـه كواكبَ سَـعدِ
عــزماتٌ لا تسـتجيب لراقٍ وحــلومٌ لا تُسـتثار بحِقـدِ
ومَضاءٌ لو أنه كان للسـيـ ـف لما هوّمَتْ(٣) ظُبـاه بغِمـدِ
قــد رأينـا فيــه عجـائبَ منهـ ـنّ ثمـارٌ يُجنَيْنَ من عُودِ "هِنـدِ"

(١) الثمد : الماء القليل . (٢) الجد — بالفتح — : الحظ ؛ — وبالكسر — : الاجتهاد فى الأمر . (٣) هومت : نامت .

أســرَ الناس بالعوارف؛ والنُّعـ — ـمَى على الحرّ مثــلُ رِبقةِ[1] قِــدِّ[2]

ليس يَرضَى من الملابس إلّا — ما يُنيرُ الثناءُ[3] فيــه ويُســدِى

أبدا تســأل النواظرُ عنــه — أبشــكرٍ قد اكتسى أم بــبُردِ!!

احصِ ما شئتَ من حصًى وقُطارٍ — فمعاليــه ليس تُحصَى بعَــدِّ

وعيونُ الحسّادِ إن نظــرته — فبصُــورٍ[4] من المســاءة رُمْــدِ

يا أعاديه لو عُدِمتم "كياجو — جَ" وماكم من كيده خَلفَ ســدِّ

وســواء إذا جرى فى مَــداه — أبأخلاقــه جرى أم بجُــردِ[5]

قَصَــبٌ للســباق ليس يُصَلِّيـ[6] — ـها خوافى النســور إلا بكدِّ

زادك الله ما تشــاءُ مَزيدا — ســيلُه غيرُ واقفٍ عنــد حدِّ

فى ربيعٍ نظيرِ جنّاتِ "عَدنٍ" — وديارٍ جميعُها دارُ خُــلدِ

إن أغِبْ عنك فاللسانُ بشــكرى — غــيرُ ناءٍ ولا الفــؤادُ بمجــدِى

وهما الأصغران لولاهمــا كا — ن البرايا أمثــالَ صُحْــرٍ[7] ورُبْدِ[8]

أُخبُرِ النــاسَ تَقلِهُم[9] أو تصِلْهــم — هــل يحاز الدينــار إلا بنقــدِ؟!

---

(١) الربقة : العروة . (٢) القد : قيد يقد من جلد يشدّ به الأسير . (٣) أنار الثوب : جعل له نيرا ، وهو ما اجتمع من خيوطه ، وأســداه : جعل له سدى وهو ما مد من خيوطه .

(٤) الصــور : المائلة . (٥) الجرد : الخيل قصيرة الشعر ، واحدها : أجرد وجرداء .

(٦) يصليها : تأتى ثانية لها . (٧) الصحر : ما اغبر لونها فى حمرة ، واحدها أصحر وصحراء . يقال : حمار أصحر وأتان صحراء . (٨) الربد : ما اســود لونها مع تنقيطه بحمرة ، واحدها أربد وربداء . (٩) تقلهم : تبغضهم وتجفوهم من : قلا يقلو وقلى يقلى ، وهو من حديث أبى الدرداء : "وجدت الناس أخبر تقله" أى جرب الناس تبغضهم ، والهاء فى "تقله" للسكت .

*
* *

وقال يرثى أبا منصور بن يوسف ، ويعزّى عنه أبا القاسم بن رضوان صهرَهُ :

لا قَبِلنا فى ذا المصابِ عــزاءَ   أحسنَ الدهرُ بعـدَها أو أساءَ

إن نهينا فيــه عن الدمــع مَأقا (١)   أو خفَضنا النحيبَ كان رياءَ

حسراتٍ يا نفسِ تفتُـك بالصبـ   ـر وحزناً يقلقــلُ الأحشـاءَ

ووجيباً (٢) ملءَ الضـلوع إذا فا   ض إلى المقلتين صار بكاءَ

فزفـيرا بين الجـوانح يفتضُّ متى شـاء عَــبرةً عــذراءَ

وحنينـا يشــوقُ فاقــدةَ النِّيـ (٣)   ـبِ فتنسى صريفَها (٤) والرُّغاءَ (٥)

ومُناخا من لوعـةٍ وآكتئاب   يستجيبُ الحمامــةَ الــوَرقاءَ

ودموعا يخجَلن من شَـبَه المـا   ءِ فيُصبَغنَ بالحياءِ دماءَ

من عيونٍ قد كنَّ قبلُ عيونا   ثم صارت بفقــده أنــواءَ (٦)

ملقياتِ العُــوّار (٧) فيهنّ سَجْــلا (٨)   جاعلاتِ القــذَى لهنّ رِشـاءَ (٩)

وإذا ما الأُسَى (١٠) أشرنَ على القلـ   ـبِ بيأسٍ فآستفهموا البُرَحاءَ (١١)

يَفقِد الناسُ ــ قدعلمنا ــ عظيما   وخطيرا منهــم وليسوا سَــواءَ

---

(١) المأق : طرف العين مما يلى الأنف . (٢) الوجيب : خفقان القلب . (٣) نيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٤) الصريف : صرير ناب البعير . (٥) الرغاء : صوت ذوات الخف . (٦) الأنواء : الأمطار . (٧) العوار : ما ينزع من لحم العين بعد ما يذر عليه الذرور . (٨) السجل : الدلو . (٩) الرشاء : حبل الدلو . (١٠) الأسى : جمع أسوة وهى القدوة . (١١) البرحاء : شدة الحزن .

كيف تسلو من فارقَ المجدَ والسّو   دَدَ والحزمَ والنــدَى والعَــلاءَ

والسجايا الذى إذا ٱفتخر الــدُّ   رُ ٱدّعاها مَلاســةً وصــفاءَ

والمحيَّـا الذى له تشـخص الأبـ   ـصارُ حُسنا وبهـجةً وضِيـاءَ

والأيادِى البيضَ المصافِحةَ الإعـ   ـدامِ حـتّى تُحيـلَه إثــراءَ

والمعـالى المحلّقـاتِ مع النّسـ   ـرَيْن(١) يُشرقنَ بكرةً ومَساءَ

ووقارا لــو أنه أُدّبَ الهُــو   جَ(٢) من العـاصفاتِ عُدنَ رُخاءَ(٣)

خَرِســتْ ألسنُ النُّعـاةِ(٤) ووَدّت   كل أُذْنٍ لو غـودرت صمّاءَ

جهِلوا أنهـم نعَوا مُهـجةَ المجـ   ـدِ المصفَّى والعــزّةَ القَعساءَ(٥)

حين قالوا ــ وليتَهم كتَموا الحا   دث عنّا أو جمجموا الأنباءَ ــ :

ظعنتْ "بٱبن يوسُف" قُلُص(٦) الأ   يّام تطـوِى الإدلاجَ(٧) والإســراءَ(٨)

ليس تَلوِى على مُنـاخٍ ولا تطـ   ـلُبُ وِردا ولا تطيـعُ حُداءَ

بعد ما كنّ كالعبيدِ من الطـا   عــةِ والسـمعِ، والليـالى إماءَ

زينــةُ الدّين عُرّىَ الدينُ منها   وحُــلِىُّ الدنيا جفـا الأعضاءَ

لو أرادت عِرسُ المكارم بعـلا   عدِمتْ بعــدَ فقـدِه الأكفاءَ

---

(١) النسران: كوكبان، يقال لأحدهما: النسر الطائر، وللآخر: النسر الواقع. (٢) الهوج: الرياح التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت، واحدها: هوجاء. (٣) الرخاء: الريح اللينة. (٤) فى الأصل "البغاة" وهو تصحيف. (٥) القعساء: الثابتة الممتنعة. (٦) قلص: جمع قلوص وهى الفتية من الإبل. (٧) الإدلاج: السير آخر الليل. (٨) الإسراء: السير أول الليل.

من إذا ما الحقوق لله نادت قاضيا راعيا أجاب النداءَ

وإذا ما إليه مُدَّتْ يدُ البـرِّ أهان البيضاءَ والصفراءَ (١)

من تردَّى بهيبةٍ رأت التصـريحَ عَجزا فأومأت إيماءَ

يُوقِد القومُ نارهم فى جدالٍ فاذا قال أخمدوا الضوضاءَ

من يكن أيتمَ الذرارِى اذا ما ت فهذا قد أيتمَ الفقراءَ

ما درى حاملوه أنهُمُ عنـهمْ أزالوا الأظلالَ والأفياءَ

أدرَجوا فى الرِّداء نَصلا (٢) ولفُّوا فى السَّحوليِّ (٣) صَعدةً صمّاءَ (٤)

يُودِعون الثرى – كما حَكَمَ الـله – بكُرهٍ غمامةً غرّاءَ

ولو آن الخيارَ أضحى إليهم ما أحلُّوا الغمامَ إلا السماءَ

يا لها من مصيبةٍ عمّت العالَمَ طرّا وخصّت العظماءَ

ما علمنا الضّرّاءَ أحيت فعاشت فى الورى أم أماتت السرّاءَ؟

غيرَ أنّا نرى لها كلَّ نفسٍ لهفاتٍ تَنفّسُ الصُّعَداءَ (٥)

ما رأينا يوما كيوم تولَّيـتَ يؤمُّ الأمواتَ والأحياءَ

يَتبَعُ الناسُ ذلك النورَ أرسالا (٦) كما يتبعُ الخميسُ (٧) اللّواءَ

---

(١) البيضاء والصفراء : الفضة والذهب . (٢) النصل : السيف . (٣) سحول : موضع باليمن تنسج فيه الثياب ، يقال : ثياب سحولية بالفتح والضم ـ والفتح أشهر ـ . (٤) الصعدة الصماء : قناة الرمح المستوية الصلبة . (٥) الصعداء : تنفس طويل من هم أو تعب . (٦) الأرسال : الجماعات واحدها : رسل — بكسر الراء — . (٧) الخميس : الجيش — لأنه خمس فرق — .

أرجلٌ فى الصّعيد تنتعلُ التُّر ... بَ وهامٌ(١) تعمَّمُ الحصباءَ(٢)

فتظنَّى(٣) الحمامُ أنَّك أزجيـ ... ـتَ إليه كتيبةً(٤) شهباءَ

أو مشتْ نحوه القبائلُ يطلُبْـ ... ـن إليه بأن يكنَّ الفِداءَ

أنت من معشرٍ أبَى طيّبُ الذِّكـ ... ـرِ عليهم أن يُشمتوا الأعداءَ

فهمُ كالأنام يبلُون أجسا ... مًا ولكن يخلِّدون ثناءَ

لم يُطيقوا أن يدفعوا نوبَ الأيّـامِ عنهم فسيَّروا الأسماءَ

عُقلتْ فوق تُربك السحبُ إما ... ماخضًا(٥) بالقُطارِ أو عُشَرَاءَ(٦)

تارةً بالضَّريبِ(٧) ترغو وطورًا ... بزُلالٍ يفجّرُ الأطْبَاءَ(٨)

فاغراتِ الأفواهِ تحسَبها طا ... لَ سُراها فأكثرتْ ثُؤَباءَ(٩)

فهى تَسقِ ثراك قَطرا ومن زا ... رك يَسقِ ترحُّما ودُعاءَ

كلُّنا للرّدى ولم تُخلَق الأغـ ... ـلالُ إلّا ما بيننا سفراءَ

وإذا كانت الحياةُ هى الدا ... ءَ المعنِّىَ فقد عدِمنا الشفاءَ

إنما هذه الأمانىُّ فى النّفـ ... ـس سرابٌ لا ينقعُ الأظماءَ

---

(١) هام : جمع هامة وهى الرأس . (٢) الحصباء : الحصى . (٣) تظنى بمعنى ظن .
(٤) الكتيبة : الفرقة من الجيش ، ويقال : كتيبة شهباء لبياض سيوفها وكثرة سلاحها .
(٥) الماخض : — بغير هاء — هى التى دنا ولادها . (٦) العشراء : التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية . (٧) الضريب . اللبن يحلب من عدة لقاح فى إناء . (٨) أطباء : جمع طبي — بكسر وسكون — حلمة الضرع . (٩) الثوباء : التثاوب .

وأُسودُ الأيامِ لا ترتضى الأجـ ... ـسامَ قوتاً وتأكلُ الحَوْباءَ (١)

كم بُزاةٍ شُهْبٍ تَحصَّنُ بالجو ... فتهوِى إلى الثرى أصداءَ (٢)

غيرت هذه الليالى فلو يُسـ ... ـئلن أنكرن ما دها "الأذواءَ" (٣)

نحن فى عَتبها الذى ليس يُجدى ... مثلُ من حكَّ جِلدةً جَرباءَ

كلَّما كُرِّر الملامُ عليها ... فى الإساءات زادها إغراءَ

جَلَدًا أيها الأجلُّ أبو "القا ... سم"، والعَوْدُ يحمِل الأعباءَ (٤)

أبدا أنت فى النوائب لبّا ... سٌ من الصبر نَثرةً حَصداءَ (٥)

خُلُقٌ فيك أن تُنجِّى من الكر ... ب نفوسا وتكشِفَ الغمّاءَ

ما كرهتَ الأقدارَ قطُّ ولو جا ... عت ببؤسَى ولا ذممتَ القضاءَ

ولك العزّة التى دونها السيـ ... ـف نفاذا وجُرأةً ومضاءَ (٦)

وفَعالٌ اذا وزنّاه بالوعـ ... ـدِ اذا قلتَ لم نجد إقواءَ (٧) (٨)

أحرُسِ الأقربين يحرسُك اللّـ ... ـهُ وراعِ الأهلينَ والأبناءَ

فالجيادُ العِتاقُ لا تَبلغُ الغا ... يةَ حتّى تستصحبَ الأفلاءَ (٩)

---

(١) الحوباء : النفس .
(٢) أصداء : جمع صدى وهو الجسد بعد الموت .
(٣) الأذواء : ملوك اليمن — لإضافة "ذو" فى الغالب الى أسمائهم وهى تلزم الإعراب ؛ يقال : مرذويزن ، ورأيت ذايزن ، وسيف بن ذى يزن .
(٤) العود : الجمل المسن .
(٥) النثرة الحصداء : الدرع المحكمة السرد .
(٦) فى الأصل « نفادا » وهو تصحيف .
(٧) الفعال : الكرم .
(٨) الإقواء : الاختلاف ، وأصله — فى الشعر — اختلاف حركة الروى .
(٩) أفلاء : جمع فلو وهو المهر اذا فطم أو بلغ السنة .

وظباءُ الفــلاةِ إن راعهــا القــا نصُ زفّت فآســـتدنت الأطلاءَ (١)

وجــــديرٌ بمن شرى عُنُقَ المجـ ـد فأعــلَى أن يُحــوزَ العليــاءَ

* * *

وقال يرثى أبا نصر بن حميلة صاحب الديوان :

كلّ يومٍ خِلٌّ يُرحّــلُ عنّــا وديارٌ معطّــلاتٌ ومغْـــنَى (٢)

وحبيبٌ فريســـةٌ للنــايا نجتـــويهِ كأنه ليس منّــا (٣)

أَعلَمتْنــا مَصـــيرَنا حادثاتٌ لو عملنا يوما بمــا قد علِمنــا

هـــذه الأرضُ أمُّنــا وأبونا حملَتْنا بالكُرهِ ظَهرا وبطنا

إنمــا المرءُ فوقها هو لفـــظٌ فاذا صار تحتهــا فهْـــو معنى

لو رجَعنا إلى اليقــين علِمنــا أنّنــا فى الدُّنا نُشَـــيِّدُ سجنا (٤)

إنمــا العيشُ مــنزلٌ فيــه بابَا ن ، دخَلنا من ذا ومن ذا خرَجنا

مثلمــا تسرَحُ السَّوامُ الى المر عَى وتُثْنَى عنــه غَدونا ورُحنا

وضروبُ الأطيار لو طِرنَ ماطِر نَ فلا بدَّ أن يراجِعنَ وَكْنا (٥)

يحسَبُ الهِمُّ عمــرَه كلَّ حولٍ (٦) فاذا آستكثر الحساب تمنَّى

---

(١) زفت : أسرعت فى عدوها ، وفى الأصل «رقت» وهو تصحيف ؛ والأطلاء : جمع طلى وهو ولد الظبية . (٢) المغنى : المنزل . (٣) نجتويه : نجفوه . (٤) الدنا : جمع الدنيا وهى واحدة فاذا جمعت فباعتبار أقسامها . (٥) الوكن : العش — كالوكر — .

(٦) الهم : الشيخ الفانى .

كلُّ شيء يُحصيه عدٌّ ولو كا ... ن كثيبا من رملِ "يبرينَ"(١) يفنى

والليالى لنا مطايا إذا خبـ ... ـبت بنا نحو غايةٍ بلّغتنا

مبتدانا ومنتهانا سَواءٌ ... فلماذا من الأخير عجِبنا

فوُجِدنا من بعد ما قد عُدِمنا ... وعُدمنا من بعدِ ما قد وُجدنا

والأريبُ اللبيبُ من وعظتْه ... ألسنٌ فى مواضع الموتِ لُكنا(٢)

قد رأينا وقد سمعنا لو آنّ النـ ... ـنفسَ ترضَى عينا وتأمن أُذنا

وكأنّا لغير ذاك خُلقنا ... أو سوانا بغير ذلك يُعنَى

كلّما حُقّق الشفاءُ لفنٍّ ... من سَقام الأيام أحدثنَ فنّا

ليس ندرِى متى نُقاد لعقرٍ ... فيما تعرِفُ الحُشاشاتُ أمْنا

كلّنا نجعلُ الظنونَ يقينا ... ويقينُ الأمور يُجعَلُ ظنّا

خُدَعاتٌ من الزمان إذا أبـ ... ـكين عينا منهنّ أضحكن سنّا

كلُّ يومٍ تأتى به يومُ نحرٍ ... و"مِنًى" حيثُ شاء سهلا وحَزنا(٣)

ليس يُغنى عن النفوس فداءٌ ... فضَياعٌ نَعُقُّ(٤) عنهن بُدْنا(٥)

والمليكُ الهمامُ بالجحفلِ المجْـ(٦) ... ـر لسمعِ الردَى يُقعقِع شَنّا(٧)

---

(١) يبرين : موضع مشهور بكثرة رماله . (٢) لكن : جمع ألكن وهو العى الذى ثقل لسانه .

(٣) الحزن : الوعر من الأرض — وهو ضد السهل — . (٤) نعق : نذبح عنها فداء لها .

(٥) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدم للنحر . (٦) الجحفل المجر : الجيش العظيم بكثرته .

(٧) الشن : القربة البالية .

لو درتْ هــذه الحمـائمُ ما نَد … رى لمـا رجّعتْ على الغصن لحنا

طايح الأسهم الصوائبِ لم يخـ … ـلقْ لأهــدافهنّ مَجْــناً مِجَنّا[1]

تتــوارى بالسـابرىّ[2] ونخشى … من وراء الضلوع ضربا وطعنا

غشِيَ الدهرُ أهــلَه بجنـودٍ … أسَرتْهُ وليس يعــرِفُ منّا

بين بُلْقٍ[3] منـه يُغِير بهـا الصبـ … ـحُ وأخرى دُهْمٍ[4] توافيك وهْنا

هو إما روحُ الحياة وإلا … فحياةٌ تظــلُّ فيهـا مُعنّى

وكأنّ المنـونَ حادى ركاب … ردَ ظُعْنـا عنــه وقدّم ظُعْنا[5]

موردٌ غصَّ بالزحـام فــلولا … ســبقُ من جاء قبلَنا لوردْنا

وأرى الدهرَ مُفردا وهو فى حا … لِ يشُنّ الغاراتِ مثْنى وهنّـا

كصَفاةِ[6] المسيلِ لا ترهبُ الليـ … ـثَ ولا ترحم الغــزالَ الأغنّا

ما عليهِ لو أنه كان أبـقَى … من "أبى نصير" المهذبِ رُكنا!

والدا للصــغير برًّا وللـــترّ … بِ[7] أخًا مشفقا وللأكبر آبنا

غُصُنٌ إن ذوَى فقد كان منه … ثمـراتُ الخـلائق الغُــرِّ تُجْنَى

---

(١) المجن: كل ما وارى من سلاح. (٢) السابرى: الثوب الجيـد — منسوب الى سابور على غير القياس — وسابور بلدة مشهورة بعمل الثياب الجيدة. (٣) بلق: جمع أبلق وهو — من الخيل — : الذى فيه سواد و بياض. (٤) دهم: جمع أدهم وهو الأسود من الخيل. (٥) ظعن: جمع ظعينة وهى البعير يحتمل و يحمل عليه. (٦) الصفاة: الصخرة الصلبة. (٧) الترب: الذى يولد معك فى سنك.

إن أَملناهُ بالمقالِ تلوّى ... أو هززناه للفَعال[١] تثنّى

من ذيولِ السحاب أطهرُ ذيلا ... وقميص النسيم أطيبُ رُدْنا[٢]

ما مشتْ فى فؤاده قَدَم الغشِّ ولا أسكن الجوانح ضِغْنا

إن يكنْ للحياءِ ماءٌ فما كا ... ن له غيرُ ذلك الوجه مُزْنا[٣]

لهفَ نفسى على حسام صقيلٍ ... كيف أضحت له الجنادلُ[٤] جَفنا[٥]

وعتيقٍ أثار بالسَّبقِ نقعا[٦] ... فغدا فوقه يُهال ويُبْنَى

ونفيسٍ من الذخائر لم يؤ ... مَن عليه فاستُودِع الأرضَ خَزْنا

أودعوا منه فى الضرائح كافو ... را وِمسكا ومندَليًّا[٧] ولبْنا[٨]

أغمِض العينَ بعده، فغريبٌ ... أن ترى مثلَه وأين وأنّى

أىّ نور أطفأتَ يامُهريقَ ال[٩] ... ماء فوق الجسم المكلَّل حُسنا

ختمَ الضُّمَّر العِتاقَ وخلَّى ... فى الأَوارىّ[١٠] مُقرِفات[١١] وهُجْنا

عرفوا قدرَه كما تُعرفُ الشـ ... مسُ ومقدارُها اذا الليلُ جَنَّا

ما رأينا طودَ الخلافةِ إلّا ... ووجدناه عادمًا منه رَعْنا[١٢]

---

(١) الفعال : الكرم . (٢) الردن : الكم . (٣) المزن : السحاب . (٤) الجنادل : الحجارة . (٥) الجفن : غمد السيف . (٦) النقع : الغبار . (٧) المندلى : العود — منسوب الى مندل وهى بلدة فى الهند — . (٨) اللبن : الكندر وهو معروف باللبان . (٩) المهريق : الذى يصب الماء ويريقه . (١٠) الأوارى : جمع آرى وهو محبس الدابة، أو هو حبل تشد به الدابة فى محبسها . (١١) المقرف — من الخيل — ما كان أبوه غير عربى والهجين ما كانت أمه غير عربية . (١٢) الرعن : أنف يتقدم الجبل .

فالغصونُ للنباتُ تعـزى ... والحبـوبُ للمجـترات ثمّا

ما عجبا كيف أشترته الليـالى ... لى عجبا كيف أخذتها فيها

لبته حين كان ثبيا مع الغد ... ربّـه بغيضـه أجَّنـا

وأستبنت بمن أرادت فدية ... وأعتزلها وإن أحبت فرحـا

لو علمنا أنّ الضجيج يجدى ... لك بكينا دون النساء وحنّا

وأخضبنا دمَ المحاجرِ حمرةً ... إن أماتك يبكين قبية(١)

ونزحنا الدمـوع عبّا وويلا ... وألفنا الضلوع وجدا وحزنا

غير أن الدار التي أنت فيهـا ... منزلٌ من به أقام أبنّـا(٢)

لا خطا تربك السحابُ المصرى(٣) ... أو توخّى تروضـه وتسنّا

كلّما أوسعتْ خُطاه النُّعامى(٤) ... أثقلتـه أوساقُـه فأُعنّـا(٥)

حسبَ القَطرُ رعدَه نقرَ دُفٍّ ... فتعاطى على البسيطةِ زَفْنـا(٦)

وقليـلُ الجدوَى مقالىَ يا أطـ ... ـلالُ، حتى سُقيتِ رَبعًا ومَغنَى

وعزيزٌ علىّ أن صِرتَ فى نظـ ... ـم القوافى تُسمّى لندْبٍ وتُكنَى

---

(١) اليرنا : الحناء . — وفيها لغات يرجع اليها فى المعجمات — . (٢) أبن : أقام .

(٣) المصرى : الذى أجتمع ماؤه ، وأصله : ضرع الناقة لا يحلب حتى يجتمع اللبن فيه . (٤) النعامى : ريح الجنوب . (٥) أعن : حبس بالعنان . (٦) الزفن : الرقص .

* * *

وقال يعزّى أبا القاسم بن أيّوب عن زوجةِ أبيه أبى المعالى بن عبد الرحيم :

لا مِريةٌ فى الردَى ولا جدَلُ ... العمرُ دَيْنٌ قضاؤه الأجلُ

للمرء فى حتفِ أنفِه شُغُلٌ ... فما تريد السيوف والأسَلُ[1]؟

يَفرِى[2] الدجَى والضحى بأسلحةٍ ... سِيّانِ فيها الدروعُ والخُلَلُ[3]

فأنجمُ الليل كالأسنةِ والـ ... ـصّبحُ حسامٌ له الورى خِلَلُ

ياليت عمرَ الفتى يُمَدُّ له ... ما امتدَّ منه الرجاءُ والأملُ

مواردٌ هذه الحياةُ وما ... نصدُرُ عنها إلا بنا غُلَلُ

نكرَعُ فى حوضها ونحن كما ... تُذاد من بعد خمسها[4] الإبلُ

كأسٌ أدِرَّت على لذاذتها ... عُدِّل فيها الزُّعافُ[5] والعسلُ

كلٌّ إلى غايةٍ يصير ولا ... تمييزَ إلا الإسراعُ والمَهَلُ

والناسُ ركبٌ يهوون حتْمَهُمُ ... ولا يُسَرُّون أنهم نزلوا

وسوفَ تُطوَى مسافةٌ ذَمَلتْ[6] ... بقاطعيها ركائبٌ ذُلُلُ[7]

كيف يَعُدُّ الدنيا له وطنا ... من هو ينأى عنها وينتقلُ؟

---

(١) الأسل : الرماح . (٢) يفرى : يشق و يقطع . (٣) الخلل : جمع خلة وهى غمد السيف ، أو هي بطانة يغشى بها غمده . (٤) الخمس : من أظماء الإبل وهو ورودها الماء فى اليوم الرابع بعد رعيها ثلاثة أيام . (٥) الزعاف : السم القاتل . (٦) ذملت : سارت الذميل — وهو ضرب من السير — . (٧) الذلل : المنقادة .

نسخوا بأعمـارنا ونبخـل بالـ ... ـمال فتبَّ السخاءُ والبَخَــلُ

ونبتغي البرءَ عند من يُسرع الـ ... ـسُّقمُ اليــه وتَصرَع العِلــلُ

أضاع راقي الداءِ العضـالِ كما ... ضُيِّــع في سمــع عاشقٍ عذَلُ؟!

ولو نجـا الهائبُ الجبانُ من الـ ... ـحتف تحامَى إقدامَه البطلُ

ما أسلموا هذه النفوسَ إلى الـ ... أجداث إلا إذ ضاقت الحِيَلُ

ضرورةٌ ذلَّت القُـــرومُ[1] لهـا ... وقد تقودُ المَصاعبَ[2] الجُـدُلُ[3]

وخفَّف الخطبَ بعـد شدّته ... أنَّ كُلُّ حيّ لأمّه الهَبَـلُ[4]

ومن حِذارٍ تبـوّأ الكُدْيةَ[5] الـضـبُّ وأوفَى في الشاهقِ[6] الوَعِلُ[7]

لا الجوّ يُنجي الشغواءَ[8] حائمـةً ... ولا سبوحٌ في لُجّــةٍ يئــلُ[9]

يُقتـادُ في عزّه الخُبَعْثِنةُ[10] الـضـارِي ويُدهَى في ذلّه الجُعَـلُ[11]

والحافظو عَورةِ العشــيرةِ للـدّ ... هرِ إذا شنّ غارةً عُزُلُ[12]

أيّ ديارٍ تُحمَى وقــد راع "تا ... جَ الدّين" خطبٌ أنيابُه عُصُلُ[13]

---

(١) قروم : جمع قرم وهو الفحل العظيم من الإبل . (٢) مصاعب : جمع مصعب وهو الفحل لايركب لكرامته . (٣) جدل : جمع جديل وهو الزمام المجدول من أدم . (٤) الهبل : الثكل .

(٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب ليتخذها جحرا . (٦) الشاهق : الجبل العالى .

(٧) الوعل : تيس الجبل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل "الشعواء" وهو تصحيف .

(٩) يئل : ينجو . (١٠) الخبعثنة : الأسد . (١١) الجعل : ضرب من الخنافس . (١٢) عزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه ، وفى الأصل "عذل" وهو تحريف .

(١٣) عصل : عوج ، واحدها : أعصل .

مستلِبا من يديه لؤلؤةَ الـ ـغوّاصِ أدنَى أصدافِها الكِلَلُ (١)

ما كان يُدرَى من قبلِ ما غرَبتْ أنّ الثريّا إلى الثرى تصِــلُ

يا بُؤس للنـائبات كيفَ أرت أُخوّة الفرقــدينِ تنفصــلُ

و إن عجِبنا منها فــلا عجَبٌ للشمسِ وارَى جبينَها الطَّفَلُ (٢)

لم يرتد المجــدُ إذ أصيبَ بها ولا مشى العزُّ وهو منتعــلُ

سليــلَةٌ من ســوابق درَجوا أمامهَــا فآستخفَّها العجَــلُ

من الخــدورِ التى بها آحتجبوا إلى القبــور التى بها نزلــوا

تُحــرُ فى "مكّة" العِشارُ ولا (٣) تُحــرُ إلا عليهــم المُقَــلُ

مهلا فما يربح الحزينُ ولا يخسرُ إلا غنـاءَه الجَــذِلُ (٤)

وهل يرُدُّ الأحبابَ إن رحلوا على محبٍّ أن يُندَب الطَّلَلُ ؟

حُوشيتَ من جلسةِ العزاءِ وأن يُضربَ فى أســوةٍ لك المثلُ

كم قــد هوَى من سمائكم قمرٌ وغار فى الأرضِ منكمُ جبــلُ

فما سكبتم له ذَنوبا من الـ (٥) ـدمع ونارُ الأحزانِ تشتعلُ

ودّعتُموه كــأنكم شُمُتٌ أو العِــدَى عنكمُ قد آرتحلوا

إذا مَراثى أحبابكــم تُليتْ سمعتموها كــأنها غَزَلُ

(١) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٢) الطفل : حمرة الأفق قبل غروب الشمس .

(٣) العشار : الإبل التى مر على حملها عشرة أشهر ؛ واحدها عشراء . — مثـل نفساء ونفاس ولاثالث لها — . (٤) الجذل : المسرور . (٥) الذنوب : الدلو.

فليس ندرى من صخرةٍ نُحتتْ قلوبُكم أم دموعُكم وَشَلُ؟ (١)

وأنتمُ هَجْمَــةٌ تقــاربتِ الـ (٢) أســنانُ فيها فكلُّها بُزُلُ (٣)

فظاعنٌ (٤) عنكُمُ له خَلَفٌ وذاهبٌ منكُمُ له بدلُ

للدهرِ نُعمى ومنَّــةٌ ويدٌ ما قام فى النـاس منكُمُ رجلُ

وقال يمدح عفيفا القائمىّ :

لأىِّ مَرمًى تَزجُرُ الأيانِقـا (٥) إن جاوزتْ «نجدا» فلستَ عاشقا

وإنما كان بكائى حاديا ركبَ الغرام وزفيرى سائقا

مذ ظعَــنوا (٦) علمتُ أنى منهمُ أشـيمُ فى أعلى السحابِ بارقا

أيا غرابا قــد نعقتَ بهِــمُ فكن على آثـارهم بى ناعقـا

سـائلْ شمُوسـا ضربتْ حُولهـا من شُـقّة البين لهـا سُرادقا

لِمْ جَعَلتْ أعينَنـا مَغـاربا واتّخــذت خُدورَهـا مَشـارقا

وكيفَ لاتحرُسهـا خيـامُها وكل طَرفٍ قد أتاها سـارقا

قُلّدت الدرَّ فمـا شككتُ أن قــد نُظِمتْ ثغــورُهـا مَخانِقـا (٧)

واستهدت الخصــورُ من بَنانها خــواتمـا تلبَسهـا مَناطقـا

رميتم القلبَ وظـــنّى أنكم تُخطون إذ ترمون شيئـا خافقـا

(١) الوشل : الماء القليل فى مستنقع . (٢) الهجمة : القطيع من الإبل دون المائة .

(٣) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل . (٤) الظاعن : الراحل ، وفى الأصل «فطاعن» وهو تصحيف .

(٥) الأيانق : جمع ناقة . (٦) ظعنو : رحلوا . (٧) المخنقة : القلادة .

فلم يكن أوّلَ ظنٍّ كاذبٍ، — من يدفعُ الأمرَ أتى موافِقا؟!

جراحةُ الأنصلِ[1] إنْ سبرتها[2] — تشهدُ أن السهمَ كان مارقا

أحبِس دمعى فينِدُّ شاردا — كأننى أضبِطُ عبداً آبقا[3]

ومن مُحاشاةِ الرقيب خِلتَنى — يومَ الرحيل فى الهوى مُنافقا

كم لىَ فى الظلماء من وقائعٍ — أسرتُ فيهنَّ الخيالَ الطارقا

لما أتانى فى عجاجةِ[4] الدجَى — مارسَ منّى فارسا مُعانقا

ما آستوقفتنى الدارُ عن طِلابهم — وإن جلَتْ للعين مَرأى رائقا

إذا رأيتَ القَطرَ يُحيي عُشبَها — أبصرتَ مخلوقا بها وخالقا

يُنبِتُ فى هامِ الربى ذوائبا — يُضحى لها خدُّ المَصيفِ حالقا

فاشتملت تِلاعُها[5] رَفارفا[6] — وأتزرتْ أهضابُها نمارقا[7]

وغنّت الحمامُ فى عيدانِها — تُحسَبُ فى أفنانها «مُخارقا»[8]

وهبَّ نجدىُّ الصَّبا تحسَبهُ — فارةَ[9] مِسكٍ فى ثراها فاتِقا

فما رأيتُ الركبَ إلا لامسًا — أو ناظرا أو سامعا أو ناشقا

بُعدًا لدهرٍ إن قرَى أضيافَه — سقاهمُ ماءَ الأمانى ماذقا[10]

(١) الأنصل : جمع نصل وهو حديدة السهم . (٢) سبرتها : خبرت غورها .
(٣) الآبق : الهارب . (٤) العجاجة : الدخان والغبار ، — والمراد بها الظلمة — .
(٥) تلاع : جمع تلعة وهى ما آرتفع عن الأرض . (٦) الرفرف : ثياب خضر — وهى مجاز — .
(٧) نمارق : جمع نمرقة وهى وسادة يتكأ عليها . (٨) مخارق : مغن مشهور . (٩) فارة المسك : وعاء المسك — ويسمى النافجة أيضا — . (١٠) الماذق : المشوب المخلوط .

قد كسَد الفضلُ به فما تَرى — فى ســوقهِ للفضل عِلْقا(١) نافقــا

ومعجزٌ أنَّ لســانى ناطق — عند زمانٍ أخرَسَ الشَّقاشِقــا(٢)

أكثرُ من تَخــبُرُه من أهــلهِ — يَظهر فى دِينِ الوداد فاسقــا

غدرٌ يغطِّى الذئبُ منــه وجهَهُ — ويُخجِلُ الخِلَّ الودودَ الواثقا

مَعــاشرٌ قــد حَفــرَ اللؤمُ على — حريم أمــوالِهمُ خنَــادقا

سِيّان إن عُرِضتُ(٣) طِرْفا صاهلا — عليهمُ أو عُدتُ عَيرا(٤) ناهقــا

طلبتُ منهم بَيْعةً على [يدى](٥) — فلم أجدْ منهم لكفِّى صافقــا

إلا «جمالَ الدولةِ» المعطى الندى — على انتهــابِ رِفده مَــواثقــا

لو أمسكتْ بنــانُه معروفَه — لأصبحتْ من كفِّه طَوالقــا

من حَسَــدٍ ظَلَّ الغمامُ باكيا — بقَطــره وبالرعود شــاهقا

لقَّنــهُ الطبعُ الكريمُ صُحُفــا — من مذهب الجودِ فجــاء حاذقا

ماإن رأينــا قبلَه ولا نرى — من بعدِه وعدَ الأمانى صــادقا

إن تُلقح الآمالُ من ميعــادهِ — فعن قليــل ستراها فارقــا(٦)

مكارمٌ تُسكِنه فى جَنّــةٍ — قد غرَس الشكرُ بهــا حدائقا

---

(١) العلق : الشيء النفيس . (٢) الشقشقة : لهاة البعير . (٣) فى الأصل «أعرضت» . والطرف : الجواد . (٤) العير : الحمار . (٥) ليست فى الأصل ، ولعلها أقرب الى ما يتطلبه الصواب . (٦) الفارق : من الدواب التى أخذها المخاض فندت فى الأرض أو هى الناقة التى تفارق إلفها فتنتج وحدها .

من عاش كان ناطقا بحمده ... ومن توى[1] أودعه المهارقا[2]

إن قلتَ : ماأحسنَه شمائلا ... قلتَ : وما أكرمَه خلائقا

مُكرَّرٌ للمكرمات قائلا[3] ... بكأسها وصابحا[4] وغابقا[5]

لا يحسُن المديحُ عند غيره ... ولا تراه بسواه لائقا

جدّد فى سُبْل المعالى طُرُقا ... وزاد فى حدِّ الندى طرائقا

يوماه إما لِطرادٍ يَصطفِى الر ... جالَ والسلاحَ والسوابقا[6] ،

أو طَرَدٍ[7] جمّع من أداتِه[8] الـ ... ـفهودَ والكلابَ والسَّواذقا[9]

فتارةً يصرعهم فوارسا ... وتارةً يصيدها خَرانقا[10]

لو لم تكن تُطربُه الحربُ لَمَا ... كان لسربال العَجاج[11] خارقا

لولاه ماكان السّنانُ طاعنا ... يوم الوغى ولا الحسامُ فالقا

إذا الكماةُ لبسوا دروعَهم ... أقاحيا[12] أعادها شقائقا[13]

لو هزّ فى يمينه مخَاصرا[14] ... أرسلها ببأسه صواعقا

---

(١) توى : مات . (٢) المهارق : الصحف البيضاء يكتب فيها ، واحدها : مهرق — بضم فسكون ففتح — فارسى معرّب . (٣) القائل : الشارب فى نصف النهار أى فى قائلته . (٤) الصابح : الشارب صباحا . (٥) الغابق : الشارب عشية . (٦) السوابق : الخيل . (٧) الطرد : الصيد . (٨) فى الأصل «اذاية» وهو تصحيف . (٩) السوذق : الصقر ، وقيل : الشاهين . (١٠) الخرنق : — بكسر الخاء — الفتى من الأرانب . (١١) العجاج : غبار الحروب . (١٢) الأقحوان وجمعه أقاح : نبات أبيض . (١٣) الشقائق : نبات أحمر . (١٤) المخصرة : عصا صغيرة يأخذها الملك فى يده .

لا يقتنى إلا حساما جاهــلا ولا يُعِــدُّ الرمحَ إلا مائقــا (١)

إن شئتَ أن تعــلم ما فِعلاهمــا فاستخبر الضــلوعَ والمَفــارقا (٢)

ليس يبــالى بالأعادى بعــد ما يَعُــدُّ ذؤبانَ (٣) الفلا أصادقا (٤)

إن أعضــلَ الأمرُ فنــاطوهُ به كان المصــلِّى (٥) والنجاحُ السابقــا

لذا ارتقى عنــد الإمام ذِروةً وحلَّ من رأيِ المليــك شاهقــا

لاحطَّتِ الأيَّام عنــك رتبــةً ولا أراك الدهرَ إلا سابقــا

تدوم مادام الزمانُ آمرا أو ناهيــا وفاتقــا وراتقــا

* * *

وقال فى بعض الأغراض :

رأيت الحُبَّ ليس يُنــال إلا بحــظٍّ من جمــالٍ أو نوالِ

وأنت من القباحةِ ذو نصيب حقيــق بالتصارم والتقــالى (٦)

وما سترتْ عيوبَك عن عيونٍ بَصيراتٍ يداك ببــذلِ مالِ

فأيَّة خَــلَّةٍ غرَّتك حــتى خطبتَ بهــا مَودَّاتِ الرجالِ

---

(١) المــائق : الأحمق الغبى . (٢) مفارق : جمع مفرق — كمجلس ومقعد — وسط الرأس . (٣) ذؤبان : جمع ذئب . (٤) أصادق : جمع صديق . (٥) المصلى : الجواد الثانى فى الحلبة ، والأول : المجلى وهو السابق . (٦) التصارم : التقاطع ، والتقالى : البغض .

* * *

وقال فى مثله :

أثرَوْا فما عــلِم آمرؤٌ إثراءَهم فلو آملقوا لم يعــلم الإملاقُ

ســيَّانِ إثراءُ اللئــيم وعُدمُه إن الدراهمَ عَرفُها الإنفــاقُ

* * *

وقال فى الخمر :

وســلافةٍ بُزلت فأبرزَ دَنُّها (١) ذهبًا يُرصِّــعُ عَسجدا إبريزا (٢)

خَبرَ النَّــدامى فعلَهــا فإذا بِهِ كالمــال يرجعُ بالذليل عزيزا

فتناهبوها غــيرَ شكٍّ، إنهــم وجدوا بها مِلءَ الدِّنان كنوزا .

* * *

وقال فى الغزل :

بدا ضاحكا لا لأحظَى بما تُسَرُّ به النفسُ من بِشره

ولكن رأى وجهَه مقمرا فأبدَى كواكبَ من ثغره

* * *

وقال فى مثـــله :

أضــدَّانِ فى جســـدٍ واحدٍ مقيمان قد جعـــلاه قَـــرارا

دموعٌ من العينِ فيّاضــةٌ ووَقدٌ من القلب يَرمِى شَرارا

كأنّى من السُّـحُبِ الساريا ت يَحمِلنَ فيهنَّ ماءً ونارا

---

(١) الدن : إناء كبير توضع فيه الخمر كالراقود، وجمعه : دنان . (٢) العسجد الإبريز : الجوهر الخالص — كالدر والياقوت — .

وقال لبعض الرؤساء :

شُــدُّوا على ظهر الصِّبا رَحلى ... إن الشبابَ مطيَّـــةُ الجهلِ

إن أُحرِزتْ نفسى إلى أمدٍ ... دبَّرتُهــا فى الشَّيبِ بالعقــلِ

إن المغــرَّبَ فى مواطنــه ... من عاش فى الدنيــا بلا خِلِّ

وإذا الفــؤاد ثوى بلا وطرٍ ... فكأنه ربعٌ بلا أهــلِ

من للظباء ســواى يقنِصُها ... إن أسكرتنى خمرةُ العــذلِ؟

أوغلتُ فى خوض الهوى أنفًا ... للقلب أن يبــقَى بلا شُــغلِ

وحذِرتُ سُــلواتا فسُمتُهُمُ ... أن يحرِمونى لذَّةَ الوصــلِ

فضلَتْ دموعى عن مدَى حزنَى ... فبكيتُ مَن قتَـل الهوى قبلى

ما مرَّ ذو شَجنٍ يكتِّمــه ... إلا أقــول : متيَّمٌ مثــلى

يُخفِى — ولا يَخفَى على نظرى — ... عَــلَمَ الخضوع وميِسَم الذلِّ

يا فاتكا أضــراه (١) أنَّ له ... قتْــلَ بلا قوَدٍ (٢) ولا عَقْــلٍ (٣)،

لِمَ لا تُريقُ دمًا وصاحبُــه ... لك جاعلٌ فى أوسع الحِــلِّ؟

بُعدًا لغزلان الخدور لقــد ... كُحِلَتْ محاجرُهنَّ بالخَتْــلِ (٤)

يرمين فى ليــلِ الشبابِ لكى ... تخــفَى علىَّ مواقعُ النبــلِ

---

(١) أضراه : أغراه . (٢) القود : القصاص . (٣) العقل : الدية

(٤) الختل : الخداع .

لو لم يُرِدْ بى الســوءَ خالقُها ما ضمَّ بينَ الحسن والبخلِ

اِقذف عدوَّك، إن أردتَ به دهياءَ، بين الأعينِ النُّجلِ

يبلُغنَ كلَّ العُنفِ فى لَطَفٍ ويَنلنَ أقصى الجِــدِّ بالهزلِ

هبْهم لَوَوْا وعــدِى، فطيفهُمُ من ذا يحسِّره عــلى مطــلِ؟

قــد كدتُ أُنهِكهُ معاقبــةً لولا آدّ كارى حُرمةَ الرُّسْــلِ

وعهودُكم "بالرَّمل" قد نُقضتْ وكذاك من يبــنى على الرملِ

إن ازمعوا صرما فلِمْ عقــدوا يومَ "الكثيب" بحبلهم حبلى؟

لا يوثِق الأَســراءَ بينهُــمُ إلا رِشاءُ[1] القــاحِمِ[2] الرَّجْــلِ

كيف الخلاصُ ومن قدودِهِمُ وخدودهم ونهــودهم عقــلى[3]

و إذا الهوى ربَطَ النفوسَ فما يُغنيــك حَلُّ يدٍ ولا رِجْــلِ

صحبى الأُلى أزجَــوْا مطيَّهُــمُ حتى أناخوها " بذى الأَثْلِ "

مِنْ يطَّالِعْ شَرَفا فيعلمَ لى هــل روَّح الرُّعيــانُ بالإبلِ؟

أم قعقعتْ عَمَدُ الخيام أم آر تفعَتْ قِبــابهُمُ[4] عــلى البُزْلِ[5]؟

أم غرَّد الحــادى بقافيــةٍ منها غرابُ البينِ يستملى؟

إنى أحاذر من رحيلهــمُ ما حاذَرَتْ أُمٌّ من الثُّكلِ

---

(١) الرشاء — فى الأصل — : حبل الدلو — والمراد به هنا الغدائر — . (٢) الفاحم الرجل : الشعر الأسود الكثيف . (٣) العقل : الربط . (٤) فى الأصل « قبابهم » وهو تحريف . (٥) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل .

إن كان ذاك ، فصادَفوا لقَمًا (١) … يعمَى الدليـــلُ به عن السُّبُلِ
رنقا فلست أُطيق أحمـلُ ما … حَمَلَ "الأجلُّ" لنـا من الثِّقلِ
وهو الذى كلٌّ يُقـرّ لـه … يومَ الفخار عليــهِ بالفضلِ
أغلتْ مكارمُه المهـورَ على … تزويج بِكرِ القـول بالفعـلِ
وحبـا العفـاةَ وهم بدارهمُ … حـتى دَعَوه جامعَ الشمـلِ
يعطيـك فى عُسُر وفى يُسُرٍ … ويُنيـل من كُثْرٍ ومن قُـلِّ
مثل السـحابةِ ما تُغبُّك فى الـ … حالاتِ من وبل ومن طـلِّ
فكأنمـا أوحَى إلى يده … أن تقتـلَ الإملاقَ بالبـذلِ
شجـر من المعـروف أنبتهـا … تختال فى ثمـر وفى ظـلِّ
ومناهــلٌ إن يرضَ واردها … بالنَّهْـل (٢) يحــبُرْهُ على العَـلِّ
ظنـًّا بأن الفــرضَ ليس له … حمـدٌ وأن الشكـرَ للنَّفلِ (٣)
لعــدوّه ما للصــديق به … والغيثُ رزقُ الحَزنِ (٤) والسهلِ
وإذا السماء غدت كأنّ على … أبوابها قُفـلا من المَحْـلِ ،
وجدوا الغمامَ قلائصا (٥) غَرِضتْ (٦) … بالسير من جهـد ومن هُزْلِ (٧)

(١) اللقم : معظم الطـريق .
(٢) النهـل : أول الشرب ، والعـل : ثانيه .
(٣) النفل : ما يفعل مما لم يجب فعله .
(٤) الحزن : الوعر من الأرض ضد السهل .
(٥) قلائص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل .
(٦) غرضت : ضجرت وملت .
(٧) الهزل : الضمور .

وٱستحسن الكرماءُ من سَغبٍ (١) أن يبعثوا بذخائر النمـلِ

فى شَتــوةٍ شمـطاءَ عانسـةٍ عزَّ الرَّضاعُ بها على الطفـلِ ،

بكَرت اناملُـهُ بغـادية (٢) تكسو البـلادَ مَلاحفَ البَقْلِ

وكأنما الأنــواءُ حائـلةٌ (٣) عجفاءُ (٤) ترِمُ (٥) حالبَ الرِّسْـلِ (٦)

بلغَ المدى ، والتابعونَ له متعثرونَ بزَلّةِ النعـلِ

لوقُلّد الشجعانُ عزمتَـه لغَنُوا عن الهندىِّ ذى الصقلِ

حُنيتْ أضالعُـه على همـمٍ مخـلوقة للعقـد والحَـلِّ

لا يدّعِى إقـدامَه أحـدٌ وإنِ ٱدعاه فوالدُ الشّبلِ

ما يذعَرُ الخصماءَ من قُطُـمٍ (٧) ترميهـمُ بشقاشقٍ (٨) تغـلى؟!

أبدا يفِـرُّ صريعُ منطقـه منـه إلى الخطّىِّ (٩) والنَّصـلِ (١٠)

يرنو الزمانُ إلى معـانده حنقًا عليـه بأعينٍ قُبْـلِ (١١)

فى كفِّـه صمَّـاءُ (١٢) ضـامرةٌ سرَقتْ شمائلَها من الصِّلِّ (١٣)

---

(١) السغب : الجوع . (٢) الغادية : السحابة تمر فى الغدوة . (٣) الحائلة : التى لم تحمل . (٤) العجفاء : المهـزولة غير السمينة . (٥) ترم : تدفع . (٦) الرسل : اللبن . (٧) قطم : جمع قطيم وهو ما فصل عن الرضاع . (٨) شقاشق : جمع شقشقة وهى لهـاة البعير يهدر بهـا . (٩) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى بلدة تباع فيها الرماح ولا تنبت بها — يقال : رماح خطية — على الوصف ، ورماح الخط — على الإضافة — . (١٠) النصـل : السيف . (١١) قبل : جمع قبلاء وهى العين التى أقبل سوادها على الأخرى . (١٢) الصماء : الحية ، — والمراد بها هنا القلم على التشبيه — . (١٣) الصل : الثعبان .

سمُّ الأساودِ (١) فى نواجذها (٢) وإن اغتذت بمُجاجة النحلِ

ما حُكِّمتْ فى أمرِ مُشكلةٍ إلا أتت بقضيَّةٍ فَصلِ

من مثلهُ لقراع نائبةٍ فيها فراق العِرْس للبَعلِ!

هيهات أن تلقَ مشابَهه ؛ أمُّ الصقورِ قليلةُ النسلِ

وقال وكتب بها الى الشريف أبى جعفر بن البَيَاضىّ (٣) يداعبه :

مرِضٌ بقلبك ما يعادُ وقتيلُ حب لا يقادُ (٤)

يا آخر العشّاق، ما أبصرتَ أوّلهم يذاد؟ (٥)

يقضِى المتيَّم منهمُ نحبا ولو رُدُّوا لعادوا

ملكوا النفوسَ فهل لنا من بعدها ما يستزادُ

أبدا جناياتُ العيو ن بحَرِّها يَصلَى الفؤادُ

ما خلتُ غِزلان "اللّوى" كظباءِ "مكَّة" لا تصادُ

يقظان تَنصلُ (٦) أحبُلى عنها ويقنِصها الرقادُ

بالعذلِ تُوقَد لوعتى وبقَدحِه يُورَى الزِّنادُ

لم يستطعْ إطفاءَها دمعٌ كما انخرقَ المَزادُ (٧)

(١) أساود : جمع أسود وهو الثعبان . (٢) النواجذ : الأنياب . (٣) نسبة الى « بياضة » بطن من الأنصار، أو نسبة الى جماعة نسبوا الى لبس الثياب البيض ببغداد .
(٤) لا يقاد : لا يدفع قوده وهو الدية . (٥) يذاد : يدفع . (٦) تنصل : تنفصل .
(٧) المزاد : وعاء يوضع فيه الزاد .

لا تنكرا جُرحي فللـ ـعذَّال ألسنةٌ حِداد
طمعٌ وأنتَ "برامة" فيمن تضمَّنه النِّجادُ؟[1]
والحيّ قد هبطت خيا مُهُم وقعقعت العمادُ
والوردُ من زهر الخدو د كِمامهُ الكِلَلُ الوِرادُ[2][3][4]
لو يسمحون بوقفة أبت المطايا والجيادُ
ظعنوا بأقمارٍ عليـ ـها تحسدُ الكومُ الجلادُ[5]
ولأجلها غَبَط الغبيـ ـطَ حجابُ قلبي والسوادُ[6]
فيقول : أيّ الحالتيـ ـن أشدُّ، هجرٌ أم بعادُ؟
تعفو المنازلُ إن نأوا عنها وتغبرُّ البلادُ
والحيُّ أولَى بالبِلى شوقا إذا بَلِيَ الجمادُ
ما ضرَّهم، والحسنُ لا يبقَى، لو آمتنُّوا وجادوا !
أتُرى حرامٌ أن يُرَى في الناس معشوقٌ جوادُ؟!
لعبٌ مفاتيحُ الهوى والحرب أوّلها طِرادُ
أوَ ما رأيت فتى قريـ ـش" وهو للجُلَّى عَتادُ،
وله المعانى المستدقَّةُ والكلامُ المستفادُ،

(١) النجاد : حمالة السيف . (٢) الكمام : جمع كم وهو ما يغطى الزهر من الورق الأخضر .
(٣) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٤) الوراد : الحمر كالورد . (٥) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٦) الغبيط : الرحل يشد عليه الهودج .

وأَصالةٌ فى الرأى بالـ ـسِّحر الموشّى لا تُكادُ،

وشواردٌ فى القول قد قُرِنتْ بها السَّبعُ الشِّدادُ،

"كالهرقليّاتِ" [1] النـوا صعِ ليس يَنفيها آنتقادُ،

فكأنه "قُسٌّ" [2] "وها شمٌ" [3] حولَ منطقِه "إيادُ"، :

كيف آرتعَى زَهرَ الصبا بِهِ، والغـرامُ له قيادُ

بعـد التخيُّـل والمِـرا حِ ونَى وذلّلـهُ القيادُ

نشوان لا فى عطفـه بطرٌ [4] ولا فى الرأس صادُ [5]

فبـه فلانٌ أو فـلا نٌ لا "سُلَيمى" أو "سعادُ"

يرضَى بطيف قال : مو عدُنا الحشيّةُ [6] والوِسادُ

وتُحـلُّ عُقـدةُ نُسكِهِ بالشيء لفّفـه البِجادُ [7]

يا مُصعَبًا [8] جـرّته فى أرسانها [9] اللِّمُ [10] الجعادُ [11]

وآستهدفته رواشقُ الـ لحظات مثنَى أو أُحاد

(١) الهرقليات : النقود المسكوكة باسم هرقل — بفتح الراء وسكون القاف — وسكنت هنا الراء وفتحت القاف لضرورة الوزن . (٢) يشير الشاعر الى قس بن ساعدة الإيادى وهو من أفصح العرب . (٣) يشير الى بنى هاشم بن عبد مناف القرشى جد أسرة الممدوح . (٤) بالأصل : نظر وهو تصحيف ، والبطر الأستخفاف ، يقال : جر إزاره بطرا . (٥) الصاد : التكبر . (٦) الحشية : الفراش المحشو . (٧) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب يشتملون به ، وفى الأصل "النجاد" وهو تصحيف . (٨) المصعب : الفحل لا يركب لكرامته . (٩) أرسان : جمع رسن وهو الحبل تقاد به الدابة . (١٠) لمم : جمع لمة وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن . (١١) جعاد : جمع جعد وهو الشعر الذى فيه التواء وتقبض .

وآســـتعطفته روادفٌ ... كُثبانهــا[1] نِعـــمَ المِهـادُ

ولَمَى رضابُ النحل يشـ ... ـهد أنَّ ريقتَه شِهـادُ[2]

ولربمـا خار الجـلـيـ ... ـدُ وغُلِّـطَ الرأىُ المـرادُ

قــد كان قبـلك فى سبيـ ... ـل الحبّ لى أبدا جِهادُ

حتى خبا ذاك الضـرا ... م، وغاية النـار الـرَّمادُ

وإذا رأيتَ الكون فآعـ ... ـلمْ أنْ سيتبعهُ الفسـادُ

وآعجب لقــوم فى الزما ... ن على السفاهة كيف سادوا!!

لا عنـدهم كَلِــمٌ تَغـ ... ـرٌّ ولا نُضـارٌ يستفـادُ

أســـتغفر الله العـــد ... ىٌّ لقـــد تذأَّبت[3] النِّقـادُ[4]

+ + +

وكتب إليه أيضـا وقد عتب عليه بسبب أبيـات كانت فى هـذه القصيدة فأسقطها :

عَتَب الشريفُ لأن نشرتُ محاسنا ... مرموقةً من خُلقِـه وجلالِه

وزعمتُ حقـا أنّ بدرَ جَمـاله ... زانت مطالعَـه نجـومُ خِصالِه

بمحاسنٍ لو كان يمكن صوغُها ... أغنت غزال الإنس عن خَلخالِه

---

(١) كثبان : جمع كثيب وهو تل الرمل ؛ — ويشبه الردف به — . (٢) شهاد : جمع شهد وهو عسل النحل . (٣) تذأبت : صارت كالذئاب . (٤) النقاد : صغار الغنم .

صِفةُ الهلالِ بدا أوانَ طلوعه أن لا يشعّثه زمانُ كمالِه

فضلُ الملاحةِ عند كلّ مصوِّرٍ في الناس ليس إليه نقصُ مثالِه

عتبٌ لعمرُك ليس يَعتِب مثلَه إلا حبيبٌ شاءَ (١) قطعَ حبالِه

فامسح جفونَك عن عقابيلِ (٢) الكرى وانظر وصلِّ على النبيّ وآلِه

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبي سعد بن المطّلب في غرض :

أيُّ لبيبٍ بك لم يُخدَعِ وأيُّ عينٍ فيك لم تدمَعِ ؟ !

لا أمدح اليأسَ ولكنه أروحُ للنفس من المطمعِ

أفلحَ من أبصرَ عُشْبَ المنَى يُرعَى فلم يَرْعَ ولم يرتَعِ

يا ليتَ أنّي قبلَ وَقْرِ (٣) الهوى أذِنتُ للعذل على مسمعي

هل ما مضَى من عيشةٍ راجعٌ ؟ والخُلفُ كلُّ الخلف في المرجعِ !

أين بدورٌ من بني " دارمٍ " تبخل أن تُسفر في مطلعِ

لا في سِرار (٤) الشهر تبدو لنا ولا ليالي العشر والأربعِ

لو لم تكن أعينُهم أسهما ما خرقَت في جانب البرقعِ

كيف تخطّين الى مَقتلي وما درَى تُرسي ولا أدرعي

---

(١) في الأصل "ساء" وهو تصحيف . (٢) العقابيل : البقايا ، — كعقابيل المرض والعشق وغيرهما — . (٣) الوقر : الصمم . (٤) السرار : — بالفتح والكسر — آخر ليلة في الشهر .

أودعتُهـم قلبى وما خِلتُهـم ... يستحسنون الغـدرَ بالمودِعِ

صـار بأيديهـم وحاكمتهـم ... فالحـقُّ حقّ وأنا المـدّعى

لـو زارنى طيفُهـمُ ما درى ... من الضـنا أنىَ فى مضجعى

أقول للرّكبان قد أزمعـوا ... حجًا إلى الأطـلال والأربُـعِ :

لَبُّوا بذكرِى فى "عقيق الحمى" ... وذلك المصطافِ والمَـربَعِ

وأخـبروا عنّى بمـا شـئتمُ ... فإنه دون الجـوى الموجِـعِ

درّتْ عـلى مرعاهمُ ديمـةٌ (١) ... تحنـو على أطفـاله الرُّضَّـعِ

غـرّاءُ لو يَنبُتُ شَـعْرٌ بهـا ... لأنبتت فى جبهـةِ الأقـرعِ

كلُّ سحابٍ أمطرتْ أرضَهم ... حامـلةٌ للـاء من أدمعى

وكلّ ريحٍ أزعجت تُـربهم ... فإنهـا الزفـرةُ من أضلعى

أتشـفع الخمسون لى عندَهم؟ ... هيهـاتَ والعشرون لم تَشفعِ ! !

إن أمطرتْ عيناى سُحْبا فعن ... بـوارقٍ فى مَفـرِقى (٢) لُمَّـعِ

تُريد عُمْـرا وشـبابا معـًا ... أشـياءُ (٣) للإنسان لم تُجمَـعِ

سـيّان عند الغانيات آكتسَى ... رأسُ الفـتى بشيبه أم نُعِى ! !

يُصـبَغُ رأسُ الدهرِ من ليلِه ... وصـبحِه بالجَـوْنِ (٤) والأسفعِ

(١) الديمة : المطرة الدائمة . (٢) مفرق - كمجلس ومقعد - : وسط الرأس حيث يفرق الشـعر، والبوارق اللمع : كناية عن الشيب . (٣) لذا فى مختارات البارودى وفى الأصـل شيئان . (٤) الجون : الأبيض، والأسفع : الأسود .

نوائبُ أضعافُ عدِّ الحصى ... تجمعُ بين الضَّبِّ والضِّفْدَعِ

تصطلمُ(1) العفراءَ(2) فى قفرِها ... وتفجأ العذراءَ فى المخدَعِ

كم مرَّ بى من صرفه حاصبٌ(3) ... لو مرَّ بالورقاء لم تسجعِ

رفعتُ من أمواجه منكبى ... حيث يشير الجون(4) بالإصبعِ

من لم يخض غمرتها لم يشِدْ ... قواعدَ المجد ولم يرفعِ

دون المعالى مرتقىً شاهق ... فطِرْ إلى ذروتِهِ أو قعِ

قل للصعاليك: أرى دينكم ... دينى ودِينَ الأسد الأفدعِ(5)

إمّا قرَى(6) بُرْثُنَه نابُه ... أو ماتَ طيّانَ(7) ولم يَضرعِ

متى أراكم كذئابِ "الغضا" ... شممنَ ريح المَعِزِ الرُّتَّعِ

فى فتيةٍ أكثرُ تهويمهم ... إسناد هاماتٍ إلى أذرُعِ

إن عرَّسوا(8) لم يعقلوا إبلَهم ... إلا بوفراتٍ(9) مع الأنسُعِ(10)

مثل نجوم الليل يُهدَى بهم ... من ضلَّ فى الدَّيمومةِ البلقعِ(11)

---

(1) تصطلم: تستأصل. (2) العفراء: الظبية البيضاء. (3) الحاصب: الريح تثير الحصباء وتحملها. (4) الجون: الأسود — وهو من الأضداد — ويريد به الليل، ويحتمل أن يكون محرفا عن "الجو"، والمراد بالإصبع الهلال. (5) الأفدع: الذى اعوج رسغ يده أو رجله. (6) قرى: أطعم؛ والبرثن: — من السباع — بمنزلة الإصبع من الإنسان. (7) الطيان: الجائع. (8) عرسوا: نزلوا آخر الليل، وفى الأصل «غرسوا» وهو تصحيف. (9) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس. (10) الأنسع: جمع نسع وهو الحبل من أدم. (11) الديمومة البلقع: المفازة القفر.

يخضب أيديهم نجيع الطُّلَى (١) | إن خضب الأقوامُ بالأيدع (٢)
قلتُ وهم من نشوات الكرى | موائل كالسُّجَّد الرُّكَّع :
حثُّوا مطاياكم فكم غاية | قد بلغت بالأينق الظُّلَّع (٣)
وادعوا "أبا سعد" يساعدكم | مثل سنان الأسمر (٤) المشرع
باعٌ طويلٌ ويدٌ طلقةٌ | ومنطق يختال في المجمع
إذا أرنقت أقلامه كفه | تهزأت بالخاطب المصقع
غدرانه بالفضل مملوءة | متى يردها حائم ينقع
يكشف منه الفر (٥) عن قارح (٦) | قد أحرز السبق ولم يخدع
ليس جمال المرء في بُرده ، | جماله في الحسب الأرفع
يشير إيماءً إليه الورى | إن قيل : من يعرف بالأروع ؟ !
يريك ما ضمت جلابيبه | محاسن العالم في موضع
يوكس من لا أدب عنده | وكس الدنانير ولم تطبع
أبا أخي ، والود أرحامه | إن تقطع الأرحام لم تقطع ،
ما بيننا من أدب جامع | أقرب من والدة مرضع

---

(١) الطلى : الأعناق ، واحدها : طلية . (٢) الأيدع : الزعفران . (٣) الظلع : جمع ظالع وهو الذي به غمز يشبه العرج . (٤) الأسمر : الرمح . (٥) الفر : الكشف عن أسنان الفرس وغيره لتعرف سنه . (٦) القارح — من الخيل — بمنزلة البازل من الإبل .

لُبـانةٌ لى هى إن تَقضِهـا صنيعةٌ فى موضـــع المصنـــع

ورائدٌ مثـــلك مســـتودعٌ أحليــه فى أحفظ مسـتودَع

ألا أبلغا عنّى الذى شكـره صريرُ(١) رحلِ الراكب المُوضعِ(٢)

مَن تصدُر الآمالُ قد أُترِعتْ مَزادُها من حوضه المــترَع

لا خُلّبٌ بارقُ معــروفه ولا سحـابُ البيد بالمُقشِــع

إن أنتَ شبّهتَ به غــيرَه ســوّيت بين النَّبع(٣) والخِروَع(٤)

ما بالُ أعــدائى ملّكتَهــم عِنـانَ رأس السابحِ الأتلع(٥)

يرمون حبّى بحصَى زُورهم رمىَ حِمـارِ الجَّ باليرمَــع(٦)

كلُّ فمٍ ينفُثُ بى قــولةً أسلمُ منهـا لسعةُ الشِّــبْدَع(٧)

علىّ صاروا عنـد نُصحى ولو عملتُ بالغِشّ لكانوا معى

وٱستعطفِ الرأى ليرجِــعْ به من رجّعَ الشمسَ الى "يُوشَع"

فأنتَ أهدَى فى طريق العلا من القَطـا فى اللاحبِ(٨) المَهيَع(٩)

وٱظفرْ بها لو أدركت "ثعلبا" أنسته مايُروَى عن "الأصمعى"

أمسِ رأينـا قائـــلا سامعا واليوم قــــد أعوزنا من يعى

---

(١) الصرير : صوت الباب وغيره . (٢) الموضــع : الذى يسير الإيضاع وهو ضرب من السير السهل السريع . (٣) النبع : شجـر ينبت فى أعالى الجبال تتخـذ منه القسى . (٤) الخروع : كل نبت ضعيف . (٥) الأتلع : الطويل العنق . (٦) اليرمع : حصى بيض رخوة . (٧) الشبدع — بكسر الدال وفتحها — : العقرب . (٨) اللاحب : الطريق الواضح . (٩) المهيع : الواسع .

***

وقال يعاتبُ بعضَ رؤساءِ العصر فى نَبْوةٍ جرَت بينَهما :

أؤمّل بعدَ هــذا الأسرِ حَلًّا	وجِــدُّ نوائب الأيام هَزلا
وأعلم أنّ جَور الدهرِ طوعا	سيُعقب بعــدَه بالكُرهِ عدلا
يقول لىَ آصطبارى : قف رويدًا	فأىّ سحائب الغَمرات تُجلَى
ليـالٍ خابطاتٌ فى سُــراها	وما تَدرِى أصبنَ القصدَ أم لا !
وأيامٌ تراكضُ فى مَــداها	كأنّ وراءها طَرْدا وشَــلّا
فَمن راغَمْنَــه رجَع الهُوينْـا	ومن أخطأنه بلغ المحَــلّا
فكم أفقرن بالبؤسَى غنيًّـا	وكم أغنين بالنُّعمى مُقِـلّا
تُراها خُــيِّرت فيما لديهـا	فما آختارت سواى لهنّ شُغلا ! !
سهـامٌ مؤلمـاتٌ كلَّ يــوم	تُصيب ولا أرَى رِيشًا ونَصلا
ولو كانت نبالُ " بنى هُذَيْلٍ "	لبِستُ لهن سابغَــةً رِفَــلّا (١)
وما ذنبى إليهـا غــير أنّى	جمعتُ محاسنا وحويتُ فضلا
فــلولا أننى أرعى فــؤادى	بأوديةِ الأمانى متُّ هُــزلا (٢)
أَأَعُدُّ ذنوبَهـا بيدى ، ومَن ذا	يعُدّ "بعالِجٍ" و"الخبتِ" رملا (٣)

(١) السابغة الرفل : الدرع الطويلة . (٢) الهزل : الضمور . (٣) عالج والخبت : موضعان مشهوران بكثرة الرمال فيهما .

إذا ما شئتَ أن تحيا سـعيدا   فقل : لا تؤتِني يا ربِّ عقلا

فما عيشُ الوحوش بخيرِ عيشٍ   به طـابت به حُمقا وجَهـلا

تَبُثُّ لها الحبائلَ وهي ولْهَى   تجاوِبُ باغِما[1] وتَرُبُّ[2] طِفـلا

وما للمرء خـيرٌ فى حيـاةٍ   إذا أمسى على الإخـوان كَلَّا[3]

لقـد خلعَ التصـابىَ مستجدٌّ   نُصولُ عذراه غِمـدًا مُحلَّى

تقِلّ عن الغـرام وأنتَ طِفلٌ   وتكبُرُ عن طلابِ اللهو كهلا

وفيما بين ذاك وذا شَبابٌ   تمانعك الأحبَّـةُ فيه وصـلا

فأىّ زمانك الحُـلوُ المُهنَّـا   وأىّ قِداحِك القِـدحُ المُعلَّى[4]

لذاك بدأتُ بالهجران «هِندا»   كما عاجلتُ بالسلوان «جُمْلا»

وصرتُ إذا رأيتُ الظبَى يرنو   كأنّى ناظـرٌ ليثاً مُـدِلّا

إذا ما هزَّ فى بُرديْه عِطفا   هززتُ عليه من كفَّىَّ نَصلا

طَـروبٌ للوشـاة إذا أعادوا   عـلَّى ملامةً فيـه وعَذلا

وأحسنُ من قدودِ البيض تهفو   قـدودُ السُّمر فى الهيجاء تُجلَى

فـلا تَبْرِقْ لىَ الحسناءُ ثَغرا   ولا تُرسِـلْ على المَتنينْ جَثْلا[5]

ولا تنفُثْ بسِـحرٍ فى جفونٍ   حلَلْتُ عقودَها كَحـلًا وكُحْلا

---

(١) الباغم : الظبى . (٢) ترب : تربى . (٣) الكل : الثقل .

(٤) المعلى : سابع سهام الميسر . (٥) الجثل : الشعر الكثيف .

على أنّ الهـــوى فى كلّ قلبٍ ألذُّ من المنَى طَعما وأحـــلَى

فلا يغـــرُرْك من ينجو سليماً ولا تحسبْ عِلاجَ الحبِّ سهلا

ولكنّى ٱستعنتُ على فؤادى بأصـــنافِ الرُّقَى حتى أبَلَّا (١)

وحذَّرنى من الأحبابِ أنّى رأيتُ دَمًا «لعُروَةَ» (٢) كيف طُلَّا

أقلنى من ظبـاء "بنى عَدى" فمـا أخشى ظباءَ الإنس كلَّا

فهنّ إذا غَزَوْنَ إلى قبيلٍ أسرن مُعاهِـــدا وقتلن خِلَّا

وما أهوَى سوى البَيداء دارًا وأفراسًا تَضيعُ (٣) بهـا و إبلا

وأسمرَ يرعُد الأنبوبُ منـــه غداةَ الروع خوفا أنـ يَزِلَّا

وأبيضَ تحسبُ الطُّبَّاعَ بثّتْ على مَتنيه والحَدّيْنـ (٤) نملَا

وممشوقٍ من الفِتيانِ يُدعَى لكلِّ عظيمةٍ فيجيب : هَـلَّا

كأنّى فى الضحى أرسلتُ صَقْرا وفى جُنح الدجى سِمْعًا (٥) أزَلَّا (٦)

أشير له فيفهـــمُ وَحىَ طَرفى وخيرُ القول ما إن قَـلَّ دلَّا

(أنا ٱبن جلَا وطَـلَّاعُ الثنايا) (٧) وصاحبُ سـيرةٍ تروَى وتُملَى

تحكّكْ «بالرئيس» وفز بشكرى وحقًّا تطلُبُ الحِربـاءُ (٨) جِذْلا (٩)،

---

(١) أبل : شـفى . (٢) عروة بن حزام : أحد الذين قتلهم الحب . (٣) كذا بالأصـل ولعلها محرفة عن تصـيح أو تعج وما الى ذلك . (٤) فى الأصل « الحـدين » . (٥) السمع : الذئب . (٦) الأزل : الخفيف الوركين السريع . (٧) من قول سحيم بن وثيل الرياحى وقد استشهد به الحجاج وتمام البيت . * متى أضع العمامـــة تعرفونى *
(٨) فى الأصل «الحرباء» وهو تصحيف . (٩) الجذل : أصل الشجرة ، أو هو عود ينصب للجربى تحتك به .

تلاقِ المجــدَ بِرَأْقِ المحيَّا ... وثغرَ الجــود يضحكُ مستهِلّا
ومطــروقَ الفِنــاءِ لزائريه ... تقولُ كلابُه : أهــلا وسهلا
شمـائلُ تسرقُ الأقوامُ منهـا ... وتفضَح بآمتحانٍ من تحــلَّى
وهبْ أنّ الرجالَ حكَتْه قولا ... فهــل يحكونه قــولا وفعلا؟!
يطوفُ الوفدُ فى الآفاق حتّى ... تُحَــطَّ به الرحائلُ حيثُ حلَّا
إذا نزلوا فمـا لهــمُ آرتحالٌ ... ومن ذا يجتوى بَرْداً وظِــلّا (١)
وكلُّ فضيلةٍ ذُكِرَتْ لقــوم ... رأوه بذكرِها أحرَى وأولَى
هو البطلُ الذى خَصَم الليالى ... فبيَّن فى وقائعهـا وأبلَى
تحيــد خُصومه عنه، ومَن لا (٢) ... يخافُ الليثَ أقبــلَ مصمئلّاً! (٣)
يَروع بصمته من شاءَ منهــم ... وتخشى الطــيرُ بازيا تَجــلَّى (٤)
شهدتُ بأنه الدرُّ المصــفَّى ... وأنفسُ قيمــةً منــه وأغلَى
وقالوا : هل سواهُ بقِى أناسٌ ... يليقُ بها المديحُ، فقلتُ : كلَّا!
بــلى يارُبمـا نُسِــبوا آدعاءً ... إلى كرم كما نُسبَ «المُعلَّى» (٥)
ألَا يا أيّهـا الرحبُ السـجايا ... ومن يسقِى بكأسِ الجود عَلَّا (٦)

(١) يجتوى : يكره . (٢) فى الأصل «خصومة» وهو تصحيف . (٣) المصمئل : المنتفخ غضبا وشدة . (٤) تجلى : نظر الى الشىء مشرفا . (٥) فيه إشارة الى قول أبى على البصير :

لعمر أبيك ما نسب المعلى ... الى كرم وفى الدنيا كريم

(٦) العل : الشرب الثانى ، والأول : النهل .

عهِدتُ نداكَ يورِقُ منه عُودِى ويُمْرِعُ إن شكت كفّاىَ مَحْلَا

وما زالتْ عُلاكَ أحِلُّ منهـا ربىً من رامنى فيهنّ زلَّا

وكم لكَ من أيادٍ قد تشكّتْ اليـكَ مناكبى منهنّ ثِقْـــلا

نظمتُ من الثناءِ لها " زَبورا " لفرطِ الحسن فى المِحراب يُتْلَى

فمـا لى يثـــلِمُ الأعداءُ حدّى ويختـلق الوشاة علىَّ بُطـــلا !

ويرمونى بزور القـــول حتّى تمنَّى جانبى لو كنّ نَبْــــلا

فيـا للهِ حيث وضعتُ جنبى أمارسُ عَقـربا منهم وصِلًّا(١) !

محـالُهُـــمُ يمُـــدّ الىَّ باعا وباطلُهـم يحُـــطُّ علىَّ رِجلا

خُصـــومٌ ينظـرون إلىَّ شَزْرا ومن ذا يقهَـر الخصمَ المُـوَلَّى

ولو لم أشجُهُـــم(٢) بدَمِى ولحمِى لقــد أفنوْهمـا شُربا وأكلا

ولا واللهِ ما قارفتُ ذنبـاً ولا جذَّت يدِى للنصح حَبلا

ولا آستذكرتُ ما أوليتَ إلا رأيتُ خِيانتى والغـدرَ بَسْـلا(٣)

وأُقسم " بالمطايا مُشعَراتٍ(٤) " غداة النحر قد خُلخِلن(٥) عُقْـلا(٦)،

و" بالغُبرِ الأشاعثِ(٧) " لا دِهانٌ تُرَجِّلهم(٨) ولا " الهاماتُ(٩) " تُفلَى،

(١) الصل : الثعبان . (٢) أشجهم : أغصهم بالشجا وهو ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٣) البسل : الحرام . (٤) المشـعرات : البدن المعلمة وهو أن يشق جلدها أو أن تطعن أسنمتها لتعرف أنها من الهدى . (٥) خلخلن : ألبسن فى موضع الخلاخيل . (٦) عقل : جمع عقال وهو ما تربط به الدابة . (٧) الغبر الأشاعث : الإبل المغبرة المتلبدة شعر الرأس .

(٨) رجل الشعر : سرحه . (٩) هامات : جمع هامة وهى الرأس .

و" بالجمرات " تحذفُ " أخْشَبَيْها " (١) أنامــلُ تبتغى منًّـا وفضــلا ،

و " بالحرمين " تملأ عَرصَتَيْها مِــن الآفاقِ ركبانٌ ورَجْــلَى ،

و " بالبيتِ المقدَّس " والموفَّى قِرى الأضيافِ عنه " والمصلَّى " :

بأنى ما لبستُ الغشَّ ثَــو با ولا أسكنتُ قلبى فيــك غِلَّا

وما هى غيرُ أقــوالٍ تُوشَّى ولستَ ترى لها فرعا وأصلا

وأنت الحاكمُ العــدلُ القضايا إذا حار آمرؤ فــيما تــولَّى

أعوذ بحسن رأيك منك فيها وأن ألقَ من الخُصماء خَبــلا

فإن حزَّ الفَــوارِى (٢) فى أديمى فلا عيبٌ إذا ما السيفُ فُلَّا

* * *

وقال يمدحه :

لقــاؤك يا " لُبنَى " لقــاءُ خَيالِ فمــا منــكما إلا غريمُ مِطــالِ

مواعيــدُ كاليقظَى خوالب بارقٍ وضَمّانُهُ الوســنَى تخيُّــلُ آلِ

وإنى و إن جرّت زمامى عواذلى لأتبعُ فيــك باطــلى وضَــلالى

وأعــلمُ أن الحبَّ موقفُ طاعةٍ يُجــاب به للشــوق كلُّ ســؤالِ

ومن ظنّ أن العذلَ يقتنص الجوى فقــد قاده صــعبا بغــير عِقــالِ

---

(١) الأخشبان — بصورة التثنية — : جبلان بمكة ، اسم أحدهما : أبو قبيس ؛ والآخر : الأحمر ، وفى الحديث « لاتزول مكة حتى يزول أخشباها » وهما من المثنيات التى لا تفرد ، كالرافدين لدجلة والفرات .

(٢) الفوارى : اللواتى يقطعن الأديم — وهو الجلد — ويشققنه على جهة الإفساد .

لأنتَ أطبُّ الناس إن كنتَ قادرا ... على بُـــرء داءٍ بالفـــؤاد عُضـالِ

وصـــفتَ لسقمى قُبـلةً واعتناقةً ... وذاك شـــفاءٌ فى رءوس عَـوالِ (١)

إذا لم يذُق شيئا سوى الهجر عاشقٌ ... فمن أين يـــدرى كيفَ طعمُ وصالِ!

جهـــولٌ بشأن الغانيـاتِ مسَـلِّمٌ ... عليهنَّ فى شَيبٍ ورقّـةِ حالِ

لبِسن لنـا دِرع الصـــدود كأنمـا ... نراميهُـمُ من شَـــيبنا بنصـالِ (٢)

ليـالى الشـــبابِ هنّ أيامُ غُرَّةٍ ... وأيامُ شَيبِ المـــرءِ هنَّ ليـالِ

وددتُ و إن كانت من العمر تنقضى ... لو آن بواقيهـا تكون حَـــوالى (٣)

ولى فى بيـوتِ «العـامرِيّةِ» حاجةٌ ... هى المـاءُ فى عَضْبٍ حديثِ صِقالِ (٤)

زعمتُ البدورَ والشموسَ ظِبـاءَهم ... فلا تُنكروا فيهنَّ بُعْـــدَ مَنـالِ

تطلَّعنَ من سُـود البيوتِ كأنمـا ... تَطلَّعَ بَيْضٌ بينَ زِفٍّ (٥) رِئالِ (٦)

ومـا حاجةُ الغَـيْرانِ فيهم إلى القنـا ... وقـــد منعتْ منهم عِصِىُّ حِجالِ (٧)

كما قد حمت نفسُ "ابنِ مَروانَ" مجدَه ... بأبيـضِ عـــزمٍ أو بأحمـــرِ مالِ

مضىءُ نواحى الوجهِ، يُمزَجُ بِشره ... بخَمرِ حيـاء فيه مـاءُ جَمـالِ

نسيبُ المعـالى ، ليس تدعوه حاجةٌ ... الى صيتِ عمٍّ أو نباهةِ خالِ

---

(١) عوال : جمع عالية وهى أعلى القناة . (٢) نصال : جمع نصل وهى حديدة السيف والرمح والسهم . (٣) حوال : جمع حالية وهى التى عليها حليها . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) الزف : ريش النعام . (٦) رئال : جمع رأل وهو ولد النعامة (٧) حجال : جمع حجلة وهى بيت يزين بالستور للعروس .

إذا آفتخـر الإنسانُ يوما ببُردهِ (١) فما بُرْدُه إلا كريمُ خصالِ

شبيبــةُ عزمٍ وآكتهـالُ بصيرةٍ وتحـريمُ عِرضٍ وآنتهـابُ نوالِ

شمائلُ لو يُنظمنَ أغنَى نظامُهـا نحـورَ الغـوانى عن عُقود لآلى

وما جاذبوه الفخـرَ إلا وحازه بأيدٍ الى نَيـل العـلاء طِـوالِ

صنائعه فى النـاس ترعَى سَوامُهـا أزاهـيرَ شكرٍ فى رياضِ معـالِ

ومن عشـقهِ المعروفَ أعطى قيادَه سـؤالَ تجنٍّ أو سـؤالَ دلالِ

كذا السُّحْبُ يَسقِى كلَّ أرضٍ قِطارُها بريح جَنـوبٍ مرّةً وشَمـالِ

ليهنِـك آلاءٌ ضَمِنتَ وفاءَهـا من الجود حتى بات ناعمَ بالِ

وأنـك بالنُّعـمَى التى قـد بثثتَهـا ملكتَ من الأحرار رِقَّ مَـوالِ (٢)

فلله مـاضٍ من لسـانك إنه لنعـمَ لِزازُ (٣) الخصم يومَ جِـدالِ

والله ما ضمَّـت بنـانُك إنهـا قنـاةُ طِعـانٍ أو خبيئـةُ ضـالِ (٤)

فِناؤك للعافين بَعـلُ أرامـلٍ ونارُك للسّـارينَ أُمُّ عيـالِ

عهـدتُك تلـقَى كلَّ مرءٍ بقيمـةٍ وما كلُّ أعـلاقِ الرجال غَـوالِ

فـلِمْ أنا فى مـيزان عـدلك كِفَّـتِي تَشِـفُّ (٥) اذا قابلتَهـا بمثـالِ

ويرجُحُ أقـوامٌ كأن جباهَهـم نِعـالٌ لمـا زيَّنتَهـا بِقبـالِ (٦)

(١) البرد : الثوب . (٢) موال : جمع مولى وهو العبد . (٣) اللزاز : شدة الخصومة .
(٤) الضال : جمع ضالة وهى السلاح أجمع ، وقبل السهام . (٥) تشف : تنقص . (٦) القبال : زمامة النعل بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

نصيبي من الأموال ما يُمسك الدَّبَى ... وحظِّي من النيران حَظُّ ذُبال (١)

ولولاك ما كانت "لطآبا" (٢) موقفي ... ولا أرضُ "بَاجِسْرا" (٣) محطّ رحالي

مقيما بها كالسيف أُلزِمَ غمده ... وقد كان يرجو الرىَّ يوم نزالِ

ولو أُطلقت حدّاه وآستُلّ في الطُّلَى (٤) ... براها يمنى ضارب وشمالِ

وما ينفع الطِّرفَ المطهَّمَ (٥) سبقُه ... إذا كان محبوسا بضيق مجالِ

أرى كلَّ مشنوء (٦) الخليقة واصلا ... قصارَ حبال عجزه بحبالى

تماثيلُ كالأنعام أبقات الربى ... لها فغدت في رعية (٧) وصيالِ

وإنّ زمانا ضمّ شملي وشملهم ... لكالليل مسرى ضيغم وثمالِ

ستعلمُ من منّا إذا بعُد المدى ... عليه، تشكّى من وجىً (٨) وكلالِ (٩)

وتفرُّقُ ما بيني هناك وبينهم ... وكيف تُسوّى بُزَّلٌ (١٠) بفصالِ (١١)

وما كنتُ أرضى أن تكونَ ديارُها ... دياري ولا تلك الرحالُ رحالي

ولكنّني ركّابُ ما أنا قائد ... ولو ظهر مجزول (١٢) السنام (١٣) ثقال (١٤)

---

(١) الدبى : النمل ؛ والذبال : الفتيلة . (٢) كذا بالأصل ولم نوفق إلى تصويبها .

(٣) باجسرا — بكسر الجيم وسكون السين وراء والقصر — بليدة في شرقي بغداد كثيرة النخل عامرة .

(٤) كذا بالأصل . (٥) الطرف المطهم : الجواد التام الحسن . (٦) المشنوء : المبغض المكروه . (٧) في الأصل هكذا «رعيه» . (٨) الوجى : الحفا . (٩) الكلال : التعب والإعياء . (١٠) البازل — من الإبل — : المسن . (١١) الفصيل : ولد الناقة يفصل عن الرضاع . (١٢) المجزول : الذي قطع القتب غاربه . (١٣) السنام : ما ارتفع من ظهر البعير . (١٤) الثقال : البطيء .

وقد يُرتعَى حَمْضٌ وفى الأرض خَلَّةٌ[1] ويُشرَب ماءٌ وهو غيرُ زلالِ

وتسكنُ خفضَ الأرض أُسْدٌ خفيّةٍ[2] وتسمو الوعولُ فى رءوس جبالِ

وما هو الإ ذنبُ دهرٍ معاندٍ يرَى بُرءَ أهل الفضل غيرَ حلالِ

ويا ربما أعطَى الأمانىَّ قانطا فقد تَلقَح العقماءُ بعد حِيالِ[3]

* * *

وقال يهنئه بخلاصه من الأعتقال[4] :

إحدَى الكواعب من «بنى نصر» شهِد الظلامُ لها على البدرِ

كالبَيْض تحضُنه نعائمه، بيضاءُ فى كِلَلٍ[5] من الشَّعرِ

سكرَى اللواحظ وهى صاحيةٌ فدموعها فنٌّ من الخمرِ

ما خِلتُ أنّ بياضَ مقلتِها وسوادَها صُحُفٌ من السِّحرِ

بسَمتْ وقد برزتْ قلائدُها فرأيتُ ما فى النحرِ فى الثغرِ

ومن العجائبِ أن تصادف فى الـ ـعذب الزُّلال لآلئَ البحرِ

كيف آهتديت لحبّ ظالمةٍ وثَب الغرامُ بها على الصبرِ

جمَّشتُها[6] فنبَتْ، فقلتُ لها : أهويتُ أطلبُ معدِنَ التبرِ؟

---

(١) الحمض : ما ملح وأمر من النبات وهو كفاكهة للإبل تأكله عن سآمتها من الخلة وهى ما حلا من النبات . (٢) خفية : أجمة من سواد الكوفة تنسب اليها الأسود؛ وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٣) الحيال : العقم . (٤) فى مختارات البارودى : «وقال يمدح آبن فضلان ويهنئه بخلاصه من السجن ويستنجزه وعدا» . (٥) كلل : جمع كلة وهى ما يغطى به الهودج . (٦) جمشتها : داعبتها .

ضُربتْ بأسنمــةِ قِبابهـــمُ[(١)] وكأنَّهـا فى ساحة الصـــدرِ

بِيضٌ وسُمــرٌ فى خيـامهمُ ممنـــوعةٌ بالبيــض والسُّـــمرِ[(٢)]

بدم المحبّ يبـاع وصلُهـــمُ فمن الذى يبتـاع بالسعـــرِ

لو كان غـيرُ الحب جيشَهـــمُ[(٣)] ألفيتَهُـــم فى جحفـــل مَجْـــرِ[(٤)]

هجروا وهجرُهُـــمُ على دَخَـــلٍ[(٥)] فـلأجل ذلك طيفُهـــم يَسرى

وَهب الظـلامُ لنـا محـاسنَه وأظنُّ مرســلَه بنا يدرى

حتى إذا الإصباحُ أيقظـهُ ولىَّ يُؤذِّن فيــه بالغـــدرِ

ياليـــلةً «بالرمـــل» قصَّرهـا حــلُّ العناقِ[(٦)] معاقـــدَ الخُمـــرِ[(٧)]،

كادت خُطـانا أن تنمَّ على آثـــارنا وطمسنَ بالأُزرِ،

ورأت كلابُ الحىّ رِيبَتَنـا فكُمنَ عن نبــح وعن هَرٍّ،:

فُضَّت خـــواتيمُ السرور بهـا واللهـــوِ حـــتى مطلع الفـــجرِ،

لولا التحـــرُّجُ والغـــلوُّ لمـا أُسميتِ إلا ليــلةَ القـــدرِ

والليـــلُ عِقْصَتُه[(٨)] قـــد آنتشرت ورمتْ مَدرِاى[(٩)] الأنجم الزُّهرِ

---

(١) أسنمة : جمع سنام وهو أعلى ظهر البعير . (٢) المراد بالبيض والسمر الأولين : الجوارى الحسان ، و بالأخريين : السيوف والرماح . (٣) كذا فى الأصل ولعلها « الحسن » . حرفت عنهـا . (٤) الجحفل المجـر : الجيش العظيم . (٥) الدخل : الغش والخـداع . (٦) كذا فى مختارات البارودى ، وفى الأصل «العتاب» . (٧) الخمر : جمع خمار وهو كل ما غطى رأس المرأة . (٨) العقصة : الضفيرة . (٩) المدارى : جمع مدراة وهى المشط .

"والنسرُ" [١] قد أعيت قوادمُــــهُ والغـــربُ يجـــذبه إلى وَكَرِ

وهوتْ من "الجـوزاء" مِنْطَقَةٌ زهـــراءُ لم تُعقـــد على خصرِ

ورمَى "الـثريّا" من معلّقِها سبقَ "السِّماك" [٢] وحربةَ "الغَفْرِ" [٣]

فكأنّهـا والشمسُ تجمعهـا رهـــطٌ قد آزدحمـــوا على سِرّ

مثـــل العـــذارى من تعنُّفها تســـتصحبُ الدَّبرانَ [٤] كالحـدرِ

"وهــلالُها" تحكى آســتدارتُه عَقـــدَ التمام لعِـــدّة الشهرِ

وعلى "المجـــرة" أنجمٌ نُظمتْ مثـلَ الفَقـار [٥] نُسِقن فى الظهــرِ

هــذى حَبابٌ [٦] فـوق صفحتهـا طـافٍ، وهذا جدولٌ [٧] يجـرى

كَيَدِ "آبن فَضْـلانٍ" غمائمُهـا تغـــدو ببـــذل الوفر أو تسرى

إن حلّ فى بيـــداءَ أو بـلدٍ نابت سحائبُــه عن القَطْــرِ

أىُّ المكـارمِ قـــد تأبّطهـا وعـــزائمٍ فى ذلك الصـــدرِ؟!

طهُـــرت من الأحقادِ نيّتـــه والقلبُ مغســـول من الغِمْـــرِ [٨]

لامُـــوه فـــيما أتلفتْ يـــدُهُ فـــرأى المحامـــدَ أنفسَ الذُّخرِ

---

(١) النسر : يشير بذلك إلى كوكبين : يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقــع .

(٢) يشير بذلك إلى كوكبين يقال لأحدهما : السماك الأعزل ، وللآخر : السماك الرامح . (٣) الغفر : ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر وهى من الميزان .

(٤) الدبران : منزل من منازل القمر ؛ ولم نتبين معنى هذا البيت .

(٥) الفقار : عظم سلسلة الظهـــر .

(٦) الحباب : ما يعلو على وجه الماء من الفقاقيع .

(٧) الجدول : النهر الصغير .

(٨) الغمر : الحقد والغل .

إن قال فالسيفُ الحسامُ مَضى　　أو صال أفنَى الليثَ بالذرِّ

ما إن أرى فى النـاس من أحدٍ　　إلا يُمتُّ اليـه بالشـكرِ

حتى كأنّ الأرضَ طبّقها　　بغمائم نشأت من البرِّ

قد مارس الأعداءُ شدّتَه　　فآستسلموا لليث ذى الأجرِى (١)

وكوت مياسِمُه (٢) قلوبَهم　　والكىُّ مشفاةٌ لذى العرِّ (٣)

إنّ الشّدائدَ مذ عُنينَ به　　قارعنَ جُلمودا من الصخرِ

حمَلَ النوائبَ فوقَ عاتقه　　حتى رجعنَ إليه بالعُذرِ

وبوائقُ (٤) الأيّام عاديةً　　لاقَين منه دامِىَ الظُّفرِ

لا تنكروا حَبْسا ألمَّ به　　إن الحسانَ تُصان بالخِدرِ

والغِمدُ ليس تُفاض بُردتُه　　الا على الهندىِّ (٥) ذى الأثرِ (٦)

إن حجّبوه فكلُّ ذى شرفٍ　　يعتزُّ بالبوّابِ (٧) والسِّترِ

يغشى الكسوفُ الشمسَ إذ عظُمتْ　　ويعافُ ضوءَ الأنجم الزُّهرِ

قد يستسِرُّ (٨) البدرُ ليلتَهُ　　لَيتِمَّ (٩) ليلةَ رابعِ الشهرِ

---

(١) أجر : جمع جرو وهو شبل الأسد . (٢) الميسم : المكواة يوسم بها الحيوان . (٣) العر : الجرب . (٤) بوائق : جمع بائقة وهى الداهية . (٥) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (٦) الأثر : جوهر السيف ورونقه . (٧) فى الأصل «النواب» وهو تصحيف . (٨) استسر : اختفى ليلة أو ليلتين فى آخر الشهر . (٩) كذا بالأصل ومختارات البارودى ومراده : الليلة الرابعة عشرة من الشهر .

أو ليس «يوسفُ» بعـد محنتهِ ... نقلوهُ من سجنٍ الى «مصر» (١)

لَمَرقتَ منها مثلمـا انكدرت (٢) ... فتخاءُ (٣) ترمى الطـيرَ بالذعرِ

وصبرتَ حتى انجابَ غيهبُها ... إنَّ النجاةَ عواقبُ الصـبرِ

تُنسى مرارةُ كلِّ نازلةٍ ... بحـلاوةٍ فى النهى والأمرِ

وإذا الأغانى حنَّ مِزهرُها (٤) ... ولَّى حنينُ النابِ (٥) والبَكرِ (٦)

وإذا تولَّى الشيءُ تكرهُـه ... فكأنَّه مادار فى سِـرٍّ

حمـدا وشكرا للإلَه على ... ما قد حباك وواجب النَّذرِ

وكأنى بك فـوق غاربها ... متسنِّما فى ذروة الفـخرِ

يرمى العـلاءُ اليك مِقودَه ... لا ينثنى بغمـاغـم (٧) الزجرِ

إن العـظائمَ ربما بُلغت ... بالهَـوْن لا بالكَرِّ والفَـرِّ

وكذا الأُلوفُ على تفاوتهـا ... محسـوبةٌ بأنامـلٍ عَشْـرِ

أنا من يغُـالِى فى محبتِـهِ ... وولائه فى السرِّ والجهـرِ

ما ذاق طعـمَ النـوم ناظرُهُ ... حتى البشـيرُ أتاه بالبِشرِ

ولك الأيادِى لستُ أذكرهـا ... إلا يجيشُ بحمـدها صـدرى

هى نِعمـة ليـديك أشكُرها ... طـولَ الزمان وآخرَ العَـصرِ

---

(١) يشير : الى قصة سيدنا يوسف عليه السلام وهى أشهر من أن تذكر . (٢) انكدرت : انحدرت . (٣) الفتخاء : العقاب . (٤) المزهر : العود . (٥) الناب . الناقة المسنة . (٦) البكر : الفتىّ من الإبل . (٧) غماغم : جمع غمغمة وهى الصوت .

قـد كان وعدٌ منـك أقسمَ لى ... بعلاك : أنك مصلحٌ أمرى

وإخال أنّك لستَ ناسيَهُ ... لكنّنى آستظهرتُ بالذّكر

قـد حَزّت الأيامُ فى كبِدى ... وأطافَ بى مسٌّ من الضُّرّ

وسئمتُ عَتبى كلَّ نائبةٍ ... ومللْتُ ما أشكو من الدهرِ

وإذا جذبتَ إليك من ضَبعِى(١) ... طاعتْها بأسنّةِ القهـرِ

وصرفتَ عنّى كلَّ نائبةٍ ... صرفَ الهموم سلافةُ الخمرِ

أهـدت لك النَّعماءُ أنفَسَها ... من عانس(٢) أو عاتقٍ(٣) بِكرِ

وخَطتْك أحداثُ الزمانِ ولا ... برِحتْ رِباعَك(٤) ديمةٌ تجـرِى

لولاك فى الدنيا لما آعترفوا ... للأكرمين بها سوى الذكرِ

⁂

وكتب إليه يعزّيه عن أخيه :

عزاءً، فما يصنع الجازعُ ؟ ... ودمعُ الأسى أبدا ضائعُ

بكَى الناسُ من قبلُ أحبابَهم ... فهل منهُمُ أحـدٌ راجعُ؟!

عرفنا المصائبَ قبلَ الوقوع ... فما زادنا الحادثُ الواقعُ

---

(١) الضبع : — بسكون الباء — العضد . وربما حركت للضرورة . (٢) العانس : الجارية فاتت سن الزواج . (٣) العاتق : التى لم تتزوج ؛ وقيل : هى التى بين الإدراك والتعنيس ؛ أو هى الجارية أول ما أدركت ، وفى الأصل «علق» وهو تحريف . (٤) رباع جمع ربع وهو البيت .

ولكنْ ما ينظـر الناظرو　　نَ ليس كما يسمعُ السامعُ

يُدَلّى ابنُ عشرين فى لحـدهِ　　وتسعون صـاحبُهـا راتعُ

وفى رأس ذا أسـودٌ حالكٌ　　وفى فـرعِ ذا أبيضٌ ساطعُ

ليعـلم من شكَّ أن المنـو　　نَ هـوجاءُ[1] ما عنـدها شافعُ

وإن هُنَيـدةَ[2] من عاشَهـا　　لفى عيشـةٍ بعـدها طامعُ

فقل لىَ : ما السرُّ فى ذى الحيا　　ة تهـوى وطائرُهـا واقـعُ ؟

يهيم عليها الكسوبُ الحريصُ　　ويعشقهـا الساجدُ الراكعُ

وللمرء، لو كان يُنجى الفـرا　　ر، فى الأرض مضطرَبٌ واسعُ

ومَن حتفُـه بين أضلاعـه　　أيمنعـه أنّه دارعٌ[3] ؟

وكـلُّ أبىٍّ لداعى الحِمام　　متى يـدْعُه سامعٌ طائعُ

يسلِّمُ مهجتَـهُ سائمـا[4]　　كما مـدَّ راحتَـه البائعُ

وحِمى « الضَّيزَن » عن متنـه　　و« حسَّانُ » أسلمه « فارعُ »[5]

---

(١) الهوجاء : الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٢) هنيدة : مائة سنة . (٣) الدارع : اللابس الدرع . (٤) السائم : عارض السلعة لبيعها ؛ وفى الأصل هكذا « سائحا » . (٥) كذا بالأصل وقد كتب أمام هذا البيت على الهامش « فى الأصل » والمراد أن ناسخ الديوان لم يوفق الى صحة هذا البيت فاضطر الى أن ينبه عنه ؛ والضيزن : ملك الجزيرة وكان له حصن منيع يقال له : الحضر — بفتح الحاء وسكون الضاد — . وفارع : حصـن بالمدينة كان لحسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ومن هذا الشرح الوجيز يمكننا أن نقول : لعل الشاعر أراد

رَمَى "الضَّيزَنَ" "الحَضْرُ" عن مَتْنِه * وحَسَّانُ أَسْلَمَـهُ "فارِعُ"

وفى الأصل « قارع » وهو تصحيف .

وهبّت على «تُبَّعٍ»(١) نفحـةً   فـلم يبـقَ من رهطـهِ تابعُ

ولو أنّ من حَدَثٍ سالمـاً   لمـا خَسَفَ القمـرُ الطـالعُ

ولا صِيدَ فى شَرَكِ النـائباتِ   فـتًى لشروطِ الفـتَى جامـعُ

غـلامٌ كأنبُـوبةِ السمهـرى(٢)   تُعـيِي اذا رامهـا الصادعُ

شمـائلُه مثلُ نـوْرِ الرّيـا   ضِ نَمنَمَهـا باكرٌ هامـعُ

تكاد تبـكّى عليـه الغصـونُ   اذا ناح قُمـرِيُّها الساجـعُ

عجبتُ لذاك الحُـلِيِّ المصـوغِ   لنا كيف يُفسِـده الصـانعُ

تخـرَّمه ورُواءُ(٣) الشـبا   بِ لم يدرِ كم طـولُه الذارعُ

على حين أُفـرِغَ فى قالَبِ الـ   جمـال، وروَنقُـه الطـابعُ

وكيف توقِّى(٤) الفتى ما يخـافُ   اذا كان حاصـدَه الزارعُ

ومن فـوقهِ ظُـلَلٌ كالغمامِ   ومن تحتـه جبـلٌ مانعُ

وأقـرانُ «فضلانَ» فى عزّةٍ   يدور بهـا الفـلَكُ السـابعُ

ولـو شـاء قصَّر باعَ الردى   فـلم يرمِهِ السـاعدُ النـازعُ(٥)

ولكنّـه جاء سـائلا   فجـاد به صـدرُه الواسعُ

أأسرفتَ فى الجودِ حتى آستبا   حَ أحبابَك الزمنُ الخادعُ ! !

(١) تبع : واحد التابعة وهم ملوك اليمن . (٢) السمهرى : الرمح — منسوب الى سمهر وهى بلدة بالحبشة — . (٣) الرواء : الحسن والرونق . (٤) فى الأصل « توقى » وهو تصحيف . (٥) النازع : الذى يمد القوس للرمى .

* * *

وقال يعزّيه عن أخته :

يَرُوحُ ويغـدو علينا الحِمامُ … وكـلُّ النواظرِ عنـه نيامُ
على شِـيَم النَّعَـم الراتعـا … تِ يُعقَر هـذا وهـذا يُسامُ
ولا فـرقَ ما بيننا فى القيا … سِ إلّا العقولُ وهذا الكلامُ
كفى بالممـات لنا مُفنيًا، … فَمِن أجلِ ماذا تُراشُ السهامُ ! !
وتُعتقَـلُ الذابلاتُ الطِّوالُ (١) … ويُحملُ ذو الشَّفرتَين الحُسامُ ! !
كأنّا خُلقنا لريبِ المنونِ … شرابٌ يَلَذُّ به أو طَعـامُ
ستُطوَى مسافةُ مَن عمـرُهُ … يسـيرُ صباحٌ به أو ظـلامُ
ليالٍ تمرّ كمرّ السـحا … بِ والصبحُ فيهنّ برقٌ يشامُ
جناياتُهنّ علينـا البِــلَى … وأعذارُهنّ إلينا السَّقامُ
لها كلَّ يوم بنـا وقعـةٌ … فهـلّا تناوبَ عامٌ وعامُ ؟
نلوم الطبيبَ ومـا جُرمُـهُ … وداءُ المنيَّـة داءٌ عُقـامُ؟
إذا فَذْلكَ (٢) العيشُ عمرَ الفتى … فسيّانِ ما خلفه والأمامُ
وما يعصِمُ المرءَ من حتفـهِ … "عِراقٌ" يَحُلُّ به أو "شآمُ"
بأيّ حمًى مانعٍ يُسـتبحارُ … إذا لم يُجِرْ "زمزمٌ" "والمَقامُ" !

(١) الذابلات الطوال : الرماح . (٢) فذلك ، : فذلك الحاسب حسابه أى أنهاه وفرغ منه

ظِبـاءُ البطاح لهـا مَصرَعٌ ... وعُصْمٌ (١) لهـا بالجبالِ آعتصامُ

إذا الدَّوحُ (٢) مالت به العاصفاتُ ... فلا ريبَ أن ستميلُ الثُّمامُ (٣)

وهل نافعٌ لك طولُ الجماحِ ... وفى يدِ صَرفِ الزمانِ الزِّمامُ؟!

يحــدِّثُنـا بالفَنـاء البقـاءُ ... ويُخـبرنا بالرحيـلِ المقـامُ

بهذا قضى الدهرُ فى أهـلهِ ... تمـرُّ فِئامٌ (٤) وتأتى فِئـامُ

يعلِّلنـا برَضـاعِ المُنَى ... وعمّا قليـلٍ يكـون الفِطامُ

نذُمُّ حـذارا بلوغَ المشيبِ ... كأنَّ لعصرِ التصـابى ذِمامُ

وما يحـذَر اليَفَنُ (٥) العُـدْمُلِـ (٦) ـىُّ إلا الذى يتقيـه الغـلامُ

عذَرنا الزمانَ بمـوت اللئامِ ... فما عذرهُ أن يمـوتَ الكرامُ؟

علينا يحـرِّمُ قتـلُ النفوس ... فكيف أُحِلَّ عليـه الحـرامُ

مَناسـكُ منهوجةٌ بالـوجَى (٧) ... يَجُبُّ (٨) على إثرهن السَّنامُ

لعمرُك ما المـرءُ إلا خَيالٌ ... ولا لذّة العيش إلا منـامُ

ألا أيّهـــذا اللبيبُ آتئـدْ ... ومثـــلُك من رامَ مالا يرامُ

ترفّق رويدكَ ، إن السّـلوّ ... مُراحٌ اليـه يعـودُ الأنامُ

وعادتك الصبرُ إن قعقعتْ ... صواعقَهنَّ الخطوبُ الجسامُ

---

(١) عصم : جمع أعصم وهو تيس الجبل يعتصم به . (٢) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة .
(٣) الثمام : نبت ضعيف . (٤) الفئام : الجماعات . (٥) اليفن : الشيخ الكبير الفانى .
(٦) العدملى : كل مسن قديم . (٧) الوجى : الحفا من كثرة السير . (٨) يجب : يقطع .

تمــرُّ عليـــك مرورَ الريا ح زاحمها «يَذْبُلٌ» أو «شَمامُ»[(١)]

تلوثُ الرداء وتُرخِى الإزا[(٢)] ر فى موقفٍ شُدَّ فيه الحِزامُ

يعزِّيك عقــلُك عمّن مضى وعلمُــك أن ما لشيء دوامُ

ونفسُك أبلغُ من واعــظٍ وأكبرُ ان يزدهيها الغــرامُ

وأنت تعـــلَمُ كيف الثبــا تُ إنزعزعتناالخطوبُ الجسامُ

تحمَّــلُ أثقالَهــا مُهْــوِنا وللــبُزْلِ[(٣)] لو حَملتْهــا بُغــامُ[(٤)]

إذا الحزن لم يُعد الذاهبينَ فـــا هو إلا الجــوى والأثامُ

فراقُ الشقيقــة أشجى فراقٍ أذيلت[(٥)] عليه الدموعُ السِّجامُ

وفقــدُ الفتى صِــنوَه فادحٌ على الحزن فى مثـله لايلامُ

ولكن يريك الثنايا الجليــدُ[(٦)] وفى حبّة القلب منه ضِرامُ

وعينُــك إن غلطتْ بالبكاء فقـــد علّمتها يداك الغمامُ

فسَقيًــا لمودَعةٍ فى الصَّعيــدِ[(٧)] تُعزَّى الخدورُ بها والخِيــامُ

ولم نــر دُرًّا ولا زهــرةً من التُّرب أصدافُها والكِمامُ

أنلتمس السُّحبَ تسقى ثراكِ وجُود أخيك الغيوثُ الرِّهامُ[(٨)]؟

وتُسحَب فيــه ذيولُ النسيم ومن عَرفِهِ[(٩)] تَستَمِدُّ المُــدامُ

(١) يذبل وشمام : جبلان . (٢) تلوث : تلف . (٣) بزل : جمع بازل وهو الجمل المسن (٤) البغام : صوت الإبل فى حنينها . (٥) فى الأصل «أذبت» وهو تحريف . (٦) الجليد : الصابر . (٧) الصعيد : التراب . (٨) الرهام : المنهمرة بالماء . (٩) العرف : رائحة الطيب .

لِفقــدانها ما تحنُّ القِلاصُ (١) وتندبُ فوق الغصون الحَمامُ

فيا جبل "الطُّورِ" لافارقتكَ سحـائبُ يُشفَى بهنَّ الأُوامُ (٢)

يَقِفْنَ حوافــلَ فى عَرصتِهِ (٣) لكَ حتى تُساوى الوِهادَ (٤) الإِكامُ (٥)

تخصُّك بالماخضاتِ العشارِ (٦) وغــيرُ رباكَ لهنَّ الجَهـامُ (٧)

ولو كنتِ آبيةً بالخصام لمـا عزَّ فينا الخميسُ اللُّهامُ (٨)

وخيــلٌ تَكدَّسُ (٩) بالدارعين (١٠) مقـابرُ فُرسانهنَّ القَتـامُ (١١)

ولكنهـا حالةٌ فــرضُهـا علينـا تحيَّتُنـا والســلامُ

* * *

وقال فى بعض الأغراض :

عساهـا تنجـلى وخلاكَ ذمٌّ (١٢) وماءُ الوجه فى الوجَناتِ جَمٌّ (١٣)

ولم يَجـرِ السؤالُ على لسانى ولا ندًى يدى بحـرٌ خِضَمٌّ

سيحرُسنى التجمُّل من أناس هُمُ عنّى بداء البُخــل صُمُّ

---

(١) القلاص : الإبل الفتية واحدها قلوص . (٢) الأوام : العطش الشديد . (٣) العرصة : الفضاء أمام الدار . (٤) الوهاد : جمع وهد وهو ما انخفض من الأرض . (٥) الإكام : جمع أكمة وهى ما ارتفع عن الأرض . (٦) الماخضات العشار : التى دنا ولادها بعد عشرة أشهر ، والمراد بها السحائب المنهمرة بالماء . (٧) الجهام : السحاب الأبيض لا ماء فيه . (٨) الخميس اللهام : الجيش من خمس فرق ، واللهام الكثير كأنه يلتهم كل شىء . (٩) تكدس : يركب بعضها بعضا من شدة ازدحامها . (١٠) الدارع : لابس الدرع . (١١) القتام : الغبار يثار فى الحرب . (١٢) خلاك ذم أى لا يلحقك الذم . (١٣) الجم : الكثير .

حمائى زادَهــم بطنٌ خميصٌ (١) ... على الجُــلَّى وعِرنِينٌ (٢) أشَمُّ

فقد سقَّيتُ بَرْدَ اليأسِ منهم ... فـؤادا من رجائهمُ يُحَمُّ

وكيف أكلِّف المعروفَ قوما ... سـواءٌ عنـدهم مدحٌ وذمُّ

تُلاقِى المكرماتُ بهم هـوانا ... كما يلقىَ بذى الرَّوقِ (٣) الأجَمُّ (٤)

اذا ضحِكوا الىَّ رأَوْه بِرًّا ... أكلُّ الـبِرّ تقبيـلٌ وضمٌّ ؟ !

يرَوْنَ عقوقَ ما كنزَوا حراما ... هل العَرَضُ المسومُ أبٌ وأمٌّ

وكم من شيمـةٍ دفواءَ (٥) فيهم ... تفـوح لو انّ أخـلاقاً تُشَمُّ

ستأتيهم قوافٍ شـاردات ... بأنسـاعِ (٦) المخـازى لا تُـزمُّ

مقالٌ فى النفوسِ له دبيبٌ ... وبعضُ القولِ فى الأعراضِ سُمُّ

فإعرابُ الفَمِ المِنطيقِ فتحٌ ... متى أضحى بناءُ الكفِّ ضمُّ

✦ ✦ ✦

وقال فى طائفةٍ من أهل الزمان :

أيا بؤسَ قومٍ حسانِ الشخو ... صِ لكن حُشُوا بطباعِ النَّعَمْ (٧)

يزينهمُ فى جفونِ الغبىِّ ... حُـلِىُّ الغِنَى وثيابُ النِّعَـمْ

حدوناهمُ بفصيحِ القَـريضِ ... فمـا آستحسنوا منهُ غـيرَ النغمْ

---

(١) الخميص : الضامر . (٢) العرنين : الأنف . (٣) الروق : القـرن . (٤) الأجم : — من الكباش — مالا قرن له . (٥) الدفراء : المنتنة . (٦) أنساع : جمع نسع وهو حبل عريض تشد به الرحال . (٧) النعم : الإبل — والمراد بها هنا البهائم — .

وكان الذى خاض أسماعهم ... سواءٌ ونقرات زِير وبَمّ (١) (٢)

وقد جعلوا عذر حرماننا الـ ... ـشواب خلوّهم من فهم

وهبْ أنهم جهلوا ما نقولُ ... فأين السخاء وأين الكرم!

أغرّهمُ كَتبُنا فى الرقا ... ع : نحن العبيدُ ونحن الخدَمْ!

ومن دون ذلك تُشوَى الوجوهُ ... وتُقذَى العيونُ ويُفرَى الادَمْ (٣) (٤)

فإن هم أنابوا ببذل النوالِ ... وصلنا الثناءَ كوصل الرحمْ

وإن هم أصرّوا على لؤمهم ... وهبنا ثناياهمُ (٥) للندمْ

اذا جاوزوا الحدّ فى منعهم ... خلعنا الحياء وجزنا اللَّمَمْ (٦)

⁂

وقال :

تمدحُ "عمروا" وتُريد رِفدا ... ياما خض الماء عَدِمتَ الزُّبْدا

رأيتَ منه شارةً (٧) وقدّا ... ومِشْوَذًا (٨) مُفوّفا (٩) وبُردا (١٠)

خلتَ إنسانا فكان قِردا ... يا ربما ظُنّ السرابُ وِردا

---

(١) الزير : الدقيق من أوتار العود . (٢) البم : الغليظ من أوتار العود . (٣) يفرى : يشق . (٤) الأدم : الجلد . (٥) الثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم : — ثنتان من فوق وثنتان من أسفل — ، وفى الأصل هكذا «ساياهم» (٦) اللم : صغار الذنوب :
(٧) الشارة : الحسن . (٨) المشوذ : ما يعتم به . (٩) المفوف : ما فيه خطوط بيض على الطول . (١٠) البرد : الثوب .

* * *

وقال :

زمانٌ فاسدُ النظـرِ مُصاحبهُ على خطَرِ

وقــومٌ إن عَددتُهمُ فليس القومُ من نفرى

سمعت بهم فغرُّونى وليس الخُبْرُ كالخَبَرِ

عجِلتُ إلى مديحهمُ وذلك شيمةُ البَشَرِ

فما فهموا مدائحَهم ولا قضَّوْا بها وطَرى

نَخِلتُ قصائدى حُللا مُجَيَّبـةً[1] على بقــرِ

* * *

وقال :

وزيرٌ رَضِى من بأسِـه وانتقامِـه بطَىِّ رِقاعٍ حشوُها النظمُ والنـثرُ

كما تسجع الوَرقاء فوق غصـونها وليس لهـا نهىٌ يطـاع ولا أمرُ

* * *

وقال :

تُعابُ معاشرٌ وَكَلوا البرايا إلى تدبير ذى رأيٍ أفينِ[2]

وماغلِطوا، رأَوا سفهَ الليالى فداووْا بالجنون من الجنونِ

---

(١) مجيبة : مجعولا لها جيوبا . (٢) الأفين : الضعيف .

وقال :

نُبّئت أنَّ فلانا قد شحا فمه [1] ... فقلتُ : مهلاً، كذاك العَيرُ نَهّاقُ [2]

من أين للنَّبطيِّ [3] القَـدْم [4] معرفةٌ ... هل يُنبِت النَّبعةَ [5] الصفراءَ رُستاقُ [6]

وكيف يفهم قلبٌ دون فطنته ... من البـلادةِ أبوابٌ وأغـلاقُ [7]

ياثورُ! خلِّ لروضِ الحَزْنِ [8] زهرتَهُ ... فإنّ مرعاكَ قُـلّامٌ وطُبّـاقُ [9]

ولا تراعِ نجوم الفضلِ ترصدُها ... فغيرُ خافٍ على الحسّاب أرزاقُ

نبذت عِرضَك نبذَ النعلِ مُخلَقةً [10] ... وكيف يُلبَس ثوبٌ وهو خُرّاقُ [11]

وقال :

زوِّج اللهوَ بابنـةِ العنقـودِ ... خاطبًا بالبسيط أو بالنشيـدِ

وتمام الإملاكِ [12] فى شاهـدَىْ عَد ... لِ هما فى حضور نايٍ وعـودِ

فإذا ما جمعتَ ذاك فقد فـز ... تَ بعقـدٍ يسودُ كلَّ العقـودِ

(١) شحافه : فتحه . (٢) العير : الحمار . (٣) النبطى : منسوب الى جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم — ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم — . (٤) القدم : البعيد الفطنة والعيى عن الكلام . (٥) النبعة : واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قلة الجبل . (٦) الرستاق : السواد وهو الريف — ومنه : سواد العراق، لما بين البصرة والكوفة ولما حولها من قراها — . (٧) أغلاق : جمع غلق وهو ما يغلق به الباب . (٨) الحزن : ضد السهل ورياضه أنضر وأزهر . (٩) القـلام والطباق : ضربان من الشـجر . (١٠) المخلقة : البالية . (١١) الخـراق : الكثير الخروق . (١٢) الإملاك : التزويج .

*
* *

وقال :

ياشهوةَ النومِ وما لذّتُهُ جِسمٌ تغشّت قلبَهُ غفلتُهْ
هل هو إلا ميتةٌ عُجِّلتْ وإنما قد قُربت رجعتُهْ

*
* *

وقال فى الغزل :

يسائلنى مـا حاجتى فى دياره غزالٌ بأوطار الفـــؤاد عليمُ
ستشهدُ لى عيناه أنهما الهوى ومبسمُه أنّى عليـه أحـــومُ
أتُظهِرُ فى عرفانِ مابى جهالةً وما أحدٌ فى الناس منك سليمُ
وكيف يداوِى داءَ قلبِىَ باخلٌ على طَرفِهِ بالبُرء وهـــو سقيمُ
أرقِّع فيك الودَّ وهـو ممـزَّقٌ وأرعَى ذمامَ العهدِ وهو ذميمُ
وفى دون مالاقيتُ للمرء زاجرٌ ولكنَّ عِرْقى فى الوفاء قـديمُ (١)

*
* *

وقال فى مثله :

يقولون: راجعْ صاحبَ الرأى واطَّرِحْ هواكَ فمـا تُغنى الدمـوعُ السواجمُ
ولو أنه بالعقـــل يَعشَق عاشـــقٌ لمـا آزدوجتْ أطيارُهـا والبهـائمُ
أليست عـلى أُلّافهـا بجهـالةٍ يحـاربُ شِـبهٌ شِبهَـهُ ويخـاصمُ

---

(١) فى الأصل هكذا « ولا لز » .

⁂

وقال فى مثله :

« بالجِزْعِ » ذى السَّمُراتِ[1] لى قمَرٌ غلبَتْ عليـه سحـائبُ الأُزُرِ[2]

أرسلتُ أنفـاسى فـا ٱنقشعتْ عنـه وجاد الطَّـرفُ بالمطــرِ

⁂

وقال فى البَرَد ٱرتجالا :

ياطيبَ يومٍ حَجبتْ شمسَهُ سحـائبٌ تُمطِــرُ كافـورا

لمـا توارت تحت أستارِها مجَّت لنـا من ريقها نورا

⁂

وقال فى الأكثر من أهل الزمان :

إذا كان هذا الجهلُ قد شاعَ فى الورى فـذو العـلم فيا بينهم هـو جاهـلُ

فإن قال مالم يعرفوا قـدرَ لفظِه ولا قيمـةَ المعنَى ، فـا هـو قائلُ

وإنْ هـو بالصمت ٱستجارَ لسانُهُ فنى الصمتِ ذو نقصٍ سواءٌ وفاضلُ

فليس له غـيرَ التجاهــل ملجأٌ وأصعبُ شيءٍ عالمٌ متجاهــلُ

وكنّـا سمعنـا فى الزمان «بباقـلٍ» وهــذا زمانٌ كلُّ أهليـه « باقلُ »[3]

---

(١) السمرات : جمع سمرة وهى شجرة من العضاه تغشى البيوت بخشبها — وليس فى العضاه أجود خشبا من السمر — . (٢) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٣) باقل : رجل يضرب به المثل فى العى .

***

وقال :

هززناكُمُ بالمــدحِ نَجنِى ثمارَكم ... ونحلُبُ من أخلافِ(١) وُجدِكُمُ(٢) وَفْــرا

فــلم نحــظَ من رِيحِ الثنــاءِ بطــائلٍ ... فرُدُّوا كأسَ المــالِ أو بعضَه شِعرا

فإن أنتمُ لم تنصفــونا فإننــا ... سنقتصُّ من أعراضكم ذلك الــوِتْرا(٣)

إذا المنــعُ والإعطــاءُ كان خيــارُه ... إليــكم تخــيرّنا المذمّةَ والشــكرا(٤)

فــلا تحســبوا أنّا إذا نلــتم الغنَى ... ولم تُشركونا فيــه نُوســعكم عــذرا

***

وقال فى مثله :

بِتنا على «الزَّوراء» نهــدِمُ كلَّ ما ... بَنَتِ القــلوبُ من الأمانى الزُّورِ

لمــا لقينا من تُجاهِك عصبةً ... نضحَتْ بشكواها ذَفَارَى(٥) العِــيرِ

إنّ امرأً سلــكتْ إليــك ركابُهُ ... بِجًّا لقــد دلَّى بحبــلِ غرورِ

***

وقال فى سحابٍ و برقٍ ومطرٍ و بَرَد :

غــرّاء تحسبها عُمودًا كلّمــا ... شهَــرَتْ بوارقُها بها أسيــافا

---

(١) أخلاف : جمع خلف — بكسر الخاء — حلمة الضرع . (٢) الوجد — مثلثة الواو — : الغنى والسعة . (٣) الوتر : الثأر . (٤) فى الأصل «المدح» ولعله تحريف (٥) ذفارى : جمع ذفرى وهى فى الحيوان من لدن المقــد الى نصــف القذال ، وقيــل : هى العظمة خلف الأذن .

كُسِيَ الثَّرَى لمّا همَتْ فطنتها بالحَزْنِ (١) عِيرا (٢) أُوقرت (٣) أفوافا

وتناثرت دُرَرا عليه دموعُها لما جَمَدن خلتُها أصدافا

✦ ✦ ✦

وقال :

قالوا : ذر الشعرَ وكن عائذا بالله يصرفْ عنك شيطانَهُ

فى الناس جَهلٌ وبهم شِرَّة لأجل ذَيْنِ صغَّروا شانَهُ

لم يفقهوا اللفظ ولم يفهموا الـ ـمعنَى ولا يَدرون ميزانَهُ

فكلُّهم يُنكر رُجحانَه وكُلُّهم يجهلُ نقصانَهُ

قلتُ : أمن أجل عمًى فيهمُ لا يُظهر المعدِنُ عِقيانَهُ !

هبُوا لسانى راعيا ناعقا دعا بما تجهلُه ضانَهُ ،

قد يُطربُ القُمرىُّ أسماعَنا ونحن لانفهم ألحانَهُ

✦ ✦ ✦

وقال :

أحاط بيَ العُذّال حتى صرفتُهم بأنّ الهوى طبعٌ ولا يُنقَلُ الطبعُ

رأَوا كلَّ ما أبصرتُه أنا عاشقٌ وما تسمع الأذنانِ ليس له نفعُ

فقالوا ــ وقلبي ليس يقبَل نصحَهم ــ : أخونا له عينٌ وليس له سمعُ

---

(١) الحزن : ضد السهل ؛ واسم موضع . (٢) أوقرت : حملت وأثقلت . (٣) أفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن ، أو هو قطع القطن .

*
* *

وقال فى الشَّيب :

تخاوصت[1] الحسناءُ عن شَيب لِمَّتى[2] ولم تلتفت إلى سنىّ القلائلِ

وليس بياضا ما رأت من شُعاعِهِ ولكنّه نُور النُّهى والفضائلِ

*
* *

وقال يعاتب صديقا له :

كان الوداد منغّصا[3] لوُشاتنا ولو ارتموا ما بيننا بفواقرِ[4]

تُحظى ظواهرُنا فنُغمِضُ عيننا[5] عنها ونطمحُ[6] فى صوابِ ضمائرِ

متحلِّى عُقَد الضغائنِ كلّما نصبَ الحسودُ لنا حِبالةَ ماكرِ

أيامَ لا عِرسُ الإخاء بطالقٍ منّا ولا أُمّ الصفاءِ بعاقرِ

فالآن أقلقنا الحسودُ كما اشتهى فينا ونفّرنا صفيرُ الصافرِ

وكأنّما كانت وساوسَ حالم تلك المودّةُ أو فكاهةَ سامرِ

ومتى ثكلت مودّةً من صاحبٍ فلقد عدِمت بها سوادَ الناظرِ

ولذاك نُحتُ على إخائك مثلما ناحَ الحمامُ على الربيعِ الباكرِ

هيهات لستَ بواجدٍ من بعدها مِثلى ببذلِ بضائعٍ ومتاجرِ

---

(١) تخاوصت : غضت من بصرها . (٢) اللمة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .

(٣) فى الأصل « مفصصا » . (٤) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تكسر الفقار وهى عظام الظهر . (٥) هذا الشطر مشوّه فى الأصل ؛ وفى مختارات البارودى هكذا :

* تحظى ظواهرنا فيغمض عتبنا *

(٦) كذا بالأصل وتحتمل أن تكون « ونطمع » .

لا تَنبِـذ الخُـلّانَ حولك جَمْـرةً (١) ... فالعينُ لاتبـقى بغَـير مَحاجرِ

ما كنتُ أحسبُ أنّ صِـبغةَ ودِّنا ... ممـا تحولُ عــلى الزمان الغـابرِ

ولـو آننى حاذرتُ ذاك فـديتُها ... منـــه بلونِ ذوائبى (٢) وغـــدائرى

لكنَّ كـلَّ غريبـةٍ وعجـيبةٍ ... من فعلِ هـــذا المَنْجَنونِ (٣) الدائرِ

فلئن أقمتَ على التصارُم (٤) لم تجـدْ ... رَبْيًا سِوى عَتْبِ الحبيب الهاجرِ

وإن آستقلتَ أقلتُهـا وجزاؤهـا ... منّى مَثوبةُ تائبٍ من غافـرِ

حتى ترى سُحُب الوصـال معيدةً ... ذاك الهشيمَ جمـيمَ (٥) روضٍ ناضرِ

إن الغصونَ يعودُ حُسنُ قَوامِها ... من بعـــد ما مالت بهزِّ صراصِرِ (٦)

أنا من علمتَ إذا المناطقُ لجلجتْ ... ألفاظها أو غامَ أُفْـقُ الخـاطرِ

ما بين ثغرى واللّهازِم (٧) بَضعةٌ ... هدرتْ بشِقشقةِ الفنيقِ (٨) الهـادرِ

متحكّمٌ فى القـــول ، يلقُط دُرَّه ... غَوصِى ولو من قعر بحرٍ زاخرِ

واذا نثرتُ سمَت بلاغةُ خاطبٍ ... واذا نظمتُ علتْ فصاحةُ شاعرِ

لى فى مطايا الفضـلِ كلُّ شِمِـلَّةٍ (٩) ... أبـــدا أرحِّلهـا لزادِ مسافـرِ

كم موردٍ عرضَ الزُّلالَ لمشربى ... روَّعتُــه وجفعتُـــه بمصـادرى

(١) جمـرة : ناحية . (٢) ذوائب : جمـع ذؤابة وهى منبت الناصية من الرأس .
(٣) المنجنون : الدولاب . (٤) التصارم : التقاطع . (٥) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٦) صراصر : جمع صرصر وهى الريح الشديدة الهبوب والبرد . (٧) اللهازم : جمع لهزمة وهى مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن . (٨) الفنيق : الجمـل المكرم لا يركب لكرامته على أهله . (٩) الشملة : الناقة المسرعة .

إن رثَّ غِمدى لم ترِثَّ مَضار بى أو فُـلَّ حدّى لم تُفَـلَّ بصائرى

تأتى جيادى فى الرِّهان سوابقـا وجيادُ غيرى فى الرعيـلِ[1] العاشرِ

وبمجالسُ العلماء حشوُ صـدورها أنا ، والذُّنابَى للجهــول الحـائرِ

إن قال أقـوامٌ علَّى مَناقصـا لم يضرُر الحسنـاءَ عيبُ ضرائرِ

لو لم تكن فى وســـط قلبى حَبَّةً لسلوتُ عنك سُلُوَّ بعضِ ذخائرى

ولقلتُ : ما هـــذا بأوّلِ ناقضٍ عهــدا ولا هـــذا بأوّلِ غادرِ

لكن حللتَ من الفـــؤاد بمنزلٍ أصبحتَ فيه ربيبَ بيتٍ عامرِ

شِــيَمى على جَوْر الزمان وعدلِه أنى أقــولُ : لَعًـا[2] لرِجلِ العاثرِ

* * *

وقال يستهدى بعضَ أصدقائه مدادا :

هل فى جُنوبِ «اللِّوى» وجدٌ فأطربَهُ بأنّـــةٍ أرسلَتْهـا حَنَّـــةُ العِـيرِ؟

أم روضةُ الحَزْنِ من دمعى على ثقـةٍ فــلا تحيِّى حيَا الغُـــرِّ[3] المباكيرِ

ومن يكن غرّه فى الحبّ غادرُه فقـــد هَوِيتُ ولُبِّى غيرُ مغـــرورِ

وما ركبتُ الهوى إلا وقـد علمتْ نفسى بمـا فيه من هول وتغريرِ

أغشَى الخيـامَ بذلٍّ ليس يطـــرُدُه لَقتُ الخـدودِ وإعراضُ الأساريرِ[4]

---

(١) الرعيل : القطعة القليلة من الخيل .

(٢) لعا : كلمة تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش .

(٣) الغر المباكير : السحاب تمطر فى أول الوسمى .

(٤) فى الأصل « الأساوير » وهو تحريف .

دون الأمانىِّ فيهـم كلُّ لاذعةٍ   والشَّهـدُ من دونه لسعُ الزنابيرِ

ما للزمان تُحـلِّى لى خدائعُـهُ   أكلَ المُـرارِ [١] بأنواعِ الأزاهـيرِ

لا يَتبع العينَ قلبى وهى تابعـةٌ   وكيف طاعةُ ذى أمرٍ لمأمـورِ

وصاحب لا يدُ التجـريب تنقُـدُه   ولا سبائكُهُ تصـفو على الكِـيرِ [٢]

يسىءُ حـتَّى اذا فاحت إساءتُه   رمَى وراء الخطـايا بالمعاذيرِ

تركتهُ بعبـاءِ الغِـلّ مشـتملا   يُكنُّ للغيظ جُرحا غيرَ مسـبورِ

حاشَ الذى شفَّ لى عن كلّ خالصةٍ   كأنَّ كَشحيـه صِيغا من قواريرِ [٣]

لا يحتـبى ببيـوت النـافقاءِ [٤] ولا   يروح مشـتملا ثوبا من الزورِ

أيا ابنَ ودِّى انتسابا مالَهُ رحِـمٌ   إلا الذى فيك من فضـلٍ ومن خيرِ ،

إليـك أشـكو مشيبا لاح بارقُـهُ [٥]   فى فـرع دهمـاءَ تجرى بالأساطـيرِ

كانت مَفارِقهـا مسـكا مضمَّخةً   فـا لهـا بُدِّلت منـه بكافـورِ

ومقـلةٌ عُهِـدتْ كحـلاءَ مرهُها [٦]   طـولُ البكاءِ على بيـض الطـواميرِ [٧]

كانت دجَى حسَـد الإصبـاحُ لِمتَه [٨]   بجُـزّها بحسـامٍ منـه مشهـورِ

---

(١) المرار : شجر اذا أكلته الإبل قلصت مشافرها لشدة عفوصته . (٢) الكير : زق ينفخ به الحـداد . (٣) القارورة : الزجاجة . (٤) النافقاء : ناحية جحر الضب التى يخفيها لينفق منها إذا أتى من قاصعائه وهى باب جحـره الظاهر . (٥) يريد أن الحبر أبيض من كثرة خلطه بالمـاء فكنى عنه بالمشيب . (٦) مرهها : أخلاها من الكحل . (٧) الطوامير : جمع طامور وهو الصحيفة ، — وهو يصف بهذه الأبيات الدواة — . (٨) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

يا حبّذا هي والأقــلامُ واردةً فيهـا وصــادرةً سُحْــمَ المناقـــيرِ (١)

كأنّمـا كَرَعَت في ناظـــرَيْ رشإٍ (٢) أو في سُـــويداءِ قلبٍ غير مسرورِ

تَحوى القراطيسُ منهـا روضةً أُنُفاً (٣) فيهـا مُفاخَـــرة الظلمـاءِ للنّـــورِ

فكيف لي بخضـابٍ تســترِدُّ به (٤) من الشـبيبة لونا غير مهجـورِ

ذؤابة النــار شـــطرٌ فيـــه معتمـدٌ وفيـــه للنَّحـــل شـطرٌ غير مبرورِ

قــد أحكمته يدُ الطاهي فناشَـــله (٥) يجـاذب القـوس عن نزعٍ وتوتيرِ

فجـاءنا بغُـدافٍ (٦) لا تسابقـــه شُهبُ الـبُزاةِ الى نحْـــرٍ وتنفـــيرِ

لو أنّ صِبغتَه فاز الشبـابُ بهـا لمـا رمَى الدهـــرُ فَوْدَيْهِ (٧) بتغيـــيرِ

وحاجة النّقس (٨) إن قلّت و إن كثرت — اذا سمحتَ بها — مثلُ الدنانيرِ

* * *

وقال يستهدى أقلاما :

ما زال يكشِف عنّي كلَّ طارقـةٍ ما خـوَّل الله من صُمِّ الأنابيبِ

إن أمطرتْها بنانٌ جاش غاربُهـا (٩) على المهَـارِقِ (١٠) منهـــلَّ الشآبيبِ (١١)

---

(١) سحم : جمع أسحم وسحماء وهى السوداء . (٢) كرعت : شربت . (٣) الروضة الأنف : التى لم تطأها قدم . (٤) يريد الحبر . (٥) ناشله : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة . (٦) الغداف : الغراب الأسود — وهو كناية عن الحبر — . (٧) الفود : الشعر فى جانب الرأس . (٨) النقس : الحبر ؛ وفى الأصـل " النفس " وهو تصحيف . (٩) الغارب : معظم الماء . (١٠) المهارق : الصحف . (١١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

حتى بلغن الى الغـايات حاسرةً | هُتْمَ(١) السنـابك(٢) من بدءٍ وتعقيبِ
واحتضرتْها المُدَى(٣) نحتًا وقد فُلقتْ | هاماتُها بين تصعيدٍ وتصويبِ
فعادَ من طول ما يسرى عَشَنَّقُها(٤) | مدغَّما(٥) بين أطرافِ الرواجيبِ(٦)
وعنـدك الدوحةُ العليـاء تُنبتهـا | مَنابت النبع(٧) فى شُمّ الشَّنـاخيبِ(٨)
فقُدْ الىَّ جيادا من ضوامرِها | صمَّ السنابك(٩) سَبْطاتِ الظَّنابيبِ(١٠)
تختـال فى حَبِرَات الوشى تائهـةً | على متون العـوالى والقواضيبِ(١١)
لو أن بعض غصون الأيك أشبهها | ألهى الحمائمَ عن شـدوٍ وتطريبِ
ولـو يبايعنى الخَـطِّىُّ(١٢) أنفَسـه | لم أعطِه شـطرَ أُنبوبٍ بأنبوبِ
وحَملُ كفّى على الأقـلام تُرسلها | يطاب(١٣) حملى على الجُردِ(١٤) السَّراحيبِ(١٥)
لا يملِك الفارسُ المغوارُ شِـدّتَهُ | ولا بسالتَه إلا بمركـوبِ

(١) هتم : جمع هتماء وأهتم وهو الذى سقطت أسنانه . (٢) السنابك : أطراف السيوف واحدها سنبك . — والمراد بها هنا أطراف الأقلام — . (٣) المدى : جمع مدية وهى السكين — والمراد بهـا المبراة — . (٤) العشـنق : الطويل ليس بضخم ولا مثقل . (٥) مدغما : مسود الوجه . (٦) الرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، واحدها راجبة . (٧) النبع : شجر ينبت فى أعلى الجبل . تتخذ منه القسى ومن فروعه السهام . (٨) الشناخيب : جمع شنخاب وهو أعلى الجبل . (٩) صم السنابك : صلاب أطراف الحوافر — والمراد بها الأقلام — . (١٠) سبطات الظنابيب : لينات حروف السيقان ، واحدها ظنبوب . (١١) العوالى والقواضيب : الرماح والسيوف . (١٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى مرفأ السفن بالبحرين — يقال : رماح خطية — على الوصف — ، ورماح الخط — على الاضافة — . (١٣) فى الأصل هكذا « الطابـ » . (١٤) الجرد : الخيـل القصيرة الشـعر ، واحدها أجرد وجرداء . (١٥) السراحيب : جمع سرحوب وهى الفرس الطويلة — توصف به الإناث لا الذكور — .

* * *

وقال يستهدى كاغِدا[1] خراسانيا :

تظنُّ فراقا أن تثار حُمــولُ ... وهل مثلُ إعراض الوجوهِ دليلُ؟
و إنّ الصدودَ والتجنّى و إن دنت[2] ... ديارهُــمُ وخدٌّ لهــم وذميــلُ
وكان شفاءٌ لى لو آن طُلولهَــم ... خُلقنَ ركابا والركابَ طــلولُ
كأنّ الحمَـامَ الوُرقَ حاد غصونه ... لِيُدركَهــم، والبــانُ كيف يزولُ!
ألا إنهــم كالخمــر أحسنُ صنعِها ... إلى شاربيها أن تزولَ عقولُ
تروون يا آل «المُهيا» سَرحــكم ... وبآبن أبيــكم فى الفـؤادِ غليــلُ!
ومالى إلى ماء الســحائب حاجةٌ ... ولكنْ يبينُ جائدٌ و بخيــلُ
أيوعدنى الأقوام أن ودّت المُنَى ... بأنّا لبعض الفــاركاتِ[3] بعُــولُ!
يقولون: كرُّ الطَّرف فى السِّرب غارةٌ ... عليه، وأطاع النفوس ذُحــولُ[4]
فلا تنذروا سفكَ الدماء لنرعوى ... فكلُّ صريعٍ بالغــرام قتيــلُ
أبى القلبُ إلا حبَّهــا «عامريّةً» ... بها السيف واشٍ والسنان عذولُ
أخافَ الغيورُ السُّبلَ بينى و بينها ... فما إن لنــا إلا الخيال رســولُ!
فياليت أن النجمَ ضــلَّ طريقَه ... وعُمْر الدُّجَى فى الخافقيْن طويلُ

(١) الكاغد : — بكسر الغين وفتحها — القرطاس ، فارسى معرب . (٢) فى الأصــل «نأت» والمعنى لا يستقيم بها ، والوخد والذميل : ضربان من سير الإبل . (٣) الفارك : المرأة التى تبغض زوجها . (٤) ذحول : جمع ذحل وهو الثأر ، وفى الأصل «دخول» وهو تصحيف .

كما طالَ ليلُ الحِبر عندى ومالَه   إلى الضوء من صبح البياض سبيلُ

وظلَّت أنابيبُ اليراع طــريحةً   كما يتلوَّى فى الفــراش عليــلُ

تَشَهىَّ[1] على كفِّى ولو سلخَ أرقـمٍ[2]   تبخــترُ فى أعطافــه وتجــولُ

فمن لى بخزَّانٍ لديه صنيعــةٌ   يجــودُ بمــا جادت به فينيــلُ

وما أنا باغٍ غيرَ تِسعينَ رَيْطة[3]   تكافأَ عَرضٌ عندهنَّ وطــولُ

نواعمَ قــد أفرِغن فى قالَب المُنَى   فكــلٌّ لكلٍّ فى القَوام عديلُ

صحائف لو شئنا لقلنا : صفائحٌ   فمــا منهما إلا أغــرُّ صقيــلُ

إذا صافحتْهنَّ النواظــرُ عاقها   شُعاعٌ يردُّ الطَّــرفَ وهــو كليلُ

وإن زَغزَغتهنَّ[4] البنانُ تضاحكتْ ،   قَهاقهُ فى ترجيعهنَّ صَليــلُ

على مثلهــا يُلقِى الغَيــورُ رداءَه   ويُغــلِى علينا مهرَها فيُطيــلُ

ولكن إلى رِخْو المفاصل فى الندى   خطبنا ، فقد جُرَّت لهنَّ ذيولُ

وأفــوزُ قِدحٍ قــدحُ[5] خِلٍّ رِشاؤه[6]   بحاجاتنا فى الأبعدين كفيــلُ

⁂

وقال يستهدى شرابا :

إن لم أكنْ من راضعى الخمرِ   ولم أداوِ السكرَ بالسكرِ ،

(١) يريد : تتشهى . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الريطة : الملاءة — والمراد بها الورق — . (٤) الزغزغة : تجميش فى المغابن كالإبط وأخمص القدم يحدث عنه انفعال يضطر الى الضحك ، وفى الأصل « زعزعتهن » وهو تصحيف . (٥) القــدح : سهم الميسر . (٦) الرشاء : حبل الدلو — وهو هنا مجاز — .

ولا إذا ما رَكَدتْ خيلُهَا أجريتُها فى حلبةِ الصدرِ :

فإننى أهوَى النَّدامى وما يأتون من خيرٍ ومن شرِّ

وأعشق الكأسَ ، وسلطانُها يأخذهم بالنهى والأمرِ

كأنما الراحُ براحاتهم كواكبٌ فى فَلكٍ تجرى

منتظمو الأيدى بأدوارها كنظمك الأحرفَ فى السطرِ

ياقوتُها الأصفرُ أمواههم يَنْبُتُ فيها زَهَرُ الدُّرِّ

تحظى بها عينى وحاشا يدى منها وحاشا موضعَ البِشرِ

بل ربما طاف بها أهيفٌ أجفانه من صُحُفِ السحرِ

مِن سَبَجِ[1] الإظلامِ أصداغُهُ ووجهُهُ من جوهرِ البدرِ

والراح لا يرضَى سواها قِرًى ولو قَرَيناه من التِّبرِ

إذا علاها زَبَدٌ خلتَه مُحَبَّبًا عليها شَنَبُ[2] الثغرِ

وليس لى مما بها قَطرةٌ يا واكفَ الأنواءِ بالقَطرِ

فحسْبُ بها تُشبِهُ فى عَرفِها عِرضى وفى رِقّتها شِعرِى

أنتَ صَرِيفينِى[3] وقُطْرُبُلِّى وموضعُ الشكرِ من الدهرِ

(١) السبج : الخرز الأسود . (٢) الشنب : ماء الأسنان ورقتها وعذوبتها .

(٣) صريفين : قرية عند عكبراء تنسب اليها الخمر ؛ وقطربل : موضع بالعراق تنسب اليه الخمر أيضا .

* * *

وكتبَ الى أبى الحسَن بن نصر الكاتبِ جوابا عن رُقعة :

لو يهتدى وصبِى إلى شــغَفى ... خُطِمتْ[1] بنا فى غارب[2] الصُّحُفِ

وتركتُ أقــلامى مُفَلَّــةً[3] ... وخواطـرى مترُوحة[4] النُّطَفِ[5]

شـوقا إليك وما رُمِى جلَدى ... بسهامِ هجـرٍ أو نوًى قُـذُفِ[6]

ما مرَّ يــومٌ لا أراكَ بــهِ ... إلا على خطبٍ من الأسفِ

متلفتـا تِلقـاءَ داركُـمُ ... أرنو بعيــنَىْ مغــرم دنِفِ

فاذا طمحتُ لوَى الهوى عُنُقِى ... وإذا جمحتُ فسـائِق كلَفى

وإذا آنصرفتُ فإنمـا جسدى ... ولَّى وقلبى غــيرُ منصرِفِ

من ذا ينيلُ جوارحى أمــلا ... ومــواعدُ الآمال للخُــلُفِ

طَرفٌ نــفَى إنسانَ ناظـرِه ... عنــه آقتناعا منــك بالخلَفِ

والسـمعُ منيِتــه مفاوضـةٌ ... معقــودةٌ فى موضع الشَّنِفِ[7]

ويريد جثمانى مصاحبـةً ... مثلَ آصطحابِ اللام للألِفِ

ومطامعى هـــذى تَصَيُّدُهَا ... كتصيُّد الشَّغواءِ[8] فى الشَّعَفِ

(١) خطمت : جعل عليها الخطام وهو الزمام . (٢) الغارب : مابين السنام الى العنق — وهو ما يلق عليه خطام البعير — . (٣) مفللة : مثلمة مكسورة . (٤) فى الأصل . "مترحة" وهو تصحيف . (٥) النطف : جمع نطفة وهى الماء الصافى — قل أو كثر — . (٦) قذف : بعيدة تقذف بصاحبها . (٧) الشنف : القرط يعلق فى أعلى الأذن — والأصل فيه سكون النون — ، والبيت ورد هكذا بالأصل وفيه تأمل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل « الشعواء » وهو تصحيف . (٩) الشعف : جمع شعفة وهى رأس الجبل .

يا أيّهذا الخــلُّ دعــوةَ مَنْ أثقلتَــه بالقـــرض والسّلَفِ[1]

لا تُسرفَنْ فى الــودِّ معتمــدا رِقّى فإنّ البخلَ فى السَّرَفِ

قد جاءنى القِرطاسُ[2] مكتسيا ببدائع كالدُّرّ فى الصَّـــدَفِ

فكأن راحتَــكَ الربيعُ فــا تُجلى الرّبَى من روضة أُنُفِ[3]

ألقت فُــويقَ مناكبِ مِنَنًــا مضمونها جبرى على الكُلَفِ[4]

حسبى عوارفك التى جمعتْ بين اللُّهَى[5] لى منكَ والشَّرَفِ

* * *

وكتب إليه أيضا :

يا ماءَ "لِينَـةَ"[6] لو نقعتَ أُوامى[7] كانت حياضُك لى كئوسَ مُدامِ

لا يعدِلُ[8] المشغوفُ عن سَنَن الهوى ولو انّ حدَّ العذل غَربُ حسامِ

كيف السلوُّ وليس يَسلُك سمعَـه إلا حنينٌ أو بكاءُ حَمَـامِ

حتى كأنّ القلبَ مدّ حجابَهُ ليرُدَّ عنــه طــوارقَ اللــوّامِ

ولقدعَرضتُ على السلوِّ جوانحى الـ ـحــرَّى فلم يَرهنّ دارَ مقامِ

ما ضرَّ من زار الغــيورَ أمامَـهُ لو زار فى ثوبٍ من الأحلامِ؟

---

(١) فى الأصل «بالفرض» وهو تصحيف . (٢) القرطاس : الصحيفة . (٣) الأنف : التى لم يرعها أحد . (٤) كلف : جمع كلفة وهى المشقة . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٦) لينة : موضع فى بلاد نجد به ركايا عادية وماؤها عذب زلال . (٧) الأوام : شدة العطش . (٨) فى الأصل "يعذل" وهو تصحيف .

جُزْ «باللوى» إن كنتَ تُؤثِر أن ترى — حَـدَق المها (١) وسـرب الف الآرام (٢)

وتأنَّ فى نظـر الحـدور (٣) فبينهـا — صـورٌ تبيح عبادةَ الأصنام

ناضلننا بنوافـذٍ مسمومـةٍ — ووددتُ لو قبِلَتُ سهـمَ الرامى

وكَنَنَّ فى الأيدى خضـابا ناميـا — ونظـيره فى القـلب حبٌّ نامِ

ليس البراقـعُ كاسمها لكنهـا — يومَ الـوداع كنائنٌ لسهـامِ

بينى ومـا بين الكواعب موعدٌ — يلقـى إلى كفّ المشيب زِمـامى

لاينتهى الطيفُ المزاورُ مضجعى — عنّى وفى فَـوْدَىَّ (٤) جُنحُ ظـلامِ

والدهرُ ذو شيئين يصبغ لِمَّتى (٥) — كلتاهمـا بالصبح والإظـلامِ

قد كنتَ بُهمَى (٦)، جعدة (٧)، خسّية (٨) — فبأىّ مـاء صرتَ نَوْرَ (٩) ثغـامِ (١٠)؟

أعلىَّ تقـترعُ الليـالى بعـد ما — غلّت يديهـا شِرّتى وعُـرامى (١١)؟

تلهو بحَوْذان (١٢) «العـراق» ركائبى — وعزائمى ترعَى رياضَ «الشامِ»

لى فى بطـون اليعمَـلات (١٣) مَزادةٌ (١٤) — تُروى إذا غدر الغـديرُ الطـامى

---

(١) المها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية . (٢) آرام : جمع رئم — على القلب — وهو الظبي الخالص البياض . (٣) فى الأصل : «الحدرد» وهو تحريف . (٤) الفود : شعر الرأس من جانبيه . (٥) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٦) البهمى : نبات يشبه الشعر . (٧) جعدة : ملتوية منقبضة مع لين . (٨) خسية : — منسوبة الى الخس — وهـو بقلة معروفة عريضة الورق لينة . (٩) النور : الزهر . (١٠) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر ، كأن جماعتها هامة شيخ — يخاطب الشعر — . (١١) الشرة والعرام : الشراسة . (١٢) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم . (١٣) اليعملات : الإبل . (١٤) المزادة : وعاء الماء .

وإذا الجفانُ الغُرُّ[(١)] طلّقت الضحى — حنَت الظُّبَى[(٢)] من غاربٍ[(٣)] وسَنامِ[(٤)]

كم بازلٍ كوماءَ[(٥)] أخطأها القِرَى — رُدَّت فريضتُها[(٦)] إلى الأَزلامِ[(٧)]

إن القناعة مذ خَطمتُ بحبلها — طمعى تساوت رحلتى ومقامى

فالبِيدُ عندى كالقصور ونهضتى — كتثبُّطى والوُجْدُ كالإعدامِ

ألقَى بنى هذا الزمانِ مُهجهجا[(٨)] — زجرَ الحُداةِ بهيمةَ الأنعامِ

أشخاصُهم لا حِسَّ فى عَرَصاتها[(٩)] — وقلوبُهم ثكلَى من الأفهامِ

حسبى وقد أصبحتُ فذًّا[(١٠)] بينهم — بك يا «أبا الحسَن» الشقيقِ تؤامى[(١١)]

حمَلتْ بنا فى ليلةٍ مزءودةٍ[(١٢)] — أمُّ الهلالِ الغرّ حملَ تمامِ

وتكفّلت ظِئرُ[(١٣)] العلا برَضاعنا — حولَين ما تحصيهما لفطامِ

حتى إذا الآداب شُدَّ نِطاقُها — زُفَّت إلى شُمّ الأنوف كرامِ

يَسبون أبكارَ المعانى حيثما — شنُّوا الإغارةَ وهى غيرُ حرامِ

هذا هو النسبُ الصريحُ وغيرنا — يختال بالأخوال والأعمامِ

لوكان نصلُ إخاىَ يصدئه النوى — لصقلتُه بالوصل والإلمامِ

---

(١) الجفان الغر : القصاع البيض . (٢) الظبى : جمع ظبة وهى حد السيف والسنان وغيرهما — والمراد بها هنا المدى — . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) السنام : أعلى ظهر البعير . (٥) البازل الكوماء : الناقة العظيمه السنام . (٦) الفريضة : ما فرض فى السائمة من الصدقة . (٧) الأزلام : جمع زلم وهو أحد سهام كانوا يستقسمون عليه فى الجاهلية . (٨) مهجهجا : صائحا . (٩) العرصة : ساحة الدار وهى هنا مجاز . (١٠) الفذ : الفرد . (١١) التؤام : الزوج . (١٢) مزءودة : مروعة مذعورة — كناية عن شدتها — . (١٣) الظئر : المرضع .

لكنني والبينُ يحــرُق نابَه　　أفترُّ عن ثغرِ الهــوى البسّامِ

أنتَ النهــارَ تذكُّرى وتفكُّرى　　والليــلَ أحلامى وطيفُ منامى

إن كان أقوامٌ نظامُ فــرائدٍ　　كنتَ النظامَ وسِــلكَ كلّ نظامِ

أنا عن سوابقــك الجيــادِ مقصّرٌ　　ومســلّمٌ يومَ الرِّهَانِ لحــامى

* * *

وقال من قصيدةٍ ولم يُتمّمها :

قلتُ «لعمرو» جَذِلا　　أُشجُجْ[1] بهــا هامَ الفلا

فمــا آجتويتَ مــنزلا　　إلا انتجعتَ مــنزلا

وإنّ من تســجُنه　　أوطــانُــه لمُبتَــلَى

قعيــدةُ الجــدرِ فمــا　　تعــرِفُ إلا المِغــزَلا

أما تــرى الطــائرَ فى　　أُفحــوصه مقلقَــلا؟

يستخدم الجَنــوبَ فى　　جَناحِه وَالشَّــمألا

مخــلّفــا وراءه　　حمــامــةً وجَــوْزَلا[2]

إمــا يصيبُ جازئــا[3]　　من قُــوته أو أجــدَلا[4]

والقــدَر المحتــومُ لا　　يحُــزُّ إلا المَفِصــلا

لمــا رأيتُ الذلّ قــد　　أبــرز نابًا أعصَــلا[5]

(١) أشجج : شق . (٢) الجوزل : ولد الحمام . (٣) الجازىء : ما اكتفى به من الطعام . (٤) الأجدل : الصقر . (٥) الأعصل : الأعوج .

شاورتُ عزمى: ماترى؟ فقـال : هاتِ وهَـلا[1]

إمـا عِتـاقا[2] للنَّجـا ءِ أو هِجـانا[3] بُــزَّلا[4]

* * *

وقال :

أرى الأمـوالَ فى اللؤماء تثوِى وتجتنبُ الــكرامَ من الرجالِ

كذاك الدُّرُّ فى مِلــحٍ أُجاجٍ وليس يكون فى عَذبٍ زُلالِ

* * *

وقال :

قلقلْ ركابَك فى الفــلا ودع الغــوانىَ للقصورِ

فمحالفــو أوطانهــم[5] أمثالُ سُكّان القبــورِ

لولا التغــرُّب ما ارتقَى دُرّ البحورِ إلى النحورِ

* * *

وقال فى الغَزَل :

عينى التى علِقتْ حبائلُكم بهـا والحسنُ للعين الطموحةِ صائدُ

وخدعتمُ سمعى بطيبِ حديثكم ومن الكلام لآلئٌ وفــرائدُ

وتردّد الأنفاسِ ملّكَ عرفكم[6] ما ليس يبلغه العبيرُ[7] الجـاسدُ[8]

---

(١) هلا : كلمة تستعمل للحث . (٢) العتاق : كرام الخيل . (٣) الهجان : الكرام من الإبل . (٤) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٥) فى الأصل «فمخالفى» وهو تحريف . (٦) العرف : الرائحة الطيبة . (٧) العبير : أخلاط من الطيب . (٨) الجاسد : اليابس ، وفى الأصل "الحاسد" وهو تصحيف .

وأحلتمُ قلــبى على أخلاقكم ... فاذا السُّلافة[١] والزلالُ[٢] البـاردُ

وبقى لسـانى وحدَه لى زاجرا ... هيهات، لا غَلَبَ الجماعةَ واحدُ!

وقال فى مثله :

لا تَظُنَّنَّ بى سُلُوًّا وإن كنـ ... ـتُ عزيزَ الدموع بين الجفونِ

إنما يصعبُ الدفينُ من الدا ... ءِ وسهـلٌ ما كان غيرَ دفينِ

وبكاءُ القـلوبِ أسرفُ فى حكـ ... ـمِ المحبّينَ من بكاءِ العيـونِ

وقال يهجو :

أيا وَلد "الحُصَين" وما "حُصَينٌ"؟ ... لـماذا — ضلَّ سعيُك — هِجتَ حَربى

أطلتُ تفـكُّرى فـرأيتُ علمى ... وجهـلُك ضـدَّه فعـرفتُ ذنبى

وما أهجـوك أنك أهـلُ هجـوٍ ... ولكنّى أجـرِّبُ فيـكَ ضربى

وهـل عيبٌ[٣] على شَفَـراتِ سيفى ... إذا استحنتُها فى لحـمِ كلبِ

وقال فيه :

لا تغتبط يا بنَ "الحُصينِ" بصبيَةٍ ... أضحت لديك كثيرة الأعـدادِ

لا فخـرَ فيـك ولا افتخارُ فيهمُ ... إن الـكلابَ كثيرةُ الأولادِ

(١) السلافة : الخمر . (٢) الزلال : الماء العذب . (٣) فى الأصل «عتب» .

***

وقال فى آبن دارَسْت :

قالوا : آبنُ "دارستِنا" وزيرٌ … فقلتُ : لفـظٌ بغـيرِ معـنَى

مثـلُ لديغٍ يُدعَى "سَـليما"(١) … "نَصْرًا" و"فَتحا"(٢) يُسمَى ويُكنَى

كأنّما وجهـه كتابٌ … سـوِّدتَ فيـه ظهـرا وبَطنَـا

بعضُ وُعولِ(٣) الجبـال لكن … أطـولُهـا لحـيةً وقَـرنَا

أقبلَ من "فارسٍ" الينـا … فى عُصبةٍ كالحَمـيرِ لُكْنـا

ظننتُهـم حـولَه شِـياهـا(٤) … والشيخَ تَيْسـا والدَّستَ دَبْنَـا(٥)

يا رائـدا دُلّنـا عليـه … صدقتَ حِسًّا وخِبتَ ظنًّا

***

وقال فيه :

دَستُ الوزارةِ يبتغى حَجَـرا … منكم ليستنجى من الخَبَثِ

أو ليس مفـترضا طهـارتُه … بعد "آبنِ دارَسْتٍ" من الحدَثِ

ثُنِيَتْ أرائكه على شَـبحٍ … خالٍ من الأعراضِ والجثثِ

ولربَّ حىٍّ فى تصـوُّرِه … والمَيْتُ خيرٌ منه فى الجَـدَثِ(٦)

---

(١) يقال للدوغ سليم تفاؤلا بسلامته من لدغته . (٢) فى الأصل «قبحا» وهو تصحيف .
(٣) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٤) شياه : جمع شاة وهى معروفة . (٥) الدبن حظيرة للغنم تعمل من قصب ، فإن كانت من خشب فهى زرب — بكسر الزاى وفتحها — ، وإن كانت من حجارة فهى صيرة — بكسر الصاد — . (٦) الجدث : القبر .

* * *

وقال فيـــه :

لِحَيِ "ابنُ دارَسْتٍ" على إمساكه فأجاب : إنى باذلُ المـاعون(١)

أَوَلم تكونوا بيتَ بيتَ جـوارَنا(٢) فقَـــرَيتكُم بالمـاء فى "كانونِ"(٣)؟!

فأرضوا بأسـقيةِ الزلال قرًى لكم ودعوا الجِفـانَ فإنها بجفـــونى

لا كان زادٌ فى وعائـك إنه سببٌ لطـاعمه من الطـاعـونِ

* * *

وقال عند عزله :

اِرجِعْ الى ما أنت أهـــلٌ لهْ شُـــدَّ متاعَ القـــوم أوحُلَّهْ

قد عثَر الدهـــرُ بكم عثرةً ودَّ بها لو قطعـــوا رِجـــلَهْ

إنّ زمانا "لابن دارستَ" قد قُـــدِّمَ فيـــه زمنٌ أبلَهْ

قد قال عذرا حين وبّختُــه : لا بدَّ للعـالِمِ مِن زَلَّهْ

* * *

وكتب إلى صديقٍ له أهدى إليـه رُطَبا(٤) معسَّلا وصابونا وقواصرَ تمرٍ يشكره .

ودادُك فى قلبي ألذُّ من المُنَى وذكرُك أحلَى فى اللَّهاة(٥) من الشّهدِ

---

(١) المـاعون : المعروف . (٢) يقال : هو جارى بيت بيت أى ملاصقا ، وفى الأصل

* أو لم يكونوا بيت بيت جواركم * والضمائر فى هذا البيت مضطربة فأثبتنا ما رجحناه ليستقيم المعنى .

(٣) كانون : من الأشهر الرومية وهو من قلب الشتاء . (٤) قواصر : جمع قوصرة وهى وعاء من قصب يرفع به التمر من البوارى — وهى الحصر — . (٥) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .

فلستُ بمحتـاج إلى أن تُعينَه — بمـا تجتنْـه البـاسقاتُ من الولدِ
ولكنّما أذكـرتّنى بشـــمائل — جعلنَ على المُهدَى الفضيلةَ للمُهدِى
أتتنا هداياك التى لم نجـــد لهـا — جزاء سـوى الشكر المكلَّل بالحمـدِ
معاليقُ[(١)] باقـوت تخالُ ثقـــوبها — بأبشِيزكاتِ[(٢)] التبر نُظِّمنَ فى عِقدِ
و إنّ نتاجَ النحلِ والنخلِ واحدٌ — وهل بين شكل الحاءِ والخاءِ من بُعدِ
أتت فى مُروطٍ[(٣)] من يراعٍ كأنهـا — من القصَب المصرىِّ تختال فى بُردِ[(٤)]
وقد قدَّرتْ كفُّ الصَّناعِ[(٥)] التئامَها — كتقدير "داودَ" المساميرَ فى السَّردِ[(٦)]
تعـانقنَ فيهـا كاعتناق حبائبٍ — فمـا نتعاطـاهنَّ إلا على جهـــدِ
إذا فـــرقتهنّ البنانُ تشبَّثت[(٧)] — بمثل هَباء الشمسِ خوفا من البُعدِ
وأخرى تجلَّت فى قميص زجاجةٍ — كما ضُمِّن القـنديلُ لألأةَ الوقْـدِ
نفَـوا قلبها القـاسى وآووا مكانَهُ — رقيقا و إن ساواه فى اللون والقدِّ
فـو الله ما أدرى أذاك نَحيتـةٌ[(٨)] — من الزُّبد أم هذا مصوغٌ من الزُّبدِ؟!
بكا للتنائى بعضُها فـوق بعضِهـا — دمًا مُجْسَدا فى صِبغة اللحم والجـلد

---

(١) معاليق : جمع معلاق وهو كل ما علق . (٢) كذا بالأصل وقد شكلت بالقلم ، ولم نعثر عليها ولعلها بمعنى "سلوك" . (٣) المرط : كساء من خز ، و ربما تلقيه المرأة على رأسها تتلفع به . (٤) البرد : الثوب . (٥) الصناع : الحاذق الماهر فى صنعته .
(٦) السرد : نسج الدرع — و يقال : إن أول من أحكم صنع الدرع داود عليه السلام — .
(٧) تشبثت : تعلقت . (٨) فى الأصل هكذا "نحيه" .

وزادت بلون الزعفـران تصبُّغـا ولا تَشنَعُ الحسناءُ من حمرةِ الخدِّ (١)

فتـلك بَرانٍ أم مخازنُ جوهر (٢) حُشين فريداتٍ من العنبر الوردِ؟

اذا قلَّبتهنّ الأكفُّ تعجُّبـا توهمهـا الراءون تلـعبُ بالنَّردِ (٣)

وشهباء (٤) يُستجلَى الضَّريبُ (٥) بلونِهـا وطينتُهـا من عنصر الحَجَر الصَّلدِ

مقابلَة الأضـلاع ، كان مثالُهـا قياسا "لذى القرنَين" في زُبَرِ (٦) السَّدِّ (٧)

عَدُوَّة "مانى" (٨) فى البياض ، كأنّها ولونَ المشيبِ قد أقاما على عهدِ

وما عطَّـر الأثوابَ مثلُ مقدَّمٍ على المسك والكافور والعُودِ والنَّدِّ

أيادٍ توالت منك عجَـلَى كأنهـا شَرارٌ أطارته الأكفُّ من الزَّندِ

وإنِّىَ فى عَجـزى عن الشكر سائلٌ مساعدتى مَن كلَّم الناسَ فى المهدِ؟ ! !

⁂

وقال يهجو :

ضيوفُ "ابن فَضلانٍ" سواءٌ نهارُهم وليلُهـمُ صوما من الشّرب والأكلِ

ويُلزِمهـم أن يَنكَحُـوه وعِرسَه وصعبٌ على مَن شئتَ خَرجٌ بلا دَخلِ

---

(١) تشنع : تقبح ، وفى الأصل هكذا « لسبع » . (٢) البرانى : جمع برنية وهى وعاء من خزف . (٣) النرد : شىء معروف يلعب به — وهو ما يسمى « بالطاولة » — . (٤) يريد زجاجة بيضاء . (٥) الضريب : العسل الأبيض الغليظ . (٦) زبر : جمع زبرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٧) السد : — بالفتح و بضم — الحاجز بين الشيئين والمراد به ما بناه ذو القرنين ؛ وقصته معروفة فى القرآن الكريم . (٨) مانى : رجل يقول الخير من النهار ، والشر من الليل ، ومذهبه مذهب المانوية ؛ — ومعنى البيت مضطرب — .

*
* *

وقال :

قل "لابن جابرَ" الذى جعلَ اللهُ لـــه كلّ خَــلّة قـــذِرَه :(١)
الجنُّ نارٌ والإنسُ من حَمَــإٍ(٢) فأنتَ لِمْ ذا خُلقتَ من عَذِرَه؟(٣)

*
* *

وقال فى سوداء :

عُلِّقتُهـا حَمّـاءَ(٤) مصقـولةً سـوادُ قلبى صفـةٌ فيهـا
ما آنكسف البدرُ على تِمِّهِ ونُورِه إلا ليحكيهـا
لأجلهـا الأزمان أوقاتُهـا مؤرخاتٌ من لياليهـا

*
* *

وقال فى الشيب :

لم أبكِ أن رحلَ الشبابُ و إنمـا أبكى لأنْ يتقاربَ الميعـادُ
شعــرُ الفتى أوراقُه فاذا ذوَى جَفَّت(٥) على آثاره الأعــوادُ

*
* *

وكتب الى أبى الخير سعيد بن منصور بن مُوصَلَّايا يستهدى منه أقلاما ومِدادا عند توجُّهِه إلى بعض الأسفار

"أبا الخير" المفيدَ لكلِّ خيرٍ وكاسىَ نُبْـلِه ريشَ الصوابِ

---

(١) الخلة : الخصلة، والبيت غير متزن وقد تحاشينا التصرف فيه . (٢) الحمأ : الطين .
(٣) العذرة : الغائط . (٤) الحماء : السوداء كالحما وهو الطين . (٥) فى الأصل «خفت» وهو تصحيف .

ومن ألق اليه الناسُ طراً ... مقاليدَ الكتابة والحسابِ

ومن إن شاء إنشاءً بليغاً ... فليس يَعُوزه فصلُ الخطابِ

فضائلُ يُنسَب الإحسانُ فيها ... كما نُسب القِطارُ الى السحابِ

أرانا كلَّ معجِبةٍ إلى أن ... أرانا عنده لونَ الشبابِ

مِدادا إن تضمّنه محلٌّ ... ظننتُ مقرّه وكرَ الغرابِ

فما أدرى أمن كُحلٍ مُماع ... تجسّم أم دُجَى ليلٍ مذابِ

تقولُ اللِّمّة(١) الشمطاءُ(٢) لمّا ... رأته : ليتَ هذا من خِضابى!

وقد أزِفَ الرحيلُ فلا مقامٌ ... سوى شدّ الرِّحال على الركابِ

إلى ملكٍ توسّط بين برٍّ ... وبحرٍ طافحٍ سامى العُبابِ

فلستُ بواجدٍ فيه أنيسا ... سوى الحيتان تُقرنُ بالضِّباب(٣)

فزوّدنى من الأنقاسِ(٤) قدرا ... يقوّتنى إلى حين المآبِ

فإن أسعفتَ بالأقلام منّا ... فما يغنى الطعامُ عن الشرابِ

⁂

وقال :

تزاحمُ فى صدرى القوافى ولا أرى ... لها مستحقًّا فى الزمان ولا أهلا

وكيف امتداحى معشرا شجراتُهم ... عوارٍ فما تُجدِى ثمارا ولا ظِلّا

---

(١) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٢) الشمطاء : التى خالطها سواد وبياض .

(٣) الضباب : جمع ضب وهو معروف . (٤) أنقاس : جمع نقس — بكسر النون — وهو الحبر .

فلو شَرُفوا بالعــلم وآطرحوا الندى تأوّلتُ فيهم أننى أمــدح الفضــلا

ولو تركــوا الآدابَ عنهم بمعزِلٍ وجادوا، لقلت: أمدحُ الجودوالبذلا

ولكنهــم عن ذا وذاك تزحزحوا فلم أرَ أنى أمدحُ الجهــلَ والبخلا

⁂

وقال وقد سئل أن يلغز أبياتا فى النار:

هــل تعرفُ الحسناءَ تَفـ ـخَر بالبروز على الطريقِ؟

ولهــا ولىٌّ لا يغــا رُ من الزيارةِ والطُّروقِ

لا يستريبُ بهــا وإن كانت شِعــارا للرفيــقِ

وإذا آختفت فى خِدرها جُلِدتْ لتَظهَر فى الحقوقِ

فأتتــك منــه فى حِدا دِ ناصلٍ واهى الخروقِ

ثم آكتست بغِــلالةٍ إما عَرارٍ(1) أو شــقيقِ(2)

تاجُ الزُّمُرُّد(3) فــوق مَفْـ ـرقها يُرصَّعُ بالعقــيقِ

بين الأنام وبينهــا ماشئت من نسبٍ عريقِ

⁂

وقال:

تقاعستُ عن أبناءِ دهرىَ عائفا مواردَ منهــم ضافياتِ الغــلائلِ

ولى قُــرباتٌ عندهــم غيرأننى أضَنُّ على أفضالهم بفضائلى

(1) العرار: النرجس البرى؛ او هو بهار ناعم أصفر طيب الرائحة. (2) الشقيق: نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة. (3) الزمرد — بالدال والذال — حجر كريم أخضر اللون.

***

وقال ولم يتمّمها :

فتًى من الحبِّ قلبُه فنجا من بعد ما خاضَ فى الهوى لُجَجَا

فما سباه ملثَّم بضُحىً ولا شجاه معمَّم بدُجَى

من يبكِ حَولا يُعذَرْ فكيف بمن بكَى على رسم دارهم حِجَجا

هذا الّذى ذلك الذى شغف الـ ـقلبَ وخمرُ الثغور ما مُزِجا

فكيف حالَ الغرامُ منه قِلًى (١) ونال من بعد شدّةٍ فرَجا

لا تأمَنَنِّى على مراجعةٍ مَن دبَّر الحبَّ قبلَنا بحِجَا؟

يا ناقةَ الظبيةِ التى ظعنَتْ أهودجا ما حمَلتِ أم بُرُجا؟

زاد بكِ البدرُ فى منازله منزِلَتيْها "عُسْفَانَ (٢) أو أَمَجَا (٣)"

قد أغربَ القينُ (٤) فى سهامهمُ راشَ بهُدبٍ ونصَّلَ الدَّعَجا

أليس هذا السلاحُ ويحكمُ أحكَمَ "داودُ" الذى نَسجَا

كانت دموعى ماءً فصرنَ دمًا أأبدل السنُّ شأنَها ودَجَا (٥)؟

ونار قلبى هى التى ظهرت تُوقَدُ فى الليل مَفرِق (٦) سُرُجا (٧)

---

(١) القلى : البغض (٢) عسفان : منهل من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل غير ذلك . (٣) أمج : بلد من أعراض المدينة . (٤) القين : الحداد . (٥) الودج : عرق فى العنق إذا قطع لا تبق معه حياة . (٦) المفرق : — من الرأس — محل فرق الشعر . (٧) سرج : جمع سراج وهو معروف .

لیت الذی نظّـمَ اللآلیَ فی فـرعِیَ خَـلَّی مکانَهـا السَّبجا[١]

یا مولجَ اللیـلِ فی النهارِ أما آن لصبحٍ فی اللیــلِ أن یَلجا؟!

* * *

وقال ولم يتمّها :

جاریتُ[٢] فی الحبِّ أطلاقا[٣] بلا أمدِ فها أنا سابقُ[٤] العُشّاقِ بالکمــدِ

ما یستطیل فؤادی فی الهوی سَفَرا والهمُّ زادی وماءُ العین من عُدَدِی

خفْ یا ملیکیَ أن یفنَی عذابُك لی ولا تخفْ أننی أبقی بـلا جَـلَدِ

جیشٌ من الصبر عندی لیس یهزِمُهُ شـوقٌ تُغـیر سَرَایاه[٥] علی الکبِـدِ

بلغتُ أقصَی المَدی فیه وما ثلَمتْ منه الوشاةُ فـلم ینقُص ولم یزِدِ

إن الألی ملئوا الأجفانَ من مطرٍ هـم الألی ملئوا الأفواهَ من بَرَدِ

مَن نابُهُ شَنَبٌ[٦] وظُفْـرُه عَـنَمٌ[٧] فهو الغزال الذی یجنی علی الأسدِ

نفسی إلی الله لا تشکو جفـاءَکُمُ ولا إلیکم ، فهل تشکو إلی أحدٍ؟!

* * *

وقال :

تُسائلنی دِرعِی : أهذی هی النَّبْلُ؟ لعــلَّ الذی شبّهتَــه الأعینُ النُّجلُ!!

---

(١) السبج : الخرز الأسود — فارسی معرب — . (٢) فی الأصل «حاربت» وهو تصحیف .

(٣) أطلاق : جمع طلق — بفتح الطاء واللام — الشوط ؛ — وبضم الطاء واللام — غیر المقید من البعران أو النوق ؛ والفرس اذا کانت إحدی قوائمها لا تحجیل فیها . (٤) فی الأصل «سائق» وهو تحریف . (٥) سرایا : جمع سریة وهی القطعة من الجیش . (٦) الشنب : ماء ورقة فی الأسنان . (٧) العنم : شجر ثمره أحمر یشبه البنان المخضوبة .

رَمَيْنَ[1] سهاما فى الجســوم جراحُها؛ وما أنتَ من سهم به يخرُج العقلُ؟!

متى ماتَجِدْ لى الشمسَ فى غسَق الدُّجَى أَجِدْ لك قلبا ماله فى الهوى شـغلُ

ولولا اتّفاقُ النــاس فى الحبِّ أنه قديمٌ، لقلتُ : لوعتى مالهَا قبْــلُ

أيا حادىَ الأظعان أَعْجِـلْ فإنها الـ منايا، و بعضُ البِرِّ أن يُوْجَرَ القتلُ[2]

و يا قلبُ أقرِرْ بالذى كنتَ جاحدا فقـد ضجِر اللاحى وقد فنِىَ العــذلُ

يزيد الحسانَ البيضَ فى اللؤم رغبةً تصوُّرنا أنْ منهمُ يحسُن البُخلُ

✦ ✦ ✦

وقال :

يا " آل عَوف " أنجدوا الصَّبَّا ولطالمــا فرّجــتُمُ الكَرْبا

كان آبتداء أخيكمُ مِقَــةً ثم آستحالت بعــدَ ذا حَربا

كُفُّــوا ظبــاءً فى مَسارحكم تَسبي اذا غُزِيتْ[3] ولا تُسْبَى

وخذوا يدى اليمنَى معاهــدةً أن لا تعاوِد مقــلتى الحُبَّــا

قالوا : حلَلنا عنهُ رِبقَتَــهُ ، صدَقوا ،وشَدّوا العينَ والقلبا

✦ ✦ ✦

وقال ولم يتمّها :

أتنســاهــا على " خَيْف مِنًى " تهــوِى أبابيــلا[4]

---

(١) فى الأصل هكذا « مين » ولعلها محرفة عن « رمين » بأن شبكت الراء فى الميم فالتبست على الناسخ .

(٢) فى الأصل هكذا « يوحر » .

(٣) فى الأصل « غزنت » وهو تصحيف .

(٤) الأبابيل الجماعات .

وقــد ألبسها الوخدُ (١) مِنَ المَرْو (٢) خلاخيلا

رُبَى فيها ترى الحام ل قــد شابهَ محمولا

فـذا بالنُّسك منحورا وذا بالحبّ مقتولا

أتـدري أيُّها أسـر عُ للأرواح ترحيلا

هـل البِيضُ (٣) المباتيرَ أم البيضَ العَطابيلا (٤)؟

وليس الحدُّ مصقولا بدون السيف مصقولا

أمَن يقطعُ في غِمدٍ كمن يقطع مسلولا؟

ألا يازاجـرَ السانح (٥) ما أحسنتَ تأويلا

جرَى اليمنَى وما صادفتَ حبلَ الوصل موصولا

أرَى الخِدرَ (٦) لما يصنعُ بي سُكّانُه غِيلا (٧)

* * *

وقال :

أظنُّك تبتغى حلَبَ الشغورِ ولو عُوِّضتَ بالماء النميرِ

---

(١) بالأصل، "الوجد"؛ والوخد : ضرب من السير السريع . (٢) المرو : حجارة بيض براقة ، وهو أيضا موضع من شعائر الحج . (٣) فى الأصل « السمر » وكتب أمام هذا البيت فى هامش الأصل « أظنه البيض » ؛ ونحن نرجحها لأن السمر — وهى الرماح — لا توصف بأنها باترة ، والبيض المباتير: السيوف القاطعة والبيض الثانية : الجوارى الحسان . (٤) العطابيل : جمع عطبول وهى الجميلة الطويلة العنق . (٥) السانح : الطائر أو الظبي يمر من اليمين — والعرب تتفاءل بهوضده البارح — . (٦) الخدر : بيت الجارية . (٧) الغيل : بيت الأسد .

وتطلبُ من حَمامِ الأيكِ لحنا يَهيج بلابلَ القلبِ الذَّكورِ

* * *

وقال :

يا كاهنَ الحبِّ خبِّرنى مَن الجانى عينى التى عشِقت أم طَـرْفِىَ الرانى؟ (١)

ولو علِمتَ الذى يجـرِى على كبدى لقلتَ : إنهما فى الحبِّ سِيّانِ (٢)

* * *

وقال ولم يتمها :

قد علمتْ ليـلة الحمى ورَعى والبـدرُ فيهـا فريسةُ الطمعِ

أُغمِضُ عينىَّ عن محاسنهـا والقلبُ ما تذكر الجفونُ يعى

تزجرُنا خيفة "الإمامِ" عن الـصَّـبوةِ زجرَ المشيبِ والصَّلعِ

"القـائمِ" المنتضى صوارمَه على رءوسِ الأهواءِ والبـدَعِ

بذكـر أسمائِه التى شرُفَت يُعرَفُ فضـلُ الأعيادِ والجُمَعِ

* * *

وقال ولم يتمّها :

لا مجـدَ إلا "للإمامِ القـائمِ" وإنِ ادّعتهُ عصابةٌ من "هاشمِ"

نرضَى لدينِ الله والدنيـا الذى رضِىَ النبىُّ لـبُرْدِهِ والخـاتمِ

---

(١) كذا بالأصل ، ومعنى العين والطرف واحد ، ولعل صوابه :

* عَينى التى عَشِقَتْ أمْ قلبىَ العانى *

(٢) فى الأصل «الحسن» وقد كتب فوقها بالقلم الرصاص «الحب» فرجحناها .

* * *

وقال فى غَرض :

أُقسم بالعـاديات ضَبْحا (١) (٢) حقًّا وبالموريات قَدْحا (٣) :

بأنكم توسعون مَقْتا من زادكم عِفـةً ونصحا !

فى كلّ يوم لكم سطورٌ تُكتبُ بالعهـد ثم تُمحَى

وكلُّ ما يُبْتَنَى عِشاءً يُهـدَمُ بعد التّمـام صُبحا

كالأفق إن غام فى جَنوبٍ هبّت شَمـالٌ له فأصحَى

آمالُنـا فيكُـمُ هَبـاءٌ أضرَبَ عنها الرجالُ صفحا

من همُّه أخذُ رأسِ مالى فكيف أرجو لديه ربحا ؟ !

* * *

وقال :

ياليتهـم حين صَيَّروا خَدَما عُمّـالَ عُمّالهـم كما حَـكَما :

جَرَوا على ذلك القياسِ بأن تصـيرَ عُمّالُهم لهـم خدَما

* * *

وقال ولم يتمّمها :

بعينيـك إضرامُهـم للأكَمْ بجُمْـرِ القِبابِ وحُمْـرِ النَّعَمْ

تَخَيّلها الضيفُ نارَ القِـرَى وما هى إلا قـلوبُ الأمـمْ

---

(١) العاديات : الخيل — سميت بذلك لعدوها — . (٢) الضبح : صوت الخيل فى عدوها لا بالصهيل ولا الحمحمة . (٣) الموريات : الخيـل تصك الحجارة بحوافرها فتبدو منها النار — على التشبيه بإيراء الزناد — .

ورقّ الحُـداةُ لإنصاتِهِـم (١) ... فأبدلْنَها بالسـياطِ النَّـغَمْ

لقد كذبَ الفألُ لمـا زجرتُ ... ظباءَ "سُليمٍ" "بوادى السَّلَمْ" (٢)

فما كنَّ إلا الجوى والأسى ... وطولَ السهـادِ وفرطَ السَّقَمْ

أترجو لمن قـد هَوِى صحّـةً ... وما علّـةُ الحبِّ إلا لَمَـمْ؟ (٣)

ولمـا رأى الـبُرءَ فى عَـذْله ... رماه الهـوى بالعمَى والصَّمَمْ

تظنُّ السحائبَ أجفـانَهُ ... لو أنَّ السحائبَ تهمى بدمْ

ولولا الغـرامُ لمـا شاقَـه ... حمـامٌ دعَا أو غـزالٌ بَغَـمْ (٤)

* * *

وقال ولم يتمّها :

غداً تراهـا جُنَّحاً على "الغضا" ... تطلُبُ عهداً من زمانٍ قد مضَى

ما بالهـا خاشعـةً أبصارُهـا ... إلا اذا برقُ "العقيق" أومَضَـا

مُروعـةً تحسَبُ فى هـاماتها ... صـوارماً منـه عليهـا تُنتضَى

حنّتْ إلى ركب "الحجاز" تشتكى ... إليه من أهلِ "العُذَيب" مَرَضا

مالكَ فى الركبِ غريمٌ ماطلٌ؟ ... بلى، على الحىّ ديونٌ تُقتضَى

قال : وهل ترجو الوفاءَ عندهم ... كأنهـا على الأجَلِّ (٥) "المُرتضَى"

(١) فى الأصل «لأنصابهم» وهو تصحيف . (٢) فى الأصل «وبوادى السلم» وهو تحريف .
(٣) اللمم : الجنون . (٤) البغام : صوت الظبى . (٥) الهاء فى كأنها عائدة
الى الديون فى البيت السابق .

* * *

وقال :

وقائلٍ : لِمْ هجرتَ الشعرَ من زمنٍ ... فقلتُ قولَ أمرئٍ من خَيرِه يئِس :

رأيتُ هجوى أناسا معجزا[1] لهــمُ ... وخاب مــدحى فبعتُ النُّطقَ بالخرس

* * *

وقال :

قل "لآبن قُــرّانٍ" مقالةَ نَاصحٍ : ... أخطأتَ حين نكحتَ حُوراً عِينا

عَلِقتْ حِبالُك ظبيــةً وتركتَها ... وكأنهــا لم تحــو منك قرينــا

تالله أُقسم أنها إن لم تعُــدْ ... بعــدَ البَكارةِ لاحقــا ولَبــونا

تَركتْكَ كآسمِ أبيــكَ تفتَحُ قافَهُ ... وتزيــدُ فيه بعــد راءٍ نــونا[2]

* * *

وقال وسُئل عملَ أبيات فى النارنج :

إذا فُتِنَ الإنسانُ يوما بمنــظَرٍ ... فإنى إلى النــارنج مائلةٌ نفسى

تظنُّ السماءَ خُضرةً شجــراتِهِ ... وتحسَبه ما بينهــا كُرَةَ الشمسِ

* * *

وقال يُلغز بجرَّة :

ذاتُ أيدٍ ثلاثةٍ أبــدَ الدهــ ... ـرِ ترى فــوقَ رأسِها أيديها

(١) كذا بالأصل ويحتمل أن تكون "مفخرا" .

(٢) يريد أن آسمه يصير «قرنان» وهو بمعنى الديوث — وهو الذى يرى الريبة على أهله فيغض عنها —

شرِبَتْ ماسقيتَها من شراب ثم تسقيكَ مثـلَ ما تَسقيهـا

خَـرْتُ[1] آذانها مَغابِنُ[2] أيديـ ـها ويافوخها مقــرٌّ لِفيهـا

* * *

وقال يهجـــو :

قالوا : "آبن مالكَ" قرنانٌ فقلت لهم : كذبتمُ وأثِمـتم بل لـــه ذَنَبُ

لو كان يملِك قرناً كان ينطح عن شاةٍ له كلُّ تيسٍ فـــوقَها يثبُ

* * *

وقال :

عيوبٌ "لآبن مالكَ" قد كفَتنى عَنـاءَ الذمِّ فيـه والأهـاجى

بـــلى ! قالوا : له جارٌ جرىءٌ على نِســوان عمال الخــراج

وليس بطـالبٍ منهنّ شيـأ سوى طلب الديوك من الدَّجاج

لـــه رمحٌ بأســفلِ حالبيْـــهِ يجيد الطعنَ فى يوم الهياج

وقد نقَهتْ عليه عِرسُ "يحيَى" على وجه التداوى والعـــلاج

لأنَّ بهـا على ما قيـــل يَبْساً وأنّ صــديقَها رطبُ المزاج

فحـاز النَّيـكَ رِخمٌ فيلسوفٌ بـــبرهانٍ صحيـحٍ واحتجاج

فـلا تفرِر[3] بهـا شرقا وغربا فـا أحدٌ من الحــدثانِ ناج

---

(١) الخرت : الثقب . (٢) المغابن : الآباط ، واحدها مغبن — بكسر الباء — .

(٣) فى الأصل هكذا « تعرر » .

* * *

وقال :

"ليحيَى بن عبدالله" عِرسٌ كريمةٌ تعاتبُـه أن صاغـــه اللهُ ساقطا

فـا يمنعُ البطنَ الخميصةَ زانيـاً ولا يحـرِمِ الظهـرَ الموطَّأَ لائطا

فأىّ سـبيليْها أراد سلوكَـه أصاب له فيـه شريكا مخـالطا

ولو حَمَلَ "الثّورُ"[(1)] السمائىُّ قرنَهُ لخرَّ من الأفلاكِ بالأرض هابطا

ومن كان ذاكَ الوجهُ مِرآةَ وجهِهِ فلا نُكرَ أنْ يُمسِى ويُصبحَ ساخطا

عَبوسٌ تظلُّ العينُ منـه قريحةً كأنّ عليـــه للقَتادةِ[(2)] حائطا

ألا ضَـلَّةً للقـــوم ردُّوا ولايةً اليـكَ ولو كانت تُغِـلُّ قَرارِطا[(3)]

فما آستحفظوا إلا ذؤيْبا مُغاورا وما آستودعوا إلا لُصَيْصا مغالطا

فلا تبتهج بعاجل الأمر فيهـمُ فسوف تَرَى فى أخدَعيْكَ[(4)] المَشارطا

ستلقَ أليمَ الأخذ للعظم كاسرا وللّحم مِنضاجا وللجِــلد سامِطا

وإن تنجُ لا يُنجيكَ من سطواته بنفسك إلا أن تحُلَّ الخرائطا[(5)]

---

(١) يريد برج الثور، — وهو أحد البروج التى تنزلهـا الشمس — .

(٢) القتادة : شوك شجر صلب كالإبر . (٣) قرارط : جمع قيراط — كفتاح ومفاتح — والقيراط بمكة ربع سدس الدينار؛ وفى العراق نصف عشره، ويستعمل القيراط أيضا فى المساحة وقد جعل دستورا فى الحساب، فإنهم يقسمون المتجزئات الى أربعة وعشرين قيراطا لأنه أول عدد له نصف وثلث وربع وسدس وثمن صحاح من غير كسر فيطرد التقدير به . (٤) الأخدع : عرق فى الرقبة إذا قطع لا ترجى بعده حياة . (٥) الخريطة : وعاء من أدم يشرج على ما فيه .

فأعِددْ لهم ما خنتَ فيه سواهُمُ ... وعَدِّك[1] بلم تنظر بعينيك "واسطا"

ويا بَرْدَها عند الفؤادِ بأن ترى ... على قارعاتِ الطُّرْق كفّيك باسطا[2]

* * *

وقال :

يا دُرَّة البحر لو أنصفت نفسك ما ... جعلتها سِلكَ دُملوجٍ[3] وخلخالِ

كم ذى حُلِيٍّ وقد أزرَى به عَطَلٌ ... وعاطل ليس يدرى أنه حالِ

لولا الهوى لم يبتْ سكّانُ "كاظمةٍ" ... ممّن منازلهم "بجمْرٍ" على بالِ

* * *

وقال :

على مَن تبيعُ متاعَ الأدبْ ... وتنثُرُ دُرَّ كلام العربْ؟

ومن يستحقّ حُلِيَّ المديح ... يصاغُ له كحُلِيّ الذهبْ؟

* * *

وقال :

سَنَحْن كما اعترضَ الربربُ[4] ... ولكنَّ صدَّهمُ أعجبُ

وجوهٌ ترقرقَ ماء الجما ... لِ فيهنّ لو أنّه يُشربُ!

---

(١) عدك : اصرف نفسك . (٢) يريد أنها تراه متسولا . (٣) الدملوج : حلية كالسوار تلبس فى الذراع . (٤) الربرب : القطيع من الظباء .

***

وقال :

ولَيــلةٍ قد نسجَتْ ريحُها غــيما به آفاقُهــا تكتسى

ما زال يطوى النجمُ أخبارَهُ فيها عن الناظر حتى نُسِى

خلنا بها الأرضَ سماءً وقد أُطلعَ فيهـا أنجُمُ الـنرجِسِ

***

وقال :

عَذبٌ من المـاءِ قد سُدّتْ مواردُه سيّانِ واجدُ ممنــوعٍ وفاقــدُهُ

تجفو تعــذُّرَ حبٍّ لست تُبصرهُ والمُــرُّ حِرمانُ محبــوبٍ تُشاهــدُهُ

أرخى ذوائبَــه دونى يُشكِّكُنى أَهِى التى ســترتْهُ أم ولائــدُهُ[1] ؟ !

فليت قَدْ قَدَّ من جفــنى براقعَــه و إن كفَى فُصِّلتْ منــهُ مجاسِدُه

القدُّ والخصر والطرفُ الكحيلُ له فكيفَ يُغلَبُ مَن هذى مَكايدُهُ ؟ !

وما أردتُ ســلُوّاً عن محبتِــه إلا وقلــبِي على كُلِّ يُساعــدُهُ

***

وقال :

يا حسنَ مَغداكَ وطيبَ الرواحْ ذاكَ هو السـعىُ وهــذا النجاحْ

مــذ زجَروا فألَكَ أعلمتَهــم إمساكَ أيديهــم عنانَ القِــداحْ

(١) ولائد : جمع وليدة وهى الأمة .

* * *

وقال :

قــد عاد بدرُ الدجى الى فلَكِهْ ... يغسِلُ وجهَ الظلام عن حَلَكِهْ

سَرَى وأفراسُـــه مطالِعُـــهُ ... ونَقعهُنَّ المُثَـارُ من حُبُـكِهْ (١)

فٱقتَنَصَ المجـدَ فوق عاتِقـهِ ... وٱستأسر المكرماتِ فى شَرَكِهْ

أهدىَ به الفضلَ والسماحةَ والـ ... ـعزمَ "إمامُ الهدَى" الى مَلِكِهْ

* * *

وقال :

شَكَكتُ وقـــد زارنى غَلطةً ... أفى يقْظـةٍ ما أرى أم مَنـامْ؟!

* * *

وقال :

تسعَى بنا قدمُ الرجاءِ وما الذى ... يُغنِى إذا قَعدتْ بنا الأرزاقُ!!

* * *

وقال :

قومٌ كئوسُهمُ السـيوفُ وخمـرهُمْ ... ما ٱستَخرجتْ من شاخِبِ (٢) الأوداجِ (٣)

---

(١) الحبك : الطرق . (٢) الشاخب : السائل . (٣) أوداج : جمع ودج وهو عرق فى العنق إذا قطع لا ترجى بعده حياة .

⁂

وقال :

لا يهُنْ عندك آختلالٌ بجسمى فقِــوامُ الأرواحِ بالأجسامِ

⁂

وقال :

ما يصنَعُ المستَسِرُّ (١) بالغـابِ صُنــعَ ظِباءٍ وراءَ أطنـابِ (٢)

جفــونُ هذى باللحظِ تُرسلُها أقتــلُ مِن ذا بالظُّفْرِ والنابِ

انتهى

---

(١) المستسر : المختفى ، — ويريد به الأسد — .

(٢) أطناب : جمع طنب وهو حبل طويل يشدّ به سرادق البيت .

هــذا آخر ما وجد بالنسخة المخطوطة

* * *

"قال عبدُ الله بن إبراهيم الحيرىّ : هذا آخر ما وُجِدَ من شعرِه ؛ وكان رحمه اللهُ يقول :

إنّ أكثرَ شعرِه ضاعت مسوداتُه فى النُّهوبِ والاختلافاتِ؛ وما كان سبب جمعِه غيرى ، وكان رحِمه اللهُ كلَّما عمِل بعد ذلك قصيدةً يُنفذها الىّ ، ويقرؤها علىّ ؛ والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلاتُهُ وسلامُهُ على محمدٍ النبيِّ الأُمىِّ وآلِهِ الطاهرين أجمعين" .

٭٭٭

كتبها بخطه لنفسه محمود سامي الشهير بالبارودي
من دار الكتب الشهيرة بطوب قپوسراي
بدار الخلافة العلية بالقسطنطينية
في شهر رمضان سنة ١٢٨٥ من
نسخة بخط ابي علي
الحسن ابن علي
كتبها
سنة ٥٢٦

وقد تم نسخها في ستة ايام لضيق الوقت

إحـــتمال

نضع فى هــذه الصفحة بعضَ آحتمالاتٍ على سبيل المثال مما ورد فى هــذا الديوان لطائفةٍ من الكلماتِ التى تحتملُ وجها آخرَ غير جازمين بها إلا على وجه هذا الآحتمال وللشعر وجوه :

صفحة	سطر	
٢	٨	أعراس — يحتمل فيهـا فتح الهمزة على أنهـا جمع ، وكسرها على أنها مصدر .
٣٣	٣	محلّق — كذا بالأصـل، ومن قراءة البيت يجوز أن يكون معناه : أن هذا الجواد لا يسبقه شىء حتى الطير المحلق فى مداه؛ ونقول إن من المحتمل أن يكون "مُخلَّق" بمعنى ممســوح بالخلوق وهو طيب يغلب على أجزائه الزعفران ، وكانت العرب تمسح به على وجه الجواد السابق للدلالة عليه . وكان من عاداتهم أيضا أنهم اذا أرسلوا خيلا على صـيد فسبق أحدها خضبوا صـدره بدم الصيد بدل الخلوق علامة له .
٣٤	٣	يجنُب — كذا بالأصل، ونرجح أن تكون "يجلِب" وإن كان للأولى معنى ولكنه غير دقيق .
٤٤	٢	طـال — كذا بالأصل وله معنى بعيد، ونحن نؤثر أن يكون صوابه "حان" .
٥٨	٩	تُزْهَى لَهُ — كذا بالأصـل و بمختارات البارودى؛ و يحتمل أن تكون "تُزهَى بهِ" كما يقتضيه الآستعمال الفصيح .
٦٩	١٠	المربع — من المحتمل أن تكون "المرتع" .

صفحة سطر

١٠٩ ٧ إن مرِضتْ ليلةٌ غُمىً كواكبُها — كذا بالأصل ، وهو لا يخلو من معنى ؛ ويحتمل أن يكون :

* إن عَرَضَتْ ليلةٌ غُمَّتْ كواكبُها *

١٧٤ ٨ ليهنِك — كذا بالأصل ويستعملها كثير من الشعراء على زعم أنها صواب ، وقد جاء فى اللسان : « والعرب تقول : ليهنئك الفارس — بجزم الهمزة — ، وليهنيك الفارس — بياء ساكنة — ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة » .

ملاحظـــــة

شرحت كلمتان فى هـذا الديوان بغير المعنى الذى يقتضيه سياقهما ، الأولى فى صفحة ١٤٢ رقم ٢ من الشرح وهى « السابرىّ » : الثوب الجيد ؛ وصوابه «الدرع المحكمة النسج» . والثانية فى صفحة ١٥٨ رقم ٧ من الشرح وهى «المزاد» : وعاء يوضع فيه الزاد، وصوابه : « وعاء من جلد يوضع فيه المـاء » .

إســـــتدراك

نستدركُ فى هذه الصفحة أغلاطا وقَعتْ فى هـذا الديوان أثناء الطبع ، وهى و إن كانت لا تخفَى إلا أنّنا آثرنا أن ننبه عليها ليرجعَ اليها القارئُ فى محلّها .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١٠	دَهُرِيّة	دُهْرِيّة
٣٤	٤	المُصيف	المَصيف
٣٦	١٢	يزال	زال
٤٩	٧	وحشَ	وحيِش
٥٥	٧	ياعزّ	باغَرّ
٥٥	٧	فوق	فَرْق
٥٧	١٠	الصورُ	الصدرُ
٦٨	١٢	أطلال	أظلال
٦٨	١٢	الرجال	الرحال
٧٠	٥	سحابةِ	سحابهُ
٨٤	٢	يقطُف	يقطِف
٩٣	٩	مِـراح	مُراح
١١١	١١	تعرّضَ	تعرّضْ
١١٧	٩	بِرهم	مَرهم
١١٩	١	أصوم	أحوم
١٣٤	٤	قُطار	قطار

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٨	٧	قُطار	قِطار
١٤٠	٢	فاعلَى	فأغلَى
١٤٧	١٤	شُمُتُ	شُمُتٌ
١٦٠	٤	قَسٌّ	قُسٌّ
١٦٥	٨	يُخَدِع	يُجْذِع (١)

(١) يجذع : يصير جذعا — وهو من الخيل والإبل — ما قبل الثنى .

